مقدمات
في التراث والموروث الشعبي
بشواهد المحضـار الشعرية

أحمد عمر مسجدي



مقدمات
في التراث والموروث الشعبي
بشواهد المحضـار الشعرية

رقم الإيداع في الهيئة العامة للكتاب م/ حضرموت (٢٠٨ / ٢٠١٨م)

العنوان: مقدمات في التراث والموروث الشعبي بشواهد المحضار الشعرية

الكاتب: أحمد عمر مسجدي

المقاس: ١٧,٦X٢٥

عدد الصفحات: ٢٩٢

تصميم وإخراج: م/ سالم عمر عاصم

الطبعة الأولى (٢٠١٨م)

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير
والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها
من الحقوق إلا بإذن خطي من المؤلف


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أسجل شكري وتقديري ـ قبل الخوض في التفاصيل ـ لكل من ساعدني معنوياً ومادياً ووقف معي ووفر لي كل ما احتجته لإنجـــاز هذا العمـــل وإظهاره على القراء بهذا الشكـل والمضمـــون ولم يبخل بتقديم الدعم مهمـا كان حجـمه صغر أو كـــبر ، وأخصهم بالذكـــر:

الأستاذ / عمر عوض خريص	الأستاذ / عمر علي باسلمة
الشاعر / ثابت عبد الله السعدي	الأستاذ / عبدالله سعيد الصبان
الأستاذ/ عبد الله صالح حداد	الأستاذ / خالد محمد باعباد
الشاعر/ عوض بن سالم بن فاتح	الأستاذ / علي حسين المقدي
الفنان / عمر عبد الرحمن العيدروس	الفنان / محمد أنور عبد العزيز
الأستاذ / عيدروس محمد الحبشي	الأستاذ / محسن محفوظ لرضي
الشاعر / صالح مبارك بن حميد	المهندس / سالم عمر عاصم

والشكر موصـــول لكـــل من د/ سعيد عثمان العمودي وكيل المحافظة لشؤون الساحل والهضبة - نائب رئيس صندوق التراث والتنمية الثقافية م/ حضرموت والمهندس امين سعيد بارزيق مدير عام مديرية الشحر والأستاذ مصبّح العبد البحسني نائب مدير عام مديرية الشحر والأستاذ عبدالحكيم صالح بن قديم رئيس صندوق التراث والتنمية الثقافية م / حضرموت مدير عام الهيئة العامة للكتاب والنشر م/ حضرموت والاستاذ أحمد سعد التميمي مدير عام مؤسسة مطابع الكتاب المدرسي بحضرموت والأستاذ سعيد العبد بن عجلان مدير مكتب الثقافة بالشحر .

وكل من اجتهـــد معـي وغفلت عن ذكـر اسمـــه دون قصـــد.. فليعـــذرني.



الإهـــــداء

أهدي هذا الكتاب إلى

أبنائي وبناتي وإلى أمّهم

وكل من ساعدني

مع خالص تحياتي

تصدير

يرتبط التراث بالجانب الثقافي والفني وبالعادات والتقاليد للمجتمعات ويعد تدوين التراث الشعبي الحضرمي والحفاظ عليه من أولويات صندوق التراث والتنمية الثقافية لتسهيل عملية دراسته وبالمقابل الإسهام مباشرة في عملية دراسة تاريخ الثقافة والحياة الاجتماعية كي نعرف مدى التغيير الثقافي الذي يطرأ على المجتمع من حيث عوامله وسرعته واتجاهه وما إلى ذلك من أمور مهمة لدارس تاريخ الثقافة وعلم التاريخ.

وتأتي طباعة هذا الإصدار للأستاذ أحمد مسجدي في خضم مهامنا وتشجيعنا للكتّاب والباحثين للتنقيب عن التراث الحضرمي وإظهاره للجميع لمعرفة ما اندفن منه وتعريف الأجيال الحالية واللاحقة حتى تكون على دراية تامة به ومعيناً لهم عند دراسة الحالة الثقافية لحضرموت وتطورها عبر الأجيال. وقد خطونا بهمة ونشاط منذ الإعلان عن إنشاء الصندوق وتكليفنا بإدارته لترسيخ قواعده وتثبيتها على أرض الواقع وتحقيق أهدافه.

وقد ركز هذا الإصدار على التراث والموروث الشعبي لمدينة الشحر وما جاورها واستشهد الكاتب بشعر الشاعر الكبير حسين بن أبي بكر المحضار في ما أورده عن التراث والموروث الشعبي.

كما يأتي هذا الإصدار في ظل الإحتفائية بالذكرى الثامنة عشرة لإحياء تراث وثقافة الشاعر الكبير حسين بن أبي بكر المحضار التي تنظمها السلطة المحلية ومكتب الثقافة بالشحر..

عبد الحكيم صالح بن قديم

مدير عام صندوق التراث والتنمية الثقافية م/ حضرموت

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الخلق والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

لا يختلف اثنان في أن شعر السيد حسين المحضار غني بمادته المتنوعة ، وكفيل بأن يبحث فيه المرء عن أمور شتى متى ما تيسرت له سبل البحث الأخرى ، حيث تعددت فيه الأغراض الشعرية ، وتكاثرت موضوعاتها لتصل إلى حد العموم على أقل تقدير في محيطه البيئي؛ في العادات والتقاليد والموروث الشعبي واللهجات والأدب والثقافة والفنون والحرف والمشغولات وغير ذلك ، ناهيك عما يستجلب العاشق من مفاهيم عشقية تغزو أفكاره ليتداولها في ضرب الأمثال في مواقفه المشابهة. وعليه ، يجد الباحث بغيته في شعره كما يريد ، ولعلنا ممن خاض غمار البحث بجهد المقل وبحسن ظن فيه بعدما استقطبنا هذا الكم الهائل وجذبنا إلى معرفة التراث والموروث الشعبي عن كثب.

ولعلنا في هذا الكتاب قد مررنا بكل ما ذكرناه سلفاً ـ بيد أن اللهجات ستأخذنا إلى بحث مستقل في قادم الأيام ـ مع أننا لم نسهب كثيراً في التفاصيل واكتفينا بالذكر العابر لها كمقدمات في البحث ، مؤكدين ارتباط الشاعر المحضار بها. وتعمدنا أن يكون بحثنا في بقعة متقاربة في التراب الحضرمي ، وضاربة في العمق التاريخي والتراثي لحضرموت ، مما اهتم بذكرها الشاعر المحضار ، ألا وهي (الشحر بأريافها وبواديها). ولا يعني بأي حال من الأحوال أن المحضار لم يتسع شعره لكل

حضرموت ، بل تجاوز حدودها إلى أبعد مما هو كائن في النطاق الجغرافي ، ولكننا فقط اكتفينا بما أوردناه.

وقد قسمنا الكتاب إلى بابين حيث احتوى كل باب على أربعة فصول ، وكل فصل قسمناه بين اثنين إلى ستة مباحث متنوعة تتحدث عن تراث الشحر وموروثها الشعبي داخل المدينة وفي ريفها وباديتها مشفوعة بشواهد المحضار الشعرية.

وهنا نلفت انتباه القراء إلى أننا لم نذيل صفحات الكتاب بهوامشها بينما قمنا بجمعها خلف الكتاب ، كما فعلنا سلفاً في أعمالنا السابقة وهذا العمل يأخذ منا جهداً كبيراً في الترتيب والتنسيق ، ولنا من وراء ذلك فكرة حسنة ، لا تكمن في المخالفة للتأليف قطعاً ، بل احترام للعقول والمعرفة المكتسبة السابقة لها. لأننا نرى أن الهوامش ما هي إلا استزادة في المعرفة أو الدالة عليها أو المقارنة بها أو التأكيد عليها ، وبإمكان القارئ الفاحص الاستغناء عنها.

وحتى لا نسلب القراء لذة القراءة ومتعة الاستغراق في بواطن هذا الكتاب نتركهم لاستبيان محتواه والحكم في جدواه، فالهدف الأساسي والسامي هي المعرفة ولو بعضها.

هذا ، والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما فيه الخير والسداد ، وعليه توكلنا في جميع الأحوال ، وفي كل الأقوال والأفعال ، ونسأله تعالى أن نكون قد وفقنا في ما اخترنا ، والله ولي الهداية والتوفيق..

أحمد عمر مسجدي

معيان المساجدة / الشحر

٢٠١٧م

أول الكلام

المِحْضَارُ مِحْضَارٌ:

إن شخصية الشاعر الكبير السيد حسين بن أبي بكر المحضار حاضرة في المهتمين بشعره بالطغيان نفسه الحاضر به شعره بين عامة الناس ، حيث شكل غيابه حالة حضور أبهى تجلى في وجدان الناس بصورة مضاعفة ، وفي عقول المهتمين بشعره بصورة استثنائية ، حيث تسابقوا على البحث في كنهه والخوض في أغواره والإبحار في أعماقه لاستجلاب المضامين التي تقودهم إلى معرفة شعره ، وفك طلاسم رمزيته التي علقت في العقول وحيرتها.

وأننا في هذا العمل قد جعلنا من شعره رحلة ننطلق بها إلى عوالم التاريخ والتراث والأدب والثقافة والفن كتجسيد للرابط المشترك بينه وبيئته المحلية الغنية بذلك ، حيث وجدها منهلاً عذباً للتعبير بمفرداته في شتى مجالات الحياة فيها ، حاملاً همّ قومه تارة ، ومعبراً عما تختلج به نفسه من عشق لمعشوق مطلق يتماشى مع عشق العاشقين تارة أخرى ، ليجد كل منهم بغيته في شعره. والأهم من ذلك أننا انطلقنا مع شعره في عمق مدينته التاريخية ، وهو يحاول جلياً نبش المدفون من التراث واستظهاره للملأ في قالب غنائي ينعش به القلوب ويحفظ به ما اندفن.

المحضار باختصار:

- ولد الشاعر السيد حسين أبو بكر المحضار في مدينة الشحر عام ١٩٣١م ونشأ بها.

• تلقى تعليمه الأول في مدرسة مكارم الأخلاق ، ثم انتقل إلى رباط الشحر وأتم تعليمه في القرآن الكريم وعلومه والفقه والتوحيد وعلوم وآداب اللغة العربية والنقد.

• نظم الشعر في صغره وأبدع فيه.

• مثقف ومطلع وله دراية كبيرة في التاريخ واللهجات الحضرمية والعادات والتقاليد السالفة والأعمال الحرفية.

• تقلد وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى في الأدب والفنون عام ١٩٩٨م.

• وافته المنية بمسقط رأسه الشحر في ٥ / ٢ / ٢٠٠٠م ودفن فيها.

مصادر أشعاره :

• من روح ثغر الشحر جابه ما فتح ديوان عنتر

• من مدرسة معلاق من قاموس بن حيمد وقشمر

• من صوت سعد الزين من سواد من نغمة مقمر

• من شيخ محفوظ العطيشي من قصد مرتع أبو زيد

• من محرث الحراث ذي هو من صلاة الصبح بكر

• من هوري البحار والصنبوق لا جحّب وكور

• من همة العامل إذا شدّ المشدّة أو تعصر

• من ناس عاشوا في ضنك وتنكدوا في العيش تنكيد

مصادر ألحانه :

• نشأ المحضار وترعرع في بيئة دينية محافظة انتهجت الوسطية والاعتدال ، فثقب أول ما ثقب في أذنيه سماعه للأناشيد والابتهالات الدينية ، فكانت اللبنة الأساسية

للذائقة الفنية الرفيعة له. وعندما شب وقوي عوده واتسع ذوقه الفني استوعب كل الإيقاعات اللحنية الحضرمية فيما بعد، وأخذت الألحان تغزو فكره وإلهامه مستفيداً ممن سبقه من الرواد الأوائل ليقتدي فنياً بهم.

• وللفنون الشرحية (المدنية والريفية والبدوية) والرقصات والألعاب الشعبية وداناتها نصيب الأسد، وبالذات رقصتي العدة والهبيش (الحَفّة)، وقد أحب الأخيرة ومارسها أداءً حتى استحوذت على ألحانه كما استحوذت على أشعاره الشبابية.

مجموعاته الشعرية:

• روضة العشاق ١٩٥٦م
• دموع العشاق ١٩٦٥م
• ابتسامات العشاق ١٩٨٧م
• حنين العشاق ١٩٩٩م
• أشجان العشاق ١٩٩٩م
• بكاء العشاق (بكائيات) ٢٠٠١م
• وداع العشاق ٢٠٠٨م
• شعر المحضار المسرحي (الأعمال الشعرية المسرحية ـ المجموعة الأولى من الأوبريتات) ٢٠٠٧م
• المسرحيات الشعرية (مخطوطة)
• كما أن له العديد من الأشعار الطربية منها: التوجيهية والإرشادية والتعليمية والاجتماعية والنقدية، إضافة إلى الكثير من أشعار المسامر والمساجلات والمناسبات وأشعار الرقصات الشعبية وغيرها، وبعض أشعاره التي لا زالت مخطوطة.

أولى مجموعاته الشعرية:

• (روضة العشاق) من أهم أشعار المحضار الأولى على الإطلاق التي اختصت بالمدح النبوي وقد ألفها في شبابه حيث تم الانتهاء من كتابتها في التاسع من شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٧هـ الموافق لعام ١٩٥٦م كما هو مذيل على المخطوطة.

• وهي ذكر شامل للسيرة العطرة للنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم من مولده إلى وفاته، تبدأ بنطق البسملة والحمدلة والشهادتين ثم الصلاة والسلام على النبي. وقد جعل السيرة من أحد عشر فصلاً ووسطها بمحل القيام، وأتمها بفصل الدعاء، واختتم كل فصل بقوله: (يارب عطر قبره بصلاة وسلام دائماً لا يزال).

• والروضة هي صورة شعرية، جلية، واضحة المعاني، سلسة الأفكار، مهذبة الأسلوب، تسترعي العقول والألباب لتثبيت المفاهيم الخلقية والخُلقية للنبي الكريم.

• وهي ارتقاء شعري يجري في مجرى بحر السريع، وقد تأثر فيها المحضار بالحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي في سمط الذرر، بيد أن المحضار اختص روضته بالنظم بينما مولد الحبشي مزيج من النثر الرصين والشعر الفصيح.

• وظلت (روضة العشاق) مخفية عن الأنظار ولم تر النور إلا بعد وفاته في العام ٢٠٠٠م.

• رحم الله السيد حسين أبو بكر المحضار وغفر له وأسكنه روضة من رياض الجنة.

مدخل

بدت الأمور تتزاحم في مخيلتي ، والأفكار تترا في خلجات فكري بوتيرة متسارعة للعمل التدويني للتراث في شتى مجالاته ، فكان وقوفي حائراً فوق شواطئ هذه المجالات الواسعة والمتسعة من تعدد التراث ، فبدأ ينحصر توهج الأمل في البدء عند نقطة الانطلاق ، فإبحاري على زورق من ورق دون إسناد لا يجدي نفعاً ، وجمع التراث من أعمال المؤسسة ولا يمكن للفرد أن يلم بكله وجله وبظاهره وبباطنه، ولهذا نرى أن ما يقوم به الباحثون من تجزئة الجمع وأحياناً تجزئة الجزء حسب إمكانياتهم هو عين الصواب ، بيد أن الباحث الحديث لا يبذل ذاك الجهد الكبير الذي بذله السابقون إلا عند النقل وتحكيم العقل. ولهذا نرى عند المحدثين واحدية أسماء المصادر والمراجع المعتمد عليها تتصدر أبحاثهم وتتشابه وقائعها ، بقدر ما أن السابقين كرسوا جهودهم في الجمع كل في المجال الذي يراه مناسباً له ومهتماً به ، واستقوا المعلومة من مصادرها وقدموها كافية وافية للمحدثين.

ومع وجود هذه المصادر فكرت في كتابة مقدمات عن هذا الكل التراثي فكانت حيرتي أكبر في تحديد المنطقة الحضرمية المتحدث عنها لكثرة الموروث الشعبي في حضرموت وتنوعه. وفي الأخير بزغت فكرة متعطشة إلى الظهور كما تبزغ الثمرة من أكمامها ، فقررت مباشرة الغوص في أشعار الشاعر الغنائي الكبير السيد حسين أبو بكر المحضار ـ وهو المطلع على هذا التراث ـ لاستكشف فيه تراث الشحر وبعض ما حولها من قرى وأرياف من أعمالها ، وفيها لأهالي الشحر أملاك زراعية وسكنية،

وتربطهم العلاقة الحميمة ببعضهم البعض ، ورأيت أن لا أمتد ببحثي على امتداد مناطق الساحل الشرقي أو الساحل الغربي من الشحر لخوفي من التيه في الحديث لتشعبه ، واكتفيت فقط بهذه الجزئية التي تناولها الشاعر السيد حسين أبو بكر المحضار في أشعاره عن تراث الشحر وما جاورها ، ولعلي بها ، أكون قد أعددت العدة للسعي وراء تحقيق جزء من الفكرة الكبيرة المطروحة سلفاً للوصول إلى المرفأ الآخر لبحر التراث الواسع في قادم العمر بإذن الله تعالى.

وعندما نقرأ أشعار السيد حسين بن أبي بكر المحضار نجد التراث بما يحويه متأصلاً في أشعاره وطاغي على أكثره ، حتى وإن تحدث بشعره الوجداني وغيره ، نراه لا يخلو منه إذا لم يكن مباشراً فبالرمز ، ولهذا لا ندري من ساعد على تعريف من؟. وهنا سؤال يطرح نفسه على قارئ شعر المحضار ، من شهر من؟ المحضار شهر التراث محلياً ودونه في أشعاره؟ أم أن التراث هو الذي أعطى للمحضار الشهرة المحلية بوصفه مادة خام يستطيع أن يستخدمها متى ما شاء ، وأن يصيرها كيفما شاء؟ وللإجابة على هذا السؤال لا بد لنا أن نعطي لمحة عن اعتداد المحضار بتراثه قبل الدخول في التفاصيل.

التراث جزء من تكوين المحضار الإنسان منذ نعومة أظفاره حين كان المحضار يردد أولى سجعات الأهازيج الشحرية في أثناء تأديته لألعاب الطفولة ، ويستمع إلى بعض الحكايات الشعبية مما تحكيها له جدته الهاشمية ، وينظر إلى من حوله وهو يؤدي الطقوس الدينية. وهكذا أصبح التراث جزءاً لا يتجزأ من تكوين المحضار الشاعر منذ أن خط بقلمه أول قصيدة بل وأول بيت شعري نطق به ، فأصبح التراث مصدر إلهامه الأول. ولا غرو فكلما كان الشاعر صغيراً ويستمع لمثل هذا التراث

في طفولته؛ كان ينمي به ذوقه وسعة خياله ويمتزج شعره بما يسمعه عنه ، وتغزو إفهامه بعض الحكايات الشعبية ، وبعض الأشعار الفلكلورية ، وبعض الأهازيج التي تصاحب ألعاب الأطفال ، ويتكون عنده إحساس مرهف ليصقله عند الكبر بالموهبة التي حباها الله له.

وهكذا كان الشاعر السيد حسين المحضار يتلقف ما يسمعه من التراث الشعبي ، ويلتصق بذاكرته حتى شب عليه ، فأصبح ينظر إلى هذا التراث الشعبي بوصفه ممتداً فيه وهو الامتداد الجاري عبر اللغة والمفاهيم والتصورات العامة ، بوصف التراث كلمة واسعة الدلالة وليست مقتصرة على الجانب الثقافي أو الفني أو العادات والتقاليد. ومن هنا يرى المحضار أن الربط بين السابق واللاحق ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية ، وأساس من أساسيات الثقافة والفنون الأدبية ، ولا يمكن الانفصال عنها بأي حال من الأحوال. وهكذا ظل يردد التراث في أشعاره ويبين واقعه لجمهوره ويستدل به ويدل عليه.

ولعله من بديهة القول حين نؤكد أن الأدب الشعبي هو جزء من التراث الكبير والواسع ، فإن توثيقه ليست غاية بذاتها لأنها مرتبطة بدراسة التراث، وتحديد الحاجة لدراسة هذا التراث؛ تحدد توثيقه. وتتمثل هذه الحاجة في الإسهام في دراسة تاريخ الثقافة والحياة الاجتماعية وإعادة ترتيب الفترات التاريخية الغابرة التي لا يوجد عنها إلا شواهد ضئيلة متفرقة ، وهو ما يعرف بمنهج إعادة البناء التاريخي.[1]

ولهذا فالاطلاع على التراث وتدوينه في الأشعار أو في أي نوع من أنواع الأدب مطلوب ، ويعد توثيقاً إن لم يكن تثقيفاً شعبياً مباشراً وتغذية راجعة تعود إلى الشعب دون البحث عنها في الركام أو في كتب الخاصة أو في صدور العوام ، بل يقدم الشاعر

التراث لقمة سائغة دون عناء وذلك عندما يتناوله مثلاً في قصيدة يردده الشعب فيها ويحفظه عن ظهر قلب ، ويتباهى بمعرفته ويحافظ عليه. ولم يكن تحديدي للاطلاع على التراث من خلال شعر المحضار يعني أن أدبنا الشعبي النثري خالٍ من التراث ، بل هو التراث بشحمه ولحمه ، وهو الحكاية الشعبية التي سكنت عين التاريخ.

حقيقة قد أهملنا هذا النوع من الأدب ولم نبحث عنه قط مع أنه يسجل تاريخ الحياة اليومية بقساوتها وشظف عيشها مع معاناة الإنسان منذ سالف الأزمان ، وكان لي فضل السبق ـ كما أعتقد ـ أو بالأحرى عناء المجازفة في تناول هذا النوع من الأدب الشعبي المحكي (الشحري) المتداول عن طريق الرواية الشفوية في كتابي (من الأدب الشعبي للطفل).

كما أن الاطلاع على الثقافات الأخرى مطلوب ولكن دون التغيير في الثوابت والضوابط عن طريق التأثر والتأثير والتوجه والتوجيه ، بل بالاستفادة من التناقضات والصراعات الفكرية بما يخدم ثقافتنا ومجتمعنا ومواجهة هذا النسق الجديد من التثقيف المفروض علينا من الخارج بالحركة الدائرية للزمن ، وإتباع ثقافة السلف والاستفادة من هذه التحديات في استنهاض تراثنا وتطويعه بالتقنية الحديثة إلى مسايرة هذا الزمن ، لنصبح نحن مؤثرين لا متأثرين ، موجهين لا متوجهين عند تأهيل إمكانات ثقافتنا دون الخضوع لشروط المغايرة قبل إدراكها الإدراك الثاقب والفاحص.[٢] والبعد كل البعد عن نتائج تلاقح الثقافات واختلاطها مع ثقافتنا ، وعدم مزج الناتج مع تراثنا ليبقى صافياً لا تشوبه شائبة ، ولا ينخر فيه العيب الزائف ، ولا المدسوس الجائف ، عن طريق غض الطرف عن المستورد من تسمية الرقصات الغريبة ، وحركاتها الأدائية ولباسها المقرف مثلاً ، وعدم المراقبة من

الجهات المسؤولة على الأنشطة الثقافية والاجتماعية.

وهكذا كان المحضار بتناوله للتراث إذ حرك الجامد فينا ليدلنا عليه للاستنهاض بهذا التراث والموروث الشعبي ، بغية توثيقه وتدوينه والحفاظ عليه من العبث والاندثار ، وتحييده من تلاقح الثقافات ، كونه المنهل العذب لمتناول الأدب عموماً ، وحبل يربط مظاهر الحياة بخفاياها من زمن مجهول مضى في زمن معروف حاضر إلى زمن منكور آتٍ.

ونحن إذ نؤكد أننا لم نجعل هذا البحث بحثاً تاريخياً وتراثياً بمنأى عن شعر المحضار ، وفي التراث من مؤلفات المؤرخين والباحثين ما فيه الكفاية ، ولم نهتم فيه بشعر المحضار بمعزل عن التاريخ والتراث الممتد الجذور ، بوصف الشحر المخلدة في شعره هي عراقة التاريخ الحضرمي ، بيد أننا ربطنا شعر المحضار بالتاريخ والتراث لأنه ـ أي المحضار ـ ظاهرة ثقافية مطّلعة ، ضرب بشعره في أعماق التاريخ والتراث الشحري ، ليطلع عليه من يردد أشعاره. وعليه تجد الشاعر المحضار عندما يتحدث عن التراث يتحدث بلغة التراث ، مستخدماً اللهجة العامية القديمة والتي قد انقرض منها الكثير والكثير نتيجة لتطور اللغة ، لكن المحضار أحياها بالحديث عن التراث بل أحيا التراث بها للدلالة عليه إن جاز التعبير ، وأصبحت هذه المفردات تشكل جزءاً من التراث اللغوي الخطابي القديم ، ولهذا تحتاج اللهجة المستخدمة من قبل المحضار خاصة عند الحديث عن التراث في هذا الشأن إلى دراسة خاصة لأنها جزء متأصل من التراث.

ولعلنا ـ ونحن نخوض بهذا الطرس في الشعر والتراث ـ نسعى جاهدين لربط المعارف ولو بعضها في كتاب واحد ، قد يحتمل الهفوات والتقصير والكمال لله سبحانه

وتعالى ، وبالمقابل يلقى كل متذوق بغيته فيه. فمادة الكتاب لا تعد بأكثر من إشارة لمقدمة تاريخية وتراثية باقية الأثر أو مندرسة ، وأوّليّات دالة لمدلول دل به المحضار في أشعاره. ولهذا تعمدنا ذكر نماذج فقط من أشعاره المتعلقة بالحديث رغم غزارتها المتنوعة حتى لا نتوه بعيداً عما قصدنا ، مع يقيننا أن مثل هذه الأبحاث تكون قليلة القيمة الإبداعية وعقيمة التفكير الإبداعي ولا يجد الكاتب الباحث فرصة في التألق نظراً لمعرفتها المسبقة ، لأنه يعتمد على هذه المعرفة التي يمتلكها غيره ، وما عليه إلا النقل وتحكيم العقل فيما نقل. ولأنه يعتمد أساساً على المعرفة القرائية والمعرفة السمعية عن الأشياء والأشخاص والأماكن والأحداث ، فربما يكون بحثه هامشاً أو تعليقاً عليها دون أن يمتلك المستلزمات الكافية حولها أكثر مما سبق ، وفي هذه الحالة لا يمتلك غير السرد المعرفي العقيم ، ولكن وجب عليه المقارنة بين المعرفتين ـ القرائية والسمعية ـ وإبداء الرأي ووجهة النظر عند التحقيق. ولأننا نعرف ذلك ، لذا فكرنا في تقديم التراث والموروث الشعبي بحلة جديدة تربطه بشعر المحضار لننزع العقم عن السرد المعرفي بولادة جديدة تكون مقبولة عند القراء.

ومما يجدر قوله أن خصوصية الشاعر المحضار تميزت عن غيره من الشعراء الشعبيين بقاموس لغوي ومعرفي ثر وكبير ، يكاد يكون شاملا لكثير من المعارف التي يفتقدها غيره ، فلم يصله شاعر قط بل نحتاج إلى عشرات السنوات حتى نجد شاعراً مثل المحضار. فقد قرأت لكثير من الشعراء الشعبيين ، فوجدت قاموسهم المعرفي ضيق لا يتعدى التوسع في معرفة واحدة ونتف يسير من غيرها وفيها يجري شعره ويجاري الشعراء ، فمنهم من قاموسه زراعي وأبدع فيه ، ومنهم من قاموسه بحري ودل عليه ، ومنهم من قاموسه تراثي وأكد على ما يحويه ، بينما المحضار أبدع

في كل المجالات المعرفية وتحدث بلغة كل مجال بإتقان.

فلنرحل مع هذا الكتاب مرددين في رحلتنا مرة قول الشاعر ابن خرذاذبه المتوفى سنة ٣٠٠هـ ـ ٩١٢م:[٣]

اذهب إلى الشحر ودع عمانا ألا تجـــد تمـــراً تجد لبانا

ومرة أخرى نردد قول الشاعر عبد الصمد بن عبد الله باكثير المتوفى سنة ١٠٢٥هـ ـ ١٦١٦م:[٤]

باهت الشحر المنيع جنابها فخراً فدع مصر ودع بغدادا

لندع عمان ومصر وبغداد ونرحل إلى الشحر بمعية شعر المحضار لعلنا نجد المفيد..

الباب الأول

مقدمات في التراث الشعبي الشحري



الفصل الأول

مكانة الشحر التاريخية

١ـ١ـ الأسماء المتداولة للشحر:

دوّن الشاعر الغنائي والمطلع على التراث السيد حسين المحضار أسماء الشحر في أشعاره ، وأعطى لهذه الأسماء النعوت والصفات والتشبيهات التي لم يعطها أحد غيره لها ، فجعلها في مقام أمه وحبيبته وتكوينه وأسرته ، وتفاخر بها أيّما افتخار عند الحبيب والخصم وعند العرب والعجم ، فتلذذ بذكرها في فؤاده في حله وترحاله ، وفي استقراره وغيابه ، وظلت هذه الأسماء تشغل فكره وباله ، كما تبيت تداعب خياله ، لتحرك أفكاره ومشاعره ، بما تجود به قريحته من حمم براكين وجدانه الثائرة بالتبجيل والتمجيد ، وتثير لسانه الرطبة بالمدح والترديد بحب أجمل وطن. فملكته هذه الأم والحبيبة والمعشوقة ، بكنوزها الأثرية ، وتراثها وفنونها الشعبية ، وملكها بملكته اللغوية والشعرية ، كي يصورها في قصائده الشعرية تصويراً يفوق الوصف والخيال ، ويرسمها بدقة متناهية في لوحة الواقع والحال ، بمقتضى المقام والمقال.
ومن أهم الأسماء التي سميت بها أمه الحبيبة:

١ـ١ـ١ـ الشحر:

حاولنا أن نبدأ البحث ببعض الأبيات مما قاله المحضار في قصيدة له ألقيت في الأمسية الأدبية بمناسبة ذكرى المقاومة الشعبية مساء الأربعاء ١٦ / ٣ / ١٩٨٣م التي قال فيها :

ذكّـروهـــا بماضيهـــا وماضي بنيهـــا
علهـــا تزدهي فخـــراً وتزداد تيهـــا
أمنا الشحـر لو قالـــوا لنا الهنـــد فيهـــا
ما رضينـــا وجاوا كلهـــــا ما نبيهـــا
مسقط الرأس حيث الساس والناس لجواد
منزلة عـاد من سـابق وشـــداد بن عـاد
كل من غاب عنهـــا وقت رأسـه لها ناد
كيـف لا وأمها ضبة وضبضب أبيهـــا
أمنا الشحـــر كم ربّت وشلّت وحطّت
رافعـة رأسهـــا دوب الزمـن ما توطّت
من دعاها استجابت له على الصوت نطّت
راضيـــة منهم بالقسم ذي با يجيهـــــا
شاكـــرة صابرة عا موبقـــات الليـــالي
عا صـــروف القدر وخطوب مثل الجبالِ
صالت أتعـاب محـــد مثلهـا با يصـــالي
وانتهى الخطب وانتصرت على غاصبيهـــا
لو سألنـــا عن الماضي طروس التواريخ
قبل لا شي قـــنابل عندنا أو صـــــواريخ
يا ترى كيف دوّخ قومنا الخصم تدويخ
يا ترى الشحر بأيش ردت عا معتديهـــا

هكذا كان الشاعر المحضار صادقاً في وصف الشحر ، والتذكار بماضيها التليد ، وعمقها التاريخي من أيام عاد ، وهذا همه الأول والأخير ، وبدورنا نبحث عن هذا الماضي الذي ما انفك المحضار يتحدث عنه طوال حياته ، في كل مناسبة تذكارية تجمعه بالناس ليلقي فيهم بعض أشعاره ، أو مناسبة شعورية تجمعه بأفكاره ، كمناجاة لها لتخرج في عمل فني ينتشر صداه في الأفق.

وقال المحضار عن الشحر: (أمها ضبة وضبضب أبيها) في الوقت الذي يجعل فيه الشحر أمه ، وضبضب والده ، وضبه ابنته في قصيدة سوف نأتي على ذكرها ، ليصبح المحضار هو الشحر ، والشحر هي المحضار ، في غيبوبة صوفية تنم عن ذوبان فكري يتماهى في حب سرمدي ، وهو يؤكد بأن الشحر أم صبرت على المكاره وموبقات الليالي وصروف الزمن ، وخرجت من كل معركة منتصرة على مغتصبيها ومعتديها. وهنا نراه يسأل عن كيفية تحقيق هذا النصر المؤزر ، لا لينتظر الإجابة من مستمعيه ، ولكنه هو الذي يجيب على نفسه للتأكيد على تلاحم سواعد أبنائها وعزيمتهم القوية، وحفاظهم على المبادئ والعقيدة السوية ، قائلاً:

بالعزيمة القوية ، بالتحـــام السواعد
بالمبــادئ الحقيقيـــــة وحسن العقائد
كان حب الوطن واللي مع القوم قائد
ليس يحمي الأراضي غير حب ساكنيها

والجواب واضح ولا يحتاج تعقيب ، فالشحر يحميها حب ساكنيها. ولكن إذا سألنا سؤالاً ، ونحن نبحث في تراثها من خلال شعره: لماذا هذا الحب المتفرد الذي جعل المحضار يبوح به أمام الملأ؟ أم أنه فعلاً حب من سكن ديارها وهو واحد

منهم؟ ولأن المحضار شاعر يحب الفن ويعشقه ومثقف ومطلع على تراث وتاريخ الشحر نجد الإجابة في قوله من قصيدة رثاء في الذكرى الخمسين على وفاة الشاعر والأديب عبد الله بن محمد باحسن (جمل الليل)[٥] التي ألقاها في الشحر مساء يوم السبت ٢٤/ ١٢/ ١٩٧٧م:

الشحر أرض الشعر أرض المتقنين الشحر بندر

لي فنّها ظاهر وعاد الفن بدوي ما تحضّـــــــر

ولعل المحضار يقصد فيما يقصد أن الشحر التي كرر ذكرها هي أرض الشعر والفن الحضري ، والمنبع العذب للشعراء والمتقنين الذين ينسجون الفن في أمور متنوعة ومختلفة ، كيف لا والمحضار يلقي هذه القصيدة في ذكرى وفاة الشاعر والأديب والفنان والعالم والفقيه والقاضي عبد الله باحسن كما أسلفنا القول ، وهو واحد من الرجال العظام الذين أنجبتهم مدينة الشحر ، وواحد ممن عرفوا بتعدد الفنون الأدبية والعلمية.

نعم هذه المدينة الظاهر فنّها قبل أن تعرف المدن الأخرى الفن الحضري؛ هو وصف متعمق الجذور في التاريخ ، إذ جعل الشحر حاضرة الفن عندما كان الفن بدوياً وبدائياً في غيرها ، بيد أنها ـ أي الشحر ـ عرفت الفنون المتنوعة منذ القدم كونها ميناء بحري ، وتحضرت في حين أن البلدات الأخرى بدوية الفن ولم تتحضر ، أي لم تصر مدناً بعد ، ولعل هذا ما يقصده من عبارة الشحر بندر.

وفي قوله عن الشحر:

أمي الشحر والوالد جبل ضبضب

وابني الحيـد لسود وابنتي ضبّـــة

كل ما جيتهم قالـــــوا هلا مرحب
عش هنا بيننا لا تنزل الرحبـــــــة
با نســـايرك عا سيرة وخبّـــــــة
ظننا فيك طول الوقت ما با يخيب
يوم كل مجتهد لـــــه نصيـــــب
أنا نصيبي من الدنيـــــا حبيـــبي[٦]

ومن خلال قراءتنا للمقطع الشعري أعلاه من إحدى قصائده الجميلة نجد أن للشحر مكانة مرموقة عند الشاعر حسين المحضار تتجلى كتجلي مكانتها التاريخية عند الحضارمة. وليس غريباً أن يجعلها بمنزلة الأم ليبدأ قصيدته كلها بلفظة أمي ليدل على الشحر بأمه أعز الناس إليه بقوله: (أمي الشحر) ولم يقل الشحر أمي لمنزلة الأم الرفيعة فكانت هي الابتدائية ، أضف إلى ذلك تفرد الأم وواحديتها ، ولا يمكن أن تكون للفرد الواحد أم أخرى غير المرضعة ، ولكن بالإمكان أن تتشابه أسماء البلدات في غير موضع جغرافي. وحتى الشحر نفسها على امتدادها الساحلي التاريخي الطويل من قنا إلى ظفار ربما لم تكن هي الموضع نفسه الذي يقصده المحضار، ولكنه يقصد فيما يقصد مدينة الشحر الحالية (مسقط رأسه) التي فيها تربى وتعلم وقال شعره وصاغ لحنه ، وفيها عاش وفيها مات. وهذا التحليل المقصود؛ تخمين في حد ذاته لا يستند إلى إشارة قرائية أو سمعية ، وبالمقابل لا يعني ذلك أن المحضار لا أم له معنوية غير الشحر ، أو أن اسم أمه أو لقبها هو الشحر ، ولكن تماهي المحضار بالحب السرمدي للشحر جعله يخبرنا بأن أمه هي الشحر.

والمحضار في هذه القصيدة الجميلة قد حدد أسرته المكونة من: أمه الشحر ،

ووالده جبل ضبضب ، وابنه الحيد الأسود ، وابنته ضبة ، وهي كناية على الحب الشديد للشحر. والمحضار ما انفك يذكر الشحر في الكثير من أشعاره ونراه ملازماً لها في السراء والضراء ، ولهذا قال عن نفسه:

واحد تحـــــــدّى وصمم
وفطّر عبيد العبد من صومه
وعبيد بالحـــــــال سلم
يومـــــه فتى مغـــــرم
ما هو كما ثابت السعدي فسح ما التزم
ويقول ما نا لحد في الشـــــحر ملزوم

والشحر: بكسر أوله وسكون ثانيه قال: الشحرة الشط الضيق والشحرُ الشط وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن. قال الأصمعي: هو بين عَدنَ وعُمَان قد نسب إليه بعض الرواة وإليه ينسب العنبر الشحري لأنه يوجد في سواحله.(٧) وجاء في معجم القاموس المحيط: الشحر ساحل البحر بين عمان وعدن.(٨) ويقول الشيخ سعيد عوض باوزير في كتابه صفحات من التاريخ الحضرمي: وعند انهيار المملكة الحضرمية وضمها نهائياً إلى حكم التتابعة الحميريين حوالي سنة مائتين وخمس وسبعين بعد الميلاد ، حيث ضمت حضرموت إلى ألقاب ملوكهم ، فسمي الملك منهم (ملك سبأ وريدان وحضرموت). والعرب لا يسمون ملك حمير تُبّعاً حتى يضم حضرموت والشحر.(٩)

وعرف الجغرافيون العرب الشحر بأنه ساحل اليمن جنوباً ، وفي فترة تاريخية متأخرة حدد التعريف وارتكز على مدينة الشحر الحالية. وأول إشارة مرجعية لها

كانت الخريطة الطبيعية لجنوب البلاد التي وضعها الجغرافي الروماني ـ بطليموس ـ في مطلع القرن الثاني الميلادي محدداً موضعها ، معرفاً بها بأنها مركز الأسعاء Alasa Emporiam[١٠]. وقد كثر ذكر الشحر في الكتب التاريخية وكلها أجمعت على أقدميتها التاريخية ، ولكنها لم تحدد بالضبط نشأة المدينة وموضع الاستيطان بها ، ولم يعرفوا بالتحديد ظهور الشحر كميناء تجاري إلا بعد ظهور ميناء قنا كموقع ساحلي في غربها. أو كما هو الحال عند الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف في (الرفيق النافع على دروب منظومتي الملاح باطايع) ظهورها كميناء تجاري نشط كان في فترة استيلاء سبأ وذو ريدان على جزء من ساحل حضرموت الغربي وذلك في مطلع القرن الرابع الميلادي مما عمل على تحول مركز تجارة الحضارم في الساحل إلى الشحر وهم الذين لم يخضعوا لنفوذ سبأ.. [١١] ونحن هنا نضع لفظة (نشط) بين قوسين ونتأمل في حركة هذه الميناء من جموده من خلال اللفظة ، فهي تعني أن الميناء كان يعمل تجارياً ولكن بصورة متقطعة قبل استيلاء سبأ وذو ريدان على ساحل حضرموت الغربي إلا أنه يصعب أيضاً تحديد هذا العمل التجاري ولا يكون ذلك واقعاً إلا بوجود البشر فيها قبل ذلك التاريخ ، وهذا ما يؤكد إمكانات استخدام الميناء كموقع بحري وليس ظهور الشحر كموضع جغرافي ، وبالمقابل لا يمكن الاستخدام التجاري قبل الاستخدام السمكي من قبل الصيادين القاطنين على الساحل ، وبهذا لا يكون ربط ظهور الشحر كمستوطن بشري بظهور مينائها التجاري محموداً ـ وقد حددنا النقل للإشارة إلى المرجعية سلفاً ـ لأن استخدام الميناء السمكي يسبق الاستخدام التجاري عند وجود البشر من المنطق العقلي كاستخدام ميناء قنا السابق على ميناء الشحر. وقد قرر الباحث عبد الرحمن الملاحي بقوله: ولذا فمن الصعب التعرف

على بدايات نشأة وتكوين المدينة ، لكن المصادر التاريخية تشير إلى نزوح هجرات يمنية إليها ومنها قبيلة قضاعة التي نزحت إليها في القرن الرابع الميلادي واستوطنت الشحر. تلاه نزوح قبيلة كندة في القرن السادس الميلادي واتخذت من مركز مدينة الشحر مقراً لها بساحل حضرموت ، وأقامت منازلها في الموقع المعروف اليوم بالشحر بحي القرية (حافة القرية) وهو أقدم أحياء المدينة الواقع على الشاطئ. [١٢]

ولعراقة الشحر التاريخية ومعرفة المحضار بها أصبح مفاخراً بها ومتمسكاً بعراها لا يفارقها روحاً ، وإن فارقها فبجسمه ، لذا نراه يشتاق إليها من حين يرحل ، فهو رقيق المشاعر ، كثير الشوق ، وهو القائل في أثناء رحلته الدبلوماسية إلى الهند رغم جمال الأخيرة الخلاب:

ما أجمل الهند لكن أرضي أجمـــل يشتاق قلبي لها من حين يرحل
يذكر زمان الصبا وأيام عاده رضيع
عيني امتلت[١٣] منّها لكن فؤادي ما فيه شي غير حبك يا بلادي
ما عاد با يشتري فوقه ولا بايبيع [١٤]

ثم استطرد المحضار ليجسد قصة الحب المعجزة كما وصفه:

التاج أعظم أثـر في الهند خالد من حب حد سار له راكع وساجد
وإن مات يبني على مثواه مبنى رفيع
الحب له معجزات التاج منها وله قصص اســـأل التاريخ عنها
توقفت ريشة الرسام وأعيى المذيع
الهند فيها الهناء الهند فيها المنى
والجو في الهند غائم تحسب أنه ربيع [١٥]

ولكن المحضار رغم هذا الإعجاز العشقي في هذا الضريح الذي بناه شاه جهان لزوجته يرى أن ضريح الشيخ سالم بن عمر العطاس المجاور لبيته أعظم تخليد من تاج محل ، وإذا كان للتاج زوار فللعطاس زواره أيضاً ، وله مقامه السنوي المسمى بزيارة الشيخ سالم بن عمر في الخامس عشر من شهر محرم من كل عام.[١٦] وقد قال عنه العلامة الأديب عبد الله بن محمد باحسن: كان هذا الإمام الجليل من أفاضل السادات الأجلاء ، وخلاصة الصفوة الفضلاء ، طلع من بلده حريضة إلى الشحر ، وصار له القبول التام لدى الخاص والعام ، وكان يختن الأولاد بيده الكريمة ، وربما دفع منيحة المختون[١٧] من عنده خصوصاً إذا كان من الفقراء المستحقين ، توفي سنة ١١٩٤هـ أو سنة ١١٩٥هـ رحمه الله تعالى ، وبنى عليه قبة الدولة المكرم علي بن ناجي بن عمر بريك الملقب بالقحوم.[١٨]

وعن هذه الزيارة نستمع إلى السيد الشاعر المحضار وهو يحاور صديقه الشاعر سعيد باهيان وذلك بعد إلغاء الزيارات الموسمية للأولياء من قبل المسؤولين في الشحر وبالأخص زيارة السيد سالم بن عمر العطاس مع زيارة الشيخ فضل بافضل في يومي الخامس عشر والسادس عشر من شهر محرم من كل عام قال الشاعر باهيان ساخراً:

ما ذا السنة ولعـــاد بو هاجــر في الحافة فقع

وزيارة العطاس ذبحوها عطوا بوها السكين

جوّب عليه المحضار قائلاً :

يا فضـل بن عبـاس ريتـك جد باعامر تقـع

ويكون سالم بن عمـر جـد آل سالم سـالمين [١٩]

وفي الجواب نوع من التهكم على المسؤولين وشيء من السخرية منهم لدورهم في منع الزيارات، ويدخل ذلك من باب شعر المزح والطرائف التي عرف بها في مثل هذه المواقف.

وللشحر مكانة مرموقة لدى الشاعر المحضار ، وسيطرة كاملة على حواسه وعواطفه ، ولا يقوى على فراقها البتة ، وليس بالضرورة الفراق الجسدي بل الفراق الروحي والفكري أحياناً. فالمحضار والشحر توأمان لا ينفصلان سواء كان مسافراً أو متواجداً فيها لتعلقه بها ، بيد أن سفره لا يستمر طويلاً طالما أنها هاجس له في الغربة يبيت يؤرقه ليلاً وينازعه هوى العودة إلى الشحر نهاراً ، ولذلك يقول وهو يؤكد على تاريخها الأصيل وآثارها الخالدة:

قريـــــب با بدل بداري دار معمورة وديرة غير ذي الديرة
لكـــــن قلبي ما رضي يختار غير الشحر ، لا وليته الخـيرة
حـــبه وتقـــديره
لها من سمح ، ولها العز والمقدار
دار الفلك دار وعزمت السفر دار الفلك دار
وطني وفيـــه الساس والآثار به نسعـــــــد ونتأثر بتأثيره
دائم ونا فوقـــــه محلق فار حاشا تهجر الوادي عصافيره
تزدني الغيرة
ونتشوق إلى شمسه وظل الغار
دار الفلك دار وعزمت السفر دار الفلك دار [٢٠]

والمحضار رجل له إحساسه المرهف الذي لا يطاوعه على الفراق. ألم يصعب عليه فراق هذه المدينة التاريخية (الشحر) وفراق أهلها المتذوقين لشعره؟ فإن كان فراق

الشحر صعباً ففراق أهلها أصعب ولهذا قال:

فراق الشحر ما أصعبه وفراق أهلهـــــا أصعب

وإن صدت وإن جـــارت وقالت سـير وتغرّب

وفيها قد بطيت أشرب

لبن ضرعها من عادنا إلا طفل في الخودة

عسى عودة تقع في خير ومسرات جم

يا الله عسى عودة

وللتأكيد على أن أهله في الشحر يحسون هذا الإحساس نفسه فقد قال:

لو ما عرب في الشحر بعدي عيشهم ما صفا

عا يحسـبون الليـــالي لي تعدّي على زام زام

ونحن هنا لا نسترسل في شرح المفردات المعبرة عن الحب والوعد واللقاء والفراق والصد والبين وما إلى ذلك من أغراض، وإن ذكَرْنا لها لا يتعدى المرور عليها أو لتأكيد فكرة سبقت، ولكننا نؤكد على ما نستشهد به مما يتعلق بالتاريخ والتراث الشحري.

٢ـ١ـ١ـ مدينة آل عاد:

قال المحضار عن مدينة آل عاد:

يا مدينة آل عـــــــاد الأثر والرسم عـــاده

جل خلاق العبـــــــاد لي جعل حبك عبادة

فيك قد ســـوس وشاد كم ويا كم من جـواد

قوم يجمعني بهم ملة وأوطان

بالأحضان[٢١]

من المعروف أن الشحر قديمة عهد على غيرها من المدن الحضرمية الأخرى ، ولها تاريخ موغل في القدم ، وقد خلد ذكرها المؤرخون في كتب التاريخ ، بيد أن شريحة خاصة من الناس من يفتش منهم عن ذلك التاريخ ، بينما الشريحة الكبرى منهم من يجهل ذلك ممن لا يقرأ مثل هذه الكتب. وبما أن الشاعر المحضار ابن الشحر البار ، فلهذا تناولها تاريخياً في شعره ليغرس في أذهان العامة ومن لم يقرأ التاريخ مفردات من تاريخ الشحر ، ليجعل من شعره قاموساً لتاريخها يردده الصياد والعامل والمزارع وراعي الغنم وغيرهم ممن لا يقرأ كتب التاريخ ، ويقدمه لهم لقمة تاريخية سائغة يتذوقها كل من يتغنى بشعره ، ولعل أهم ما ذهب إليه المحضار في شعره هو التأكيد على أن الشحر هي بلد عاد ، وهذا مما استدل به من كتب التاريخ التي تحدثت عن الشحر وهو المطلع على التاريخ. فقد نقل ما ذهب إليه المؤرخون أمثال البيهقي وأبن خلدون وغيرهما من المؤرخين القدماء أو المحدثين الحضارمة كالشاطري وباحسن وابن عبيد الله وباوزير وبامطرف وغيرهم كثير ممن تحدث عن الشحر خاصة ، وحضرموت بصورة عامة.

ولأننا خصصنا الحديث عن مدينة عاد الأولى فلنا أن نذكر أنه قد جاء في تاريخ ابن خلدون نقلاً عن البيهقي: (قال البيهقى: إن يعرب بن قحطان لما غلب عاداً على اليمن وملكه من أيديهم ولى إخوته على الأقاليم وولى جرهم على الحجاز ، وولى بلاد عاد الأولى وهى الشحر عاد بن قحطان فعرفت به ، وولى عمان يقطن بن قحطان انتهى كلام البيهقى.) (٢٢)

واستطرد ابن خلدون: (وكان يعرب بن قحطان من أعاظم ملوك العرب يقال انه أول من حياه قومه بتحية الملك ، قال ابن سعيد وهو الذي ملك بلاد اليمن

وغلب عليها قوم عاد وغلب العمالقة على الحجاز وولى إخوته على جميع أعمالهم فولى جرهما على الحجاز وعاد بن قحطان على الشحر وحضرموت بن قحطان على جبال الشحر). [٢٣] إذاً فالشحر كما ذكرها المؤرخون أنها عرفت منذ قدم التاريخ ببلاد عاد.

ومما جاء في كتاب (الكامل في التاريخ) لأبي الحسن بن الأثير عن عاد فقال: (فأمّا عاد: فهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وهو عاد الأولى، وكانت مساكنهم ما بين الشحر وعمان وحضرموت بالأحقاف. [٢٤] وقال ابن الأثير أيضاً في كتابه (أسد الغابة): فأمّا عاد: فهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وهو عاد الأولى، وكانت مساكنهم ما بين الشحر وعمان وحضرموت بالأحقاف، فكانوا جبّارين طوال القامة لم يكن مثلهم، يقول الله تعالى: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوحٍ وزادكم في الخلق بسطة﴾ ، فأرسل الله إليهم هود بن عبد الله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص. ومن الناس من يزعم أنه هو دوهو غابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح.[٢٥] ويقول ابن خلدون في تاريخه: إن الذي دل عادا على جزيرة العرب هو رقيم بن ارم كان سبق إليها مع بني هود فرجع إلى عاد ودلهم عليها وعلى دخولها بالجوار فلما دخلوا غلبوا على من فيها ثم غلبهم بنو يعرب بن قحطان بعد ذلك وولى على البلاد فكانت ولاية ابنه حضرموت على هذه البلاد وبه سميت الشحر من ممالك جزيرة العرب مثل الحجاز واليمن.[٢٦] ويقول الشيخ سعيد عوض باوزير في كتابه صفحات من التاريخ الحضرمي عن تاريخ الشحر الأقدم: (ويذكر بعض الرواة أن هوداً ارتحل ومن معه من المؤمنين بعد النكبة التي حلت بقومه إلى الشحر ، وقال آخرون إلى اليمن ، فلما مات دفن بأرض حضرموت ولم يقم دليل تاريخي علمي ـ حتى الآن ـ على موضع قبر النبي هود عليه السلام ، ويزعم الناس

في حضرموت أن القبر الذي يقصده الناس كل عام للزيارة في منتصف شعبان هو قبر هود ، ويقع في شرق وادي حضرموت بالقرب من وادي برهوت).[٢٧] وهود عليه السلام أخو عاد ، وعاد قوم هود كما جاء في القرآن الكريم ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَّ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[٢٨] وقال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَّ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾[٢٩] والنكبة هي العذاب الذي أصاب قوم عاد الأولي (البائدة)، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴾[٣٠] ولم ينجُ من هذا العذاب إلا هود ومن آمن به والوفد الذي عاد من مكة ، ومن هؤلاء تتألف عاد الثانية كما يقول المؤرخون. ولكن الشيخ سعيد باوزير يؤكد أن كثيراً مما ذكره المؤرخون عن ذلك العهد يجب أن ينظر إليه بكثير من الشك والتردد؛ إذ لا دليل على هذه الأخبار سوى أقوال الرواة من الإخباريين الذين لا يستندون في أقوالهم إلى نصوص علمية معترف بها.[٣١]

ولهذا ذكر الشاعر المحضار ـ المثقف والمطلع على كتب التاريخ ـ أن الشحر (بلاد عاد) في شعره في أكثر من موضع وأكد على وجود بعض الآثار والرسم التي ما زالت باقية إلى اليوم ، وربما يقصد بذلك ما يتناقله الرواة عن مغارات جبل ضبضب الذي يقع في الشمال الشرقي للمدينة الحالية ، ويزعم الرواة أنها ترجع إلى قوم عاد ، وهذه المغارات ستبقى سراً غامضاً ما لم يصل إليها المستكشفون ويبينوا ما بداخلها من آثار.

ثم استطرد المحضار ليؤكد مدى اتساع ذاكرته التاريخية بأن الشحر جاءت في كتب التاريخ أيضاً تسمى بمدينة آل عاد الأولى مؤكداً وجود الآثار والنقوش التي تثبت ذلك ، مع التأكيد على جذوره التاريخية الممتدة الأصل لقوم عاد التي سادت منذ زمن التاريخ الأول وشادت من المباني ما يعجز عن بنائه قوم هذا الزمان حين

قال: (قوم يجمعني بهم ملة وأوطان) ولننظر في البيت الشعري الكامل ويظهر فيه قوم عاد وما شادوه من بناء وأثر لا زال قائماً يحاكي الزمن.

يا مدينة آل عـــــــاد الأثر والرسم عــاده
جل خلاق العبـــــــاد لي جعل حبك عبادة
فيك قد ســـوس وشاد كم ويا كم من جـواد
قوم يجمعني بهم ملة وأوطان
بالأحضان

والخطاب واضح في هذا البيت ولا يحتاج جدال ، الأثر والرسم لا زال موجوداً في المدينة وأساسات العمران تشهد بذلك وما عليه إلا أن يحرك أشجان الباحثين المتلهفين للمعرفة التاريخية.

٣ـ١ـ١ـ الأسعاء:

قال المحضار:

يا فرحـــــــــة الاثنين بالأسعاء
يا فرحة أهل الفكر لي هم في سعاد
يا فرحـــــــة الحداد والسعدي
وسعيد با صالح وبلســـــــود
وكاتب الوحـــــي والسقاف
ومن نسي شي مثلهـــم يسعى
يا أرض الأدب والشعر مجدك عاد[٣٢]

ذكر الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (٢٨٠ ـ ٣٣٤هـ) هذا الاسم (الأسعاء) معطوفاً على الشحر كما جاء في كتابه صفة جزيرة العرب (أهل الشحر والأسعاء ليسوا بفصحاء، مهرة غتم يشاكلون العجم ، حضرموت ليسوا بفصحاء، وربما كان فيهم الفصيح وأفصحهم كندة وهمدان وبعض الصّدف سرو مذحج ومأرب وبيحان وحريب فصحاء ورديّ اللغة منهم قليل سرو حمير وجعدة ليسوا بفصحاء وفي كلامهم شيء من التحمير ويجرون في كلامهم ويحذفون فيقولون يا بن معم في يا بن العم وسمع في أسمع لحج وأبين ودثينة أفصح والعامريّون من كندة والأوديون أفصحهم عدن لغتهم مولدة رديّة وفي بعضهم نوك وحماقة إلا من تأدب). (٣٣)

أما الشيخ عبد الرحمن بن عبد الكريم الملاحي فقد أكد على أن هذا الاسم هو الاسم القديم لمدينة الشحر بقوله: والأسعاء وهو الاسم القديم لمدينة الشحر جاء ذكره عند الجغرافي الروماني بطليموس في مطلع القرن الثاني الميلادي عندما وضع خريطة للساحل الجنوبي للجزيرة العربية ، وحدد بنقطة عليه موضع الميناء التجاري لإقليم الأسعاء وسماه (مركز الأسعاء) على نفس الموقع التي تقع عليه مدينة الشحر اليوم. وجاء ذكر الأسعاء كمدينة في نقش يزني حميري مؤرخ بالقرن الرابع الميلادي، أما المؤرخون العرب ومنهم ابن خرذاذبه في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي فقد أطلقوا عليها اسم الشحر.(٣٤)

وهذا الاسم (الأسعاء) اليوم لم يخلد كثيراً مثلما خلدت أسماء الشحر الأخرى ، ولم يتداوله الناس في محادثاتهم ولا الشعراء في أشعارهم مثل (سعاد) بل بقي تداوله مقتصراً على الكتّاب والباحثين والمؤرخين ، وقد حاولنا قدر الإمكان التفتيش في شعر المحضار لكننا لم نجد غير ما أوردناه أعلاه من قصيدته التي قالها يوم افتتاح

منتدى الأسعاء الثقافي بالشحر بتاريخ ١٦/ ٦/ ١٩٩٨م ، وهو المنشأ الوحيد الذي حمل ولا يزال يحمل هذا الاسم حتى بعد تعثره. وقد نقلنا الأبيات السابقة كما وردت في المصدر المنقول منه مع تحفظنا عليها وما شابها من قصور لعدم اطلاعنا على النص الأصلي ، أما الأسماء المذكورة في القصيدة هي لشخصيات ثقافية وأدبية واجتماعية شحرية تتوق لمثل هذه المنتديات الثقافية.

٤.١.١.سعاد:

قال المحضار:

قابليني يا سعـــــــاد والبسي ثوب السعـادة
عدت لك والخــير عاد عوّد الله كل عـــــادة
بعد ما طـــــال البعاد بيننا والشـــــوق زاد
اجتمعنا والتقينا واللقاء كان
بالأحضـــان [٣٥]

هكذا قال الشاعر المحضار في قصيدته الشهيرة بعنوان (سعاد) ، وسعاد اسم من أسماء الشحر التي عرفت بها ويتداول الناس اليوم هذا الاسم باستمرار ، ولعل المحضار وهو المهتم بتراث الشحر يستحسن استخدام اسم (سعاد) في أشعاره ، ونراه جلياً في هذه القصيدة وهو يخاطبها بعد العودة ، وقد صورها في أبهى صور الحبيبة واصفاً ذلك اللقاء بالأحضان. وقد تردد هذا الاسم في أكثر من قصيدة وربما كثر في أشعاره من أي اسم آخر للشحر. وقد يأتي الاسم متقدماً على الشحر وعلى الزبينة وعلى أم اليتامى وكلها من أسماء الشحر التي تضاف إلى سعاد ، ولعل (سعاد)

محرف من كلمة الأسعاء. ويقول المؤرخ خميس حمدان في كتابه (الشحر عبر التاريخ): وأما تسميتها بسعاد بقول كثير من المؤرخين أن سعاد محرف من كلمة الأسعاء التي هي السوق المهري الذي أقيم بين جبل ضبضب ومسيال دفيقة ، وكان المهرة يريدون تحويل أنظار الناس إليه بدلاً من سوق البلد ، وبعد انهياره عاد الناس لسوق بلدهم.[٣٦]

ولم تذكر الشحر باسم سعاد قي كتب التاريخ ولم تحكمها امرأة بهذا الاسم حتى تسمى باسمها ، ولكن كما يقول الأستاذ خميس حمدان وهو ابن الشحر: أن أقرب تسميتها (عاد) والسين جاءها من لهجة أخرى بين المهرية والسقطرية فلصق بها ، بينما أن بعض المصادر عمّن كتب عن المهرة قالوا أن لغتهم التي يتكلمون بها هي لغة (عاد) وقد أورد حمدان هذا القول:

الشحر أو قل سعاداً إن وجدت به سيناً أو ارْمِه تجدن الاسم من عاد

(إن حذفت السين من سعاد يكون الاسم (عاد) هذا معنى بيت الشعر).[٣٧]

والشحر لم تُذكر بين المؤرخين بهذا الاسم (سعاد) إلا عند الناس عامة ، والمحضار لم يأت به من فراغ ولكن لتداول هذا الاسم بين الناس فكان أحب إليه من أي اسم آخر للشحر ، ولهذا نراه يكرر ذكر سعاد في الكثير من أشعاره. ولنا وقفة تأملية من كتابنا (المحضار من خلال شعره) مع مطلع قصيدته (تدللي يا سعاد) التي قال فيها:

تدللي يا سعـــاد الشحر والخير زاد

وكل مقصود تم

زالت ليـــالي البعاد ودنت ليالي الوصـــال

دنيا ولا هي لحد من حال تتبدل إلى حـال[٣٨]

فأول ما ينظر المتذوق إلى حرف الواو في مطلع البيت فما هو موقعها من الإعراب؟

فالبيت هنا لا يستقيم ذوقياً بوجود حرف الواو ، وفي الوقت نفسه لا يستقيم وزناً إذا حذف. فإذا تحثنا عن الوصل والفصل في البيت بحديث عابر فإن المعنى هنا لا يستقيم إلا إذا ربط مؤدي الأغنية (سعاد بالشحر) ووصلها بوصف الشحر بدلاً من سعاد ، فإن سكت بعد كلمة سعاد ، فقد أنهى الجملة الأولى بها ، وعطف الخير على الشحر وعدت الزيادة في الخير وفي الشحر أيضاً التي أصبحت ابتداء لجملة أخرى. وهذا غير مقبول ذوقياً فالزيادة في الخير مقبولة ولكن كيف تكون الزيادة في الشحر؟. وعلى العموم نحن لا نهدف إلى تصحيح الخطأ إن كان خطأ لا في هذه الجملة من البيت ولا في غيرها وليس لنا الحق في تغيير الألفاظ وإنما نعلق عليها حسب وجودها في النص. لأن الشاعر أدرى بها منا وبما تحمله من معنى في باطنها. ولكن هذا البيت أوردناه ونحن نتحدث عن الوصل والفصل فرأينا أن التركيب يحتاج إلى تعليق بسيط قلناه كوجهة نظر قابلة للصواب والخطأ وليس لإظهار الهفوات إن وجدت. [٣٩] ومما أثار الشكوك في هذا البيت الشعري وضع الواو بين الشحر والخير ، فلو كُتِب بدونه لاستقام المعنى وانكسر البيت ، ولكن للأمانة ولعدم اقتناعي بهذا البيت واصلت البحث في عدة أماكن ومن ذوي الاهتمام بشعر المحضار ولحسن الحظ وجدت بغيتي البحثية في مجلة (ضبضب) الشحرية في مقال الأستاذ محمد سقاف الهدار بعنوان (سمعون في شعر المحضار) حسب التالي:

تدللي يا ســـعـــــاد الخير في الشحـــر زاد

وكل مقصود تم [٤٠]

فالشاهد هنا عبارة (الخير في الشحر زاد) وهذا هو الأقرب للصواب ، أما ما جاء في ديوانه للأسف لا يستقيم ذوقياً. وعلى ما يبدو أن الشاعر المحضار قد أخرج قصيدته

صحيحة وأن التحريف جاء من قبل المؤدي لها ، وربما كانت الطباعة من الأشرطة ومثل ذلك كثير. والأغرب من ذلك ما أورده رئيس فرقة الرقص الشعبي بحضرموت الباحث سعيد عمر فرحان (بو عمر) في ملحق جريدة الجمهورية (فنون) حين استشهد بالبيت على النحو التالي: (تدللي يا سعاد الشحر يا خير واد وكل مقصود تم ..... إلخ).[٤١] والهدار وفرحان هما من المهتمين بشعر المحضار ومتابعيه وأقربهما منه مجلساً ، وهذا ما يثير الشك عما ورد في ديوانه ، ويسبب الحيرة لدى الباحثين.

ولنا كلمة عن الفنان المؤدي للأغنية المحضارية خاصة والحضرمية بوجه عام، فعليه أن يتمعن الكلمات ويتذوقها لغوياً قبل أدائها لا أن يؤديها كما سمعها من الشريط ، وعليه البحث في معاني مفرداتها وبالذات المفردات التراثية التي جرفها سيل التطور للهجة الحضرمية ، والسؤال عنها ليس عيباً أو انتقاصاً من فنه بل يكسب به احترام الناس ومتابعيه. فالشاعر الفذ كالمحضار لا تخرج كلماته غالباً إلا بعد التأكد من صحتها وإن أخطأ لا سمح الله ـ وهو بشر ـ فيستدركها في حينها وقبل انتشارها ولو بإخبار البعض ممن حوله ممن عارضها وسأله عنها وقد حصل مثل ذلك. ولكن تظل مشكلتنا في حضرموت مشاع الأغنية للجميع والفنان لا يتعب نفسه بالذهاب إلى الشاعر

وهذا نموذج آخر للتدليل من أغنيته الشهيرة: (وشرناها من الشتري إلى الشلمان) وسنمر عليها في المبحث الخاص بالتراث البحري تحت عنوان (وشارة السفن الشراعية). حتى لا يكون الخروج عن المبحث الخاص بمسميات الشحر تجاوزاً إلى اللغة.

ولهذا الحب السرمدي لسعاد الذي جرى في عروق المحضار مع الدم لا يستطيع أن ينفك عنه في حله وترحاله. ولهذا قال في ابتهاله في طيبة:

جيتــك ببعض الأهـل والأولاد فانظر إلي واعطـــــف على أولادي

وانظر إلى من عادهم بسعـــــاد إسعـــادهم من ضمـــــن إسعادي
هيّئ لـــهم أيـــــام مسعـــودة عدنـــا إلى طيبـــة عسى عـــــودة [٤٢]

إذاً ، فالمحضار زار مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم (طيبة) ببعض أهله وأولاده كما قال ، إلا أن هناك الآلاف منهم لازالوا في الشحر (سعاد) وكأنه يحمل وزرهم ويتأسى عليهم ويدعو الله أن يجعل أيامهم كلها سعادة وخير ، لأن سعادته من سعادتهم. فالمحضار كعادته يشتاق لسعاد في غربته التي لا تدوم طويلاً فهو الذي قال: (في خير أنت ونا با نلتقي في سعاد).

وتأتي لفظة سعاد منفردة بوصفها اسم للشحر كما تضاف الشحر إليها تضاف إليها الزبينة أيضاً ، وهي من أسماء الشحر. ومن أمثلة ذلك قوله:

رعى الله أيـــام زينة معـــــه في سعاد الزبينة
لهـــا سر بيني وبينه عالنـــاس نخفيـــــــه
صابر وفي القلب ما فيه[٤٣]

٥ـ١ـ١ـ السوق:

قال المحضار:

سعيّودي[٤٤] عبر في السوق بالرمان[٤٥] متغطي
ولا عنده درية من برح في الأرض وإلا طـــار

هنا المحضار قد أشار إلى الشحر بالسوق (وهي تورية بين اسم الشحر ومكان البيع والشراء) ، والسوق هي من أسماء الشحر كونها كانت ولازالت سوقاً للجميع من مشقاصها ومعرابها[٤٦] من بدو وحضر ، ومن عقال ومجاذيب ، وحتى هؤلاء المجاذيب مثل سعيّودي ـ رحمه الله وأشفى الأحياء منهم ـ لم يسلموا من شعر

المحضار، لكن ذكره لهم له دلالة عميقة في المعنى لم يكن عفوياً أو من قبيل الصدفة أو تغليب استهواء ينتقص من آدميتهم ، حاشا وكلا.. وإنما لأنهم لا تعنيهم سياسة الواقع في أي مجال من مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية وغيرها مما يترتب على العقلاء الاهتمام به. وكل همهم في الدنيا أن يأكلوا لكي يعيشوا ولم يتحملوا الحياة بأعبائها وغير مكترثين بصروف الزمان ونوائبه.

وسعيّودي ـ رحمه الله ـ واحد من هؤلاء المجاذيب بل واحد من عقلاء المجاذيب إن لم يكن أعقلهم في الشحر ، فإن كان من العقلاء مجانين فمن المجانين عقلاء يسمونهم بعقلاء المجانين لجنونهم السرمدي لمحبوباتهم ، أو لشيء ما أحبوه حتى الجنون. وسعيّودي أحب السوق حباً جنونياً وتعلق به تعلق الفطيم لمرضعته حين فطامه ، ولهذا كانت السوق ولعه الكبير ، لا ينفك منه ولا يحيل عنه. فلم يتخذ السوق سوقاً للبيع والشراء ، ولكن اتخذه تيمناً لمصاحبة البائعين القدامى من أبناء مدينته سعاد ومن القادمين إليها. وقد قال المحضار:

وخرج إلى مّا[٤٧] السوق با يجيب الزواد
كلٍ على ميسور حاله في البلاد
أما إذا قد ساعد المولى وجاد
با يملي المخزن من الحب والطحين [٤٨]

وقال أيضاً وهو يتحدث عن الفلاح الذي يسمّي كغيره من الفلاحين الشحر بالسوق:

وشي طلع به الدرع حطّه عالسرف[٤٩]
وشي دخل به السوق ، يقبض فيه صف

وانته صناديقك معـــــك ، ثقّل وخف

وحمارك الجيّد معك ما هـــو هوين [٥٠]

والمحضار هنا ربط التراث الشحري للصيادين بالتراث الريفي من خلال الرحلة السنوية للأسر الشحرية التي يسمونها (الخرفة) أو (الخريف) إلى أرياف الشحر، ويسمونهم عند قدومهم إلى الريف (الرواكب) لأنهم يأتون راكبين على الجمال والحمير قبل وجود السيارات ، وفي البيتين السابقين يعمد المحضار على إظهار حركة التجهيز للخرفة والاستعداد التام لها قبل الخروج من الشحر ، على اعتبار أن يأخذوا كل ما يحتاجونه من السوق من زواد (مؤن) كالطحين والأرز واللخم[٥١] والمالح[٥٢] والحنيذ[٥٣] وكماليات تتناسب والمدة التي سيقضونها في الريف ، وهي تتراوح بين الشهر إلى الثلاثة شهور. وبالمقابل يظهر المحضار في المقطع الثاني حركة الفلاح في تجهيز التمور الجافة وتخزينها. بينما بعضها الطازج يرسله إلى السوق (الشحر) لبيعه أو يكون بمعيته في السوق إذا ما أراد أن يشتري بمقابل ثمنه مقاضيه مما يحتاج إليه في الريف أو يكون مرسلاً إلى مالك النخيل (الطبين). وسنفرد لها حيزاً من الحديث في المبحث الخاص بالزيارات الموسمية تحت عنوان (الخرفة).

والشحر تعتبر سوقاً للجميع وهم يطلقون عليها اسم السوق وإلى اليوم ، ولا يزال هذا الاسم يستخدم من قبل أهالي الأرياف المجاورة ومن أهالي المشقاص وربما المهرة أيضاً ، وهم لا يقصدون بالسوق سوق البيع والشراء ولكنها عندهم كلمة واسعة الدلالة تعني الشحر بكل ما فيها.

وقد كان للعرب في الجاهلية أسواق يقيمونها في شهور السنة وينتقلون من بعضها إلى بعض، ويحضرها سائر قبائل العرب من بعد منهم ومن قرب، فكانوا ينزلون

دومة الجندل أول يوم من ربيع الأول، فيقيمون أسواقها بالبيع والشراء، والأخذ والعطاء، فيعشرهم رؤساء آل بدر في دومة الجندل وربما غلب على السوق بنو كلب فيعشرهم بعض رؤساء كلب، فتقوم سوقهم الى آخر الشهر، ثم ينتقلون إلى سوق هجر وهو المشهور في ربيع الآخر فتقوم أسواقهم بها، وكان يعشرهم المنذر بن ساوى أحد بني عبد الله بن دارم، ثم يرتحلون نحو عمان بالبحرين، فتقوم سوقهم بها، ثم يرتحلون فينزلون ارم وقرى الشحر فتقوم أسواقها بها أياماً، ثم يرتحلون فينزلون عدن من اليمن أيضا فيشترون منه اللطائم وأنواع الطيب، ثم يرتحلون فينزلون الرابية من حضرموت، ومنهم من يجوزها إلى صنعاء، ثم تقوم أسواقهم بها ويجلبون منها الخز والأدم والبرود وكانت تجلب إليها من معافر، ثم يرتحلون إلى عكاظ في الأشهر الحرم فتقوم أسواقهم بها، ويتناشدون الإشعار ويتحاجون، ومن له أسير سعى في فدائه، ومن له حكومة ارتفع إلى الذي يقوم بأمر الحكومة، وكان الذي يقوم بأمر الحكومة فيها من بني تميم، كان احدهم الأقرع بن جابس، ثم يقفون بعرفة ويقضون مناسك الحج ويرجعون إلى أوطانهم.[٥٤]

وقد ذكر سوق الشحر الشيخ سعيد عوض باوزير في كتابه الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي فقال: (أما سوق الشحر فيقام في النصف من شعبان كل عام وطريقة البيع في هذه السوق برعي الحصا وإلقاء الحجارة كما في سوق الجندل فإذا فرغوا من هذه السوق ارتحلوا إلى سوق عدن أبين فينزلون بها.)[٥٥] وهذا الحديث السابق عن لفظة السوق بمعناها المعروف في البيع والشراء، ولكن الشيخ محمد عبد القادر بامطرف كان يتحدث عن الشحر باسم السوق في كتابه الشهداء السبعة ، وقال: بعد دخول الجزء الغربي من حضرموت قي اتحاد سبأ ـ ريدان ـ حضرموت غرب يمنات في حوالي سنة

٣٠٠ ميلادية ، حوّل الحضارم الشرقيون الذين لم يدخلوا هذا الاتحاد مركز تجارتهم من شبوة إلى شبام (حضرموت) في الشمال ، كما حوّلوا مركز تجارتهم من (القنا) وهو ما يعرف اليوم بمنطقة (بئر علي) إلى ميناء في الساحل الحضرمي اسمه (السوق) وهو الميناء الذي عرف فيما بعد باسم (الشحر).[٥٦] وقال المؤرخ والأديب عبد الله باحسن عن الشحر: يقال لها سوق سمعون ، وسوق الأحقاف قديماً وحديثاً.[٥٧] وأضاف نقلاً عن سبائك الذهب قوله: وللعرب أسواق كانوا يقصدونها في السنة، إلى أن قال: ثم يرتحلون نحو عمان بالبحرين فيقوم سوقهم بها، ثم نحو قرى الشحر فيقوم سوقهم بها إلى آخر ما ذكره ، وهي ساحل حضرموت.[٥٨] ولأنها سوقاً كما ذكر المؤرخون فقد استحوذ هذا الاسم على الشحر وعرفت به من قديم الزمان وإلى اليوم.

٦.١.١.الزبينة:

قال المحضار:

سال من رحمة الله كل وادي يا سعاد الزبينة يا بـــلادي

أصبري واسهري لا تغمضي العين

كل ما جابه الله زين

للقدر با فتح قلبي على بابين

كل ما جابه الله زين

تأتي الزبينة مضافة أكثر ما تأتي إلى سعاد كما تأتي مضافة إلى الشحر وهكذا يستخدمها الشعراء بما فيهم المحضار وقد بحثنا على معنى لهذا الاسم في المعاجم فوجدناه لا يعطي المعنى المتداول شحرياً ، ولعل لفظ (الزبينة) يكون اسماً عامياً بمعنى الرفيقة أو الصاحبة المشتق من الاسم (زِبْن) المكسور أوله والساكن ثانيه ، وليس من الفعل

الفصيح (زَبن). وهكذا أضيفت الزبينة إلى سعاد لتصبح سعاد الرفيقة والصاحبة بها. فإن لم يكن هذا صحيحاً فالأقرب إلى الصحيح أن تكون بمعنى المحمية.

ذكر المحضار الزبينة في القصيدة التالية:

رغم الأسى والحزن قلبي ما تناسى الود
والوصل يوصل ما انفصل ويقرّب المبعد
ولا مع الإنسان غير الجبر والكلمة الحسينة
لا طال حزنك يا سعاد الشحر يا أرض الزبينة

وفي قوله:

مالك كذا يا الشحر خلّيتي الصفاء يفسد
أين الوفاء والعهد ذي في قبلة المسجد
يا شحرنا مالك تصحرتي وقد كنتي مدينة
لا طال حزنك يا سعاد الشحر يا أرض الزبينة
أصبحت عاجز فيك لا خطّم ولا قيّد
ما غير لا أيّد عبيد القارني إيّد
سلام عا أيام بن حبريش هو وابن الزبينة
لا طال حزنك يا سعاد الشحر يا أرض الزبينة [٥٩]

وفي قوله:

رعى الله أيام زينه معه في سعاد الزبينة
لها سر بيني وبينه على الناس نخفيه
صابر وفي القلب ما فيه [٦٠]

فيا له من سر بين المحضار والزبينة أخفاه على جميع الناس ، فمهما اجتهدنا وحاولنا فك طلاسمه وكشفه فلن نستطيع إلى ذلك سبيلاً.

٧ـ١ـ١ـ سمعون:

ومن ذكره لسمعون قوله:

سمعون والتاريخ يشهد والفن والسمـعة
وحضارة الماضي وهمة شهـــــدائنا السبعة
وإحنا إذا قلنـــــا بشيء ما نزيّف التاريخ
لا فوق يا سمعون علّي واشرف على الدنيا من المريخ

لقد ربط السيد المحضار سمعون بالتاريخ والفن وحضارة الماضي ، ذاكراً الشهداء السبعة الذين استشهدوا في العام ١٥٢٣م في أثناء الغزو البرتغالي على مدينة الشحر، وهذه الأبيات كدليل يؤكد به تسمية الشحر بسمعون وهي حقيقة تاريخية وليس تزييفاً للتاريخ كما قال.

وفي اغترابه عن سمعون المدينة يزداد حنينه وتكثر لوعته ويتذكر محبيه ، لكنه يتمسك بأمل اللقاء فنجده يقول:

لو ما علايم شـــوق تبـــدي نـــورها ما اختـــــفى
يظهر علي من قدى سمعون في الليل وقت الظـــــلام
مرت علينا ليالي من ليالي الصفاء
وأيام في المنطقة مني عليها سلام[٦١]

ودار الحول وكان اللقاء فقال:

سمعون قال أهـــــــــــلا
بالنوب واليعسوب لي منّه كؤوس أهل الهوى تملا
والجبر طعمه كالعسل وأحلا
وعلى لقانا يا حبيب القلب دار الحـــــــــــول
يغلب عليك القـــــول
لو عدتنا ووفيت وعدك بارضي عالطـــــــول
يغلب عليك القـــول[٦٢]

وعلى لسان شاعرنا المحضار تأتي الإشارة إلى إكبار سمعون والهيام به فلم يعد لوحده متيماً ولا مفتوناً به ولكننا لا نعلم سر ذلك الهيام ولمن؟ هل هو للوادي وجلساته؟ أم للمدينة والوطن مسقط رأسه؟.. أم للنادي وصحبه وجلسائه؟ (سمعون الاسم الحديث للنادي الرياضي بالشحر) أم تسقط كل هذه التوقعات فيكون الهيام بمن سكن الديار؟ فكل شيء ممكن وجائز.

ومما قاله عن سمعون:

يا سين (سمعون) كم هاموا بك الشـــعـــار
وكم تغنـــــوا بوديـــــــــانك وما فيها
ما هام بك باحسن[٦٣] وحده ولا المحضار[٦٤]
كل من سمع عنك قصـــــــة بات يرويها
مهد الحضـــارة على ما تروي الأخبـــار
وســـوق للعرب حاضـــــرها وباديها

هذه الحقيقة التاريخية التي لم تغب عن المحضار بما ترويه عنها الأخبار(سمعون

هي الشحر ، والشحر مهد الحضارة ، وسوق العرب منذ القدم). وقد سميت الشحر بسمعون نسبة إلى الوادي المسمى بذلك الاسم الذي يمر بها ويقسمها إلى قسمين ليصب في بحر العرب. ويذكر المؤرخ خميس حمدان في حاشية كتابه (الشحر عبر التاريخ) بقوله: سمعون تسمى باسم الملكة (سمعون) بنت الهميسع بن النمر القضاعي (ملك الشحر) والتي تولت حكم الشحر بعد أبيها في عهد مجهول ويتوقع بحسب الروايات أنه في أول عهد ميلاد المسيح ، وسبب التسمية أن سمعون لما تزوجت بابن عمها (شرحبيل بن طابنح) وكان قائد سفينة بحرية وغرق في رحلة في عودته من أفريقيا الشرقية. وبعد زواجها أطلق والدها اسم الوادي بها (سمعون) وكان يسمى وادي (السرح) باسم شجرة برية تزرع من نفسها يسقف أهل الشحر منازلهم منها لأنها ضد حشرات الأرض. ويذكر عراء الشحر ذكر الملكة سمعون في أشعارهم الشعبية.[٦٥] ويذهب السيد عبد الله باحسن إلى أبعد من ذلك وهو يتحدث عن الشحر بقوله: وفي شرح القاموس أيضاً الشحر بطن الوادي وبحري الماء وبأحدهما سميت المدينة. قلت: (والكلام لباحسن) والمشهور في تعريفها الواد المذكور الذي هو من جانبها القبلي المسمى سمعون وبه تلقبت به قديماً.[٦٦]

وتجدر الإشارة إلى أن سمعون وهو على وزن حمدون وعبدون وسعدون أسماء مذكرة ، وكما هو الحال فسمعون أيضاً على وزن طفلون وسلمون وبركون وهي أسماء مؤنثة. ولذا يحتمل هذا الاسم أن يسمى به المذكر والمؤنث على حد سواء ، كما يطلق اسم سلامة وكرامة على الجنسين.

٨-١-١-الكحيلة:

اشتقنا لـــهم بالعكس هم ما اشتاقوا لنا

تناسـوا حديث الأمس لي دار ما بيننـــــا
يا أهل سمعون الكحيلة إذا عدنا
قدها لكم عادة لنا تخلقوا الأعذار
أنا ما نسيت الشحر مهما فرقت ما بيننا الأقدار

ويتعمق بنا المحضار في أسماء الشحر لتخليد ذكرها وها هو يذكر في أعلاه الكحيلة ، والكحيلة اسم من أسماء مدينة الشحر وتأتي أكثر ما تأتي مع السوق كما سبق في القصيدة ، ومع سمعون فيقال: سمعون الكحيلة. ولم نجد ما يدلنا على المعنى الاصطلاحي لهذا الاسم ، ولِمَ اتصفت به الشحر؟ وهل للملكة سمعون ارتباط بهذا الاسم كونه يأتي ذكره معها؟ فإذا صح هذا الارتباط فستظهر لنا جلياً صورة هذه الملكة الكحيلة وغلوها في استخدام الكحل للزينة ، وهذا ما ينسجم مع المعنى اللغوي للكحيلة. ففي اللغة كحل العين كحلا جعل فيها الكحل فهي مكحولة وكحيل وكحيلة ، وكحلت العين كحلا اسودت أجفانها خلقة وهي كحلاء واكتحلت المرأة وضعت الكحل في عينيها وتكحلت المرأة اكتحلت والكحل كل ما وضع في العين يستشفى به مما ليس بسائل كالإثمد ونحوه.[٦٧]
والمحضار في البيت التالي قد جعل الكحل من الزينة وهو كذلك:

وهم عطـــوهم من تباتيـــــك البلـــد
من لي معـــــاهم كل شي معهم يجـــد
حتى الكحـــل والعطر والدمح[٦٨] السود
والفـل والنـعنـع وقصـــــعة ياسمين [٦٩]

١.١.٩.أم اليتامى:

أم اليتامى اسم من أسماء الشحر وهو الاسم الأحدث لها حيث يظهر اتساع الشحر للوافد إليها وملجأ لمن لا ملجأ له ، ففي أيام القحط وانعدام فرص العيش يأوي الناس إلى مدينة الشحر ليجدوا ما طاب لهم فيها ، نظراً لطيبة أهلها وكرمهم ووجود الخير فيها بزيادة ، فضمت إليها الأسر النازحة من بلدانهم واستوطنوا بها، أضف إلى ذلك احتماء المجانين بها واحتضنت من قضى أهله في الحروب ولذلك أطلق عليها لقب أم اليتامى وأم المساكين كما نعتقد. وهكذا ظلت أم اليتامى تستقبل الأفواج تلو الأفواج من البشر حتى اتسعت رقعتها الجغرافية وزاد عدد السكان بها.

١.٢.الحارات القديمة للشحر:

قال المحضار في رثاء زميله الشاعر عوض سالمين باصالح:

وابعث إلى الرملة العزاء والخور والناس لي داخـل وخارج السـور
وانشـر تعازينـا على الجمـهور من حاضر أهل الشحر والبـادي [٧٠]

وقال أيضاً:

ولي في الفن نادي ومعـرض ومتحف
ووادي خصب لا حف ساعة ولا جف
سل القرية وسل خـور عني ومجـرف
وسل عقـل الغريبي وعقـل العويني

هكذا اشتملت الأبيات السابقة على عدد من الحارات القديمة للشحر والتي لازالت تحتفظ بهذه الأسماء ، رغم السطو الثقافي عليها واستبدالها بأسماء حديثة

تواكب التطورات السياسية ووجوب ذكرها في المخاطبات الرسمية ، إلا أن الأهالي لم يرق لهم هذا التهميش المتعمد ولم يفلح ، وبقي الخطاب الشعبي على ما اعتاد عليه الناس من الأسماء التاريخية لحاراتهم.

قال العلامة عبدالله بن محمد باحسن: اشتملت الشحر في آخر الزمان على سبع حارات قائمة المباني ، عامرة بالأهالي ، فأولها حارة القرية وكانت العمارة بها سابقاً، وبها سوق الخان القديم ، ثم حارة المجرف ، ثم حارة الرملة ، وهؤلاء الثلاث أقدم ما كان بها ، ثم حارة أبي عوين ، ثم حارة أبي غريب ، ثم حارة المقد ويقال لها الحوطة ، ثم حارة الخور.[٧١]

والحارات أو الحويف ومفردها (حارة أو حافة) هي نظام اجتماعيي ينظم علاقة الفرد بالأسر المحيطة به ، وقد اشتهرت الشحر بهذا النظام وربما تكون الأولى في الصدارة من بين مدن حضرموت ، وهناك اختلاف في المصادر حول نشأت الحارات ما بين القرنين السابع والتاسع الهجري ، ولكننا لو نظرنا إلى الشحر لوجدنا أن هذا النظام يكاد يكون قائما ما قبل هذا التاريخ نظراً لعراقة الشحر التاريخية. وتدير كل حارة مهامها ومسؤولياتها داخل حدود معلومة ، وللدور الاجتماعي فيها بالغ الأهمية من إصلاح ذات البين ، والمعايدة ، والمؤازرة ، وانتشال الغريق ، وإطفاء الحريق ، وتجهيز الأموات ، وطبخ الطعام في الولائم والمآتم وأكثر من ذلك وبدون مقابل مادي. ناهيك عن الدور الثقافي الذي تلعبه الحارة من خلال تقديم الفنون الشعبية المتنوعة في المناسبات الفرائحية ، وبقيت الحارة في الشحر إلى اليوم تحتفظ بهذا الموروث الشعبي بأنواعه. ويقول الباحث حسين الجيلاني عن نظام الحارات: واستمر هذا النظام لمدة ستة قرون في هدوء وسكينة ، أما العصبية والصراعات المتكررة بين الحارات فقد ظهرت في القرن ١٣ ـ ١٤ الهجري.[٧٢] وعلى العموم

أن هذا النظام المجتمعي له الأثر البالغ في تحديد العلاقات العامة مع الغير داخل المجتمع الواحد ويسهل التعرف على ساكني الحارة. وقد قسمت الشحر إلى عدة حارات (حويف) تتنافس فيما بينها في الأنشطة الاجتماعية في جميع المناسبات والتآزر والتعاون فيما بين سكانها والتزامهم التام بأنظمة الحافة ، ولكل حافة مسؤول عنها يسمى (مقدم) أو عاقل الحافة ، والأحياء الكبيرة تضم عدداً من الحويف لتصبح حافة كبرى وتسمى في الشحر (عقلاً) ، وسميت بالعقل عندما كانت الجمال تعقل بها ، ويقسّم العقل إلى أربعة أو خمسة أجزاء ، يسمى كل مسؤول في جزء مقدم ربع ، ولكل عقل مقدم عام خاص به ويساعده مجلس شورى يضم هؤلاء الأربعة المقادمة، وأهمها: (عقل باعوين) نسبة إلى الشيخ أحمد باعوين شرقها ، وعقل باغريب نسبة إلى الشيخ سعيد أحمد باغريب غربها ، والعكف والسوق هما الفاصل بين العقلين ، والمسيال هو الحدود الفاصلة بين الحوطة وعقل باغريب ، وساحة حصن بن عياش هي الحدود الفاصلة بين حافة القرية وعقل باغريب ، رقيص عمرو[٧٣] ومطراق حنين[٧٤] هي الحدود الفاصلة بين المجرف وعقل باعوين. وهذه الحدود العرفية إنما تمثل الواقع الدائر بين الحارات من حيث أنشطة الألعاب والرقصات الشعبية مثل: العدة والشبواني والمشاعيل وهذا ما يجب على الجميع الالتزام به وأي اختراق أو تعصب يؤدي إلى التعارك بين الطرفين.

ويذكر الباحث حسين عبد الله الجيلاني في محاضرة له في منتدى الخيصة بالمكلا بقوله: قد يجري الاختلاف بين أبناء الحارات على الحدود الوهمية وينتهي الأمر بهم إلى تقديم بلاغات ودعاوي إلى السلطة والتي قد تجد أحياناً صعوبة في الفصل بالأمر مما يؤدي إلى نشوب الصراعات والاشتباكات فيما بينهم وينتج عنه

سجن وتغريم.[٧٥] أما الباحث سامي بن شيخان فقد ذكر في دراسته التي نشرها في نشرة (صدى) الصداعية تحت عنوان (الحافة وتأثيرها في المجتمع الحضرمي) أنه ، قد سُجّلت عدد من المعارك ذهب ضحيتها أشخاص وأصيب آخرون ظلت آثارها واضحة على أجسامهم بل ومعوقة أحياناً ومنها على سبيل المثال:

ـ معركة حافتي المجرف والمجورة بالشحر في عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م والتي قتل فيها شخصان من المجرف وجرح فيها الكثيرون.

ـ معركة العكف بين حافتي عقل باعوين وعقل باغريب عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م والتي جرح فيها الكثير من الطرفين.

ـ معركة الغالبي التي وقعت عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م بين عقل باعوين وعقل باغريب وقد أصيب فيها العشرات من الرجال.

ـ معركة الشيخ سعد التي وقعت عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م بين حافتي عقل باعوين وعقل باغريب والتي جرح فيها عدد من رجال عقل باعوين بإصابات بالغة.[٧٦]

وهناك اختلاف فيما أورده الباحث بن شيخان حول معركتي العكف والغالبي مقارنة بما سجله المدون الشيخ مبارك بن صالح لرضي الذي واكب الأحداث بقوله بالعامية: الهدّة[٧٧] بين عقل باغريب وعقل باعوين في السوق عند العكف حق بو سبعة في حكومة ناصر أحمد بوبك الحدادي في تاريخ ١٦ محرم ١٣٢٦هـ.. وبتاريخ ٦ محرم ١٣٤٧هـ استوت هدة ما بين الحويف عقل باغريب وحافة عقل باعوين عند مسجد الغالبي الساعة ١١ قبل المغرب في حكومة حامد عبد الخالق الماس.[٧٨] وتظهر عاميته في استخدام لفظة (هدة) بدلاً عن (معركة) ولهجته أقرب إلى الصواب لأن هذه الأحداث مجرد شجار

وعراك بالأيدي والعصي ولا تصل إلى استخدام السلاح البارودي ، أضف إلى ذلك استخدامه التوقيت الغروبي للشمس بما يعرف شحرياً بالتوقيت العربي.

والعكف ومسجد الغالبي هي الحدود الفاصلة بين عقل باعوين وعقل باغريب قديماً فيما أدخل مسجد الغالبي إلى حدود عقل باغريب فيما بعد. وقد دون هذا الشيخ (لرضي) الكثير من هذه الأحداث في مدوناته اليومية التي كتبها على امتداد أربعين سنة متواصلة.

والشيخ / مبارك بن صالح لرضي رحمه الله ولد في مدينة الشحر في نهاية القرن الثاني عشر الهجري وتوفي بها في ٢٥ رجب ١٣٨٤هـ الموافق ٢٩ نوفمبر ١٩٦٤م، وعاش جل حياته في مسقط رأسه الشحر ، وهو رجل متوسط الحال ، عمل في تجارة التجزئة (دكان معطارة) كما عمل له مفرش صرافة صغير للعملة النقدية ، وهب نفسه لكتابة التاريخ اليومي بحلوه ومره ، وبغثه وسمينه. لينتفع منه الخواص والعوام. وهكذا، فالعارف والأمي كل يجد بغيته في تدوين الشيخ لرضي ، فمن لا يهتم بأخبار الكي والختان ، فيهتم بزيارة الأمير والسلطان. ومن يهتم بمواليد البنات والصبيان، لا يهتم بوفيات الساسة والأعيان. فأصبحت مدوناته موسوعة شاملة ، شملت الاجتماع والسياسة ، وأخبار القادة والساسة ، ومعرفة التجارة والأسعار ، وما بيع بالمكيال والبهار. فهو بحق جدير بالبحث والدراسة ومدوناته مرجع لكل دارس في تخصصه. وقد اطلعنا على بعض السجلات المدون فيها من سنة ١٣٢٢هـ وما بعدها.

ومن أهم بنود مدوناته اليومية:

- الأحلاف بين الدولة والقبائل
- التاريخ السياسي والعسكري
- الوفيات والمواليد والختان

- أخبار السلطان والتعيينات
- أوامر البلدية وانتشار الأمراض المعدية
- الزيارات الخاصة والعامة
- عمارة المساجد
- إبحار السفن والمراكب وحركة البحر
- الصادرات والواردات وأسعار المبيعات وصرف العملة والمقاييس من وزن وكيل
- المواقيت والظواهر الجوية والطبيعية من كسوف وخسوف وأمطار ورياح
- حركة أهالي الشحر من وإلى الخارج
- الزواجات والاحتفالات
- المشاكل اليومية بين عقل باغريب وعقل باعوين وحروب البادية والنهب والسلب
- خصوصيات بيته ودكانه[٧٩]

ومما قاله العلامة عبد الله بن محمد باحسن في النفحات المسكية: اشتملت الشحر في آخر الزمان[٨٠] على سبع حارات قائمة المباني ، عامرة بالأهالي ، كما سبق ذكره، ولكن هذا العدد زاد عند الشيخ محمد عبد القادر بامطرف في الشهداء السبعة ، وزاد أيضاً عند الأستاذ خميس حمدان في الشحر عبر التاريخ ، وبالمقابل أنشئت بعض الحارات الجديدة في هذا الزمن الذي نكتب فيه هذا العمل ٢٠١٧م.

ومما قاله المحضار متحدثاً بلسان الشحر في الأبيات التالية ، يجعلنا نتجول معه في حاراتها لنتعرف من خلاله عليها:

ولي في الفـــــن نادي ومعرض ومتحف

ووادي خصب لا حف ساعة ولا جف

سل القرية وسل خـــور عني ومجرف

وســـل عقل الغريبي وعقل العويني

والحارات المذكورة سابقاً هي أقدم الحارات في الشحر ولا زالت تحتفظ بأسمائها ولكن الشاعر المحضار يؤكد في ما يلي على حارة القرية كما في قوله:

وأنا حطيتــهم داخـــل اعيــوني يا موليّه

وما طلبــوه جبتـه وسط ماعوني يا موليّه

وتشهد لي النوَب ومعــالم القرية يا موليّه

أنا بتّيت[٨١] في حبــك مئة ليّــه يا موليّه [٨٢]

هكذا يؤكد السيد المحضار في ربط شعره بالتراث عراقة حارة القرية بالشحر ليجعل معالمها شاهدة على أقواله ، ومن أهم هذه المعالم الشاهدة إلى اليوم الجامع الكبير ، أضف إلى ذلك بقايا آثار دار البياني وغيرها ، كما أنه لم ينسَ النوَب[٨٣] المتصلة بسورها.

وقال المحضار ذاكراً ما لم يذكره سابقاً من حارات ومعالم مثل سدة الخور والحوطة ومطراق حنين:

شل نفســك رفـع يا بن عبـــادي

سدة الخـــــــور والحوطة تنادي

جالك السيــل من مطراق حنّين

كل ما جابه الله زين

للقدر با فتح قلبي على بابين

كل ما جابه الله زين[٨٤]

وهنا أضاف المحضار حارة عيديد:

وقعـت أنـا في ضيـق نسّم بالغنـــاء ضيقي وفرّج
والقلب يتهيّض مع صـــوت الغناء والرأس يدرج
غن وأنت في عيديد سمّع من في الحوطة وفي الخور
الجبر في الدنيـــا ونـا من صاحبي ما زلت مجبـور[٨٥]

وسوف نأتي بالحديث الوجيز عن هذه الحارات لعلنا نلم بها ، ونتعرف عليها عن قرب ، وبالمقابل نتعرف على ارتباط المحضار وتعلقه الجنوني بها ، مع الأخذ بعين الاعتبار في وضعية ترتيب الحارات العشوائي لأننا لم نطلع على الجدول الزمني لإنشائها ، غير معرفتنا بأن حارة القرية هي نواة الشحر القديمة العامرة.

١.٢.١.حارة القرية:

حارة القرية هي نواة الشحر الحقيقية وهي مركز الأسعاء القديم وأن قبيلة كندة هي التي أطلقت عليها اسم (القرية) ، وأن حارة القرية هي موطن كندة القديم (الأسعاء) ، وظلت محتفظة على حدودها إلى اليوم كما وصفه وحدده المؤرخون فطرفها الغربي يقع على ضفاف الدلتا الشرقية لمسيال سمعون ولا زال موقع مسجد الجامع الكبير على الموقع نفسه الذي اختطته قبيلة كندة بعد إسلامها في العام العاشر الهجري وعلى ضفة فرع وادي سمعون الشرقي بالقرب من شاطئ البحر ، أما طرفها الشمالي فهو السوق الحالي مع الشارع العام الخارج منها المؤدي إلى شرق المدينة الحالية المعروف بمطراق حنين ، أما طرفها الشرقي شارع طويل يمتد من طريق مطراق حنين شمالاً حتى شاطئ البحر جنوباً وحارة المجرف.[٨٦]

١.٢.٢.١. حارة الحوطة:

وكانت تسمى (الحور) وكان يسكنها عدداً من رجال الدين والفقهاء والتجار ، وفي العصر الحديث اشتهرت بحياكة المعاوز.

١.٢.٣.١. حارة المجرف:

جل سكانها من الصيادين وسميت بالمجرف لوقوعها على أجراف الطين المطلة على الشاطئ.

١.٢.٤.١. حارة الرملة:

جل سكانها من الصيادين وسميت بالرملة لوقوعها على كثبان الرمل الساحلية.

١.٢.٥.١. حارة الخور:

جل سكانها من الصيادين وسميت بالخور لانخفاض أرضها عن المنطقة التي تقع إلى جانبها الجنوبي بحيث تحجبها عن رؤية الناظر إليها من شاطئ البحر.

١.٢.٦.١. حارة الجزيّرة:

جل سكانها من الصيادين وسميت بالجزيّرة لأن مسيال سمعون الذي يخترق مدينة الشحر في موقعين ويصب في البحر يحيط بالجزيّرة من الشمال والغرب والشرق ويحدها البحر من الجنوب.

١.٢.٧.١. حارة المحط:

وهي منطقة محط القوافل القادمة من وادي حضرموت والذاهبة إليها وكان يسكنها البدو والعمال الذين يقومون بخدمة رجال القوافل ، أما اليوم فهي واحدة

من أسواق المدينة المتحضرة.

١.٢.٨. حارة المجورة:

وهي على الشاطئ الشرقي لبحر الشحر وقد عرفت في عهد الشيخ أحمد بن أبي بكر بن سالم القادم إلى الشحر عام ١٠١٧هـ.

١.٢.٩. عقل باغريب:

وهو المنسوب إلى الشيخ الفقيه سعيد بن أحمد باغريب صاحب المسجد المعروف باسمه ، ويضم الآن أربع حارات هي: حارة الجول ـ حارة الرقة ـ حارة السبعة ـ وحارة الجزيّرة.

١.٢.١٠. عقل باعوين:

وهو المنسوب إلى الشيخ أحمد باعوين المهري وله هناك مشهد يزار ، ويضم الآن خمس حارات هي: حارة المحضار ـ حارة العيدروس ـ حارة عمرو باذييب ـ حارة عيديد ـ وحارة بن جوبان.(٨٧)

ولكل حارة مقدم مساعد للمقدم العام للعقل. ويرتبط العقل بمعاهدات وبروتكولات اجتماعية مع الحارات القديمة الأخرى من خارج الحي.

١.٢.١١. الحارات الجديدة:

وما لنا من الحديث عنها شيء وهي حديثة عهد ، ونحن نتحدث عن التاريخ والتراث ، ولكن فقط ليكتمل المشهد الحويفي في الشحر لابد أن نعرج عليها ولو من قبيل ذكر بعض منها: كحارة الزعبلي ـ حارة المنصورة ـ حارة الرصاصة ـ حارة دفيقة الزراعية ـ حارة العشوائي وحي السلام ـ حي السعادة (الشقق) ، إضافة

إلى حارة عيديد ـ وحارة ابن جوبان والشرقية ، مع العلم أن بعض هذه الحارات المذكورة وغيرها مما لم نذكرها تدخل ضمن حدود العقلين.

٣ـ١ـ خدمات المدينة:

١ـ٣ـ١ـ المياه:

قال المحضار:

الماء حياة الأرض وحياة البشر من حل عند الماء ما بيشوف شر
با حل أنا عنده وبلقي لي نشر شني على الواسط شني يا مطر[٨٨]

مصادر المياه الأساسية للشحر منذ القدم الاعتماد على الآبار وبالذات تلك المحفورة بمحاذاة واديي سمعون وعرف أو كما يسمى وادي دفيقة ، الأول بغربها والثاني بشرقها ، وعلى ضفاف هاذين الواديين حفرت الآبار لوجود المياه العذبة بكثرة ، ويتم نقلها على ظهور الحمير والجمال وعلى ظهور الرجال الباعة أيضاً لاستخدامها للشرب ، كما حفرت بعض الآبار داخل المنازل وهذه تستخدم لغير الشرب لملوحتها ، ثم حفر آل باشراحيل بئر سميت (شراحينة) وحفر آل باغميان بئر أخرى وسميت (غميانة) في عام ١٨٩٩م. وعندما أصبحتا لم تفِ بالغرض ولا تكفي لشرب المواطنين الذين زاد عددهم؛ طلبت السلطة القعيطية وقتها من آل باشراحيل بتوصيل مياه معيان عوض بتبالة من تحت حصن السلطان ، فقام آل باشراحيل ببناء ساقية تحمل الماء من الرمادات ويقطع سائلة وادي عرف ويتجه إلى الغرب ليصل إلى منتصف المدينة ، ولا زالت بعض آثار الساقية باقية إلى اليوم وتصل هذه الساقية إلى (الجابية) التي تبلغ سعتها (١٢٥٠٠٠ جالون). وعمل

المجلس البلدي على تنظيم صرف المياه (بالمعارص)[٨٩] وآخر الأمر (بالقواري)[٩٠] وتم تحديد سعر المعرص الواحد أي ثمانية جالون بـ (آنة) واحدة للطابق السفلي أما العلوي (بآنتين). وفي حالة تهدم الساقية بفعل الأمطار أو تنظيفها يلجأ السقاؤون (أصحاب المعارص) إلى بئر (صديق)[٩١] على مسيال سمعون. كما سمعنا عن أسماء بعض الآبار الأخرى الموجودة منذ القدم في الشحر مثل: بئر بن شكر وبئر بواب وبئر شيخ ولا ندري ما إذا كانت كلها صالحة للشرب أو بعضها.

وقد جاء ذكر المحضار لبئر صديق التاريخية في قوله:

كم كوونا صحابي من جفاهم بمكوى
قد لي اسنين صـــابرع المكـــاوي
لو معي يا عرب همـــة وقدرة وقوة
با نقـــاوي الـــقوي لي مـا يقـــاوي
با نرده كترع لي كان في (بئر صدّيق)

ولكون الساقية مكشوفة يتعرض الماء فيها للتبخر والتراب والتلوث ، فكر الشيخ عبد الخالق البطاطي[٩٢] وقرر الاستغناء عن الساقية وذلك بتوريد عد (١٣٣٣) أنبوب جلفنايز ثلاثة أقطار ، فقطر أربعة إنش من الرمادات إلى الرحبة ، وقطر ثلاثة إنش من الرحبة إلى الجابية ، وقطر إنشين تصب داخل الجابية وكذلك قام بتوسيع بناء الجابية بتنفيذ المهندس يسلم فرج بن حيدر وابنه صالح. وقام الشيخ عبد الخالق البطاطي بمد فروع من الأنابيب إلى أحياء المدينة.[٩٣]

ثم كان المصدر قبل الأخير للمياه حقل (الدكداك)[٩٤] ونظراً لاتساع جغرافية المدينة وتزايد عدد سكانها تم الحفر في حقل (المويجة) الغني بالمياه ويعتبر المصدر

الرئيسي لمياه الشحر اليوم. وبدأت المؤسسة المحلية للمياه والصرف الصحي مزاولة نشاطها اعتباراً من عام ١٩٧٣م.[٩٥]

٢.٣.١.٢.الكهرباء:

الشيخ النائب عبد الخالق عبد الله البطاطي أول من أدخل الكهرباء العمومية إلى الشحر ، حيث استطاع إقناع المواطنين القادرين بضرورة المساهمة والاكتتاب لإنشاء شركة أهلية للكهرباء بالشحر ، ومن ثم صرف قطعة أرض لموقع الكهرباء وتم استيراد المولدات وأصبح الحلم واقعاً بافتتاح المشروع وإيصال التيار الكهربائي إلى المنازل وذلك في عام ١٩٦٢م. واستمرت على ما هي عليه حتى العام ١٩٨٦م جددت الكهرباء باسم كهرباء الخمس المدن ، شملت الشحر والمدن والأرياف المجاورة لها.

٣.٣.١.٢.الهاتف:

أفتتح سنترال الشحر أو الخدمة الهاتفية السلكية في ١٤/ ١٠/ ١٩٧٩م وكان السنترال ألمانياً شرقياً RFT أربعة أرقام بسعة (٧٠٠) خط للتواصل فيما بينها ، ولكن بين المدن سيؤن والمكلا وعتق وعدن عبر عامل الاستعلامات بنظام الراديو. وفيما بعد تطورت الخدمة الهاتفية بستة أرقام وأصبح الاتصال ميسراً بتقنية حديثة بين المدن والخارج. والسيد المحضار لم تفته دخول هذه الخدمة الهاتفية فقد وظف لها أغنية خاصة تؤكد الاتصال بالهاتف (التليفون) وتسجل فرحه وسروره حيث قال:

لا أبعــد الله داركم يا خـــــــــل عن داري
لكن أحكـــــــــام المقـدر والقضاء جاري

لا ما نبى حـــــــــد يفهم أسرارك وأسراري

سيم[٩٦] الهواء ممدود من صـــــيرة إلى سمعون

لعاد ترسل رسول اليوم كلمنا من التليفون[٩٧]

وقال بعد تطور الخدمة:

وين صاحبك وينه روح أرض الشام دور له وأرض الكنانة

لا رسل ورقـــــة ولا رقم للفاكـــــــس ولا رد بالتلفون

١.٣.٤.١. محطة الوقود:

كانت أول محطة للوقود كمحطة أهلية مساهمة تتولى توفير وبيع الوقود (بنزين وديزل وقاز) وتقع خارج المدينة قرب سدة العيدروس. ثم تلتها بعد ذلك عدد من المحطات.

١.٣.٥.١. الحديقة العامة:

أول حديقة عامة في الشحر تقع غرب حصن بن عياش وكانت متنفساً للمواطنين وقد أنشأها الشيخ عبد الخالق البطاطي. ويقال أن المستشفى القديم الواقع جنوب حصن بن عياش يقع على الجزء الجنوبي من الحديقة المسماة بـ (الفرجة)

قال المحضار:

دعيت ربي عسى الدعوة استجابت

في كل وادي يخـــــلّي الزرع نابت

وتعم رحمته تسقي كل حديقة

في ساعة الجبر كل مننا يعرف طريقه

١.٤ـ مساجد المدينة وتوصيفها:

قال المحضار:

مالك كذا يا الشحـــــر خليتي الصفاء يفسد
أين الوفاء والعهـــــــد ذي في قبلة المسجد
يا شحرنا مالك تصحـــــرتي وقد كنتي مدينة
لا طال حزنك يا سعاد الشحر يا أرض الزبينة

لكثرة المساجد التاريخية في مدينة الشحر نذكر بعضاً منها ونتحدث عن أقدمها وهو الجامع الكبير الموجود بحارة القرية ، لعلنا بهذا الذكر نؤكد على تاريخ المدينة العريق ولعله أقدم المساجد في حضرموت ، ثم تعاقبت الفترات التاريخية في ترميمه وتوسعته إلى أن وصل إلى ما هو عليه اليوم ، وقد تناول تلك الفترات الكثير من المؤرخين ، وحتى لا نعيد النقل نكتفي بسرد القليل منه في سياق الحديث لاحقاً. ومن هذه المساجد التي ذكرت في كتاب الشهداء السبعة لبامطرف والتي كانت عامرة في المدينة سنة ٩٢٩هـ وعددها خمس وعشرين مسجداً ، بينما ذكر العلامة عبد الله بن محمد باحسن في كتابه نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية عدد خمسين مسجداً، وهو الأقدم من بامطرف ـ وقد بلغ عددها في زماننا هذا أكثر من مائة مسجد، وهنا نذكر أسماء بعضاً منها كنماذج ولا علاقة تاريخية بالترتيب من حيث البناء:

ـ مسجد الشيخ سعيد بن عمر بالحاف بالمجرف
ـ مسجد الشيخ عبد الرحيم بن عمر باوزير بالحوطة
ـ مسجد الشيخ فضل بن عبد الله بافضل بالخور

ـ مسجد الشيخ أحمد بن قضيمتي بعقل باغريب

ـ مسجد الشيخ أحمد بن عمران بعقل باعوين

ومنذ تلك الفترة تضاعفت أعداد المساجد داخل مدينة الشحر، وجددت عمارة القديمة منها لعدة مرات، واندرس البعض الآخر منها وبنيت أخرى جديدة، حتى بلغت المائة وثلاثة مساجد أو يزيد في هذا العام ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م حسب إحصائية مكتب الأوقاف لها. منها ما تشرف عليها الأوقاف مباشرة، ومنها ما تشرف عليها جمعيات أو أشخاص. وتتميز مساجد الشحر بوجود بئر خاصة لكل منها للطهور والاستحمام.

١.٤.١ـ مسجد الجامع الكبير بحارة القرية:

قال الشيخ محمد عبد القادر بامطرف في كتابه (الشهداء السبعة): في السنة العاشرة الهجرية اعتنق أهالي حضرموت ومنهم أهل مدينة الشحر بطبيعة الحال الدين الإسلامي ... إلى أن قال: وأقام حكام الشحر، من قبيلة كندة، مسجد الجامع العامر بناؤه إلى اليوم ولعله من أقدم المساجد اليمنية.[٩٨] وقامت ببنائه قبيلة كندة وبقيت بنايته حتى عام ٢٠٧هـ، جدد عمارته الشيخ محمد عبد العليم باصديق أحد تجار الشحر، وفي عام ٥٧١هـ جدد عمارته الشيخ الفقيه عبد الله بن سعد بادفار الشحري، وفي عام ٧٨٢هـ جدد عمارته ووسع أروقته الأمير محمد أحمد بن الحاجب القضاعي، وفي عام ٨٤٦هـ جدد عمارته الفقيه المحدث أحمد بن قضيمتي، وفي عام ٨٦٥هـ أوقف عليه الشيخ حسين عبد الرحمن بن سهل أربع فرد ماء[٩٩] بمعيان بغيل باوزير، وجدد عمارته القاضي عبد الله بن محمد بن عبسين، وتوسع أيضاً في عام ٩٣٤هـ، وفي عام ١٠٢٢هـ أعاد عمارته مع التوسعة السيد حسين بن محمد بن سهيل وقد قام له منارة اشتهرت بالشحر بارتفاعها إلا أنها في

عام ١٠٣٧هـ خيف عليها من الهدم لأنها من الطين فهدمت ، وفي عام ١٣٨٥هـ أعيد بناؤه حديثاً في عهد السلطنة القعيطية تحت إشراف حاكم الشحر علي محفوظ بن بريك وقاضيها الفقيه عبد القادر محمد العماري ثم جددت آخر عمارة له وهي لا زالت حتى الآن قائمة.[١٠٠] وقد جاء في مدونات الشيخ صالح مبارك لرضي هذه المدونة وقد نقلتها بالنص: (منارة مسجد الجامع ٢٥ محرم ١٣٧٠هـ بناها عفيف من تريم وانتهت بنصف في شهر ربيع ثاني ١٣٧٠هـ .)[١٠١] انتهى النقل.

وبالعودة إلى المصدر (١٠٠) فقد ألحق السلطان بدر أبو طويرق مدرسة بالجامع في القرن العاشر سميت بـ (المدرسة البدرية) وظف بها كثيراً من العلماء الأئمة كما شهدت تخريج عدد كبير من العلماء والقضاة وغيرهم ، وتولى الخطابة به علماء وفقهاء أعلام ذكرت بعضهم كتب التراجم والوفيات.

٢.٤.١.توصيف المساجد القديمة حسب الدخول:

وإذا ما تحدثنا عن توصيف مبنى المساجد في مدينة الشحر نجد الاختلاف وارد بين القديم والحديث ليس فقط من حيث استخدام مواد البناء فحسب ولكن من حيث توصيف المبنى نفسه أيضاً، فقد طمست أشياء واستحدثت غيرها نظراً لتطور العمران. وهذه بعض أجزاء من مبنى المساجد القديمة كما ذكرها المحضار لمسجدي الديني وبن قبولة:

نعرفك جم كسرت في الديني
وكسرت في بن قبولة
حمّام يشكي وقبلة وضاحي
والدرج والبير يشكي والمقود

تتكون أكثر المساجد من غرفة واحدة فقط وبعضها من غرفتين مسقوفة بالعكوف وعليها قباب صغيرة ، ويكون مكان الوضوء خارج المسجد ـ أي قرب البئر الخاصة بالمسجد ـ وحافة البئر تكون مرتفعة قليلاً عن سطح الأرض بمساواة حوض الماء ، حيث تركب في أعلى حافة البئر قطع من الخشب تسمى (تشروع) وتثبت عليها العجلة التي تسمى (البَكرة) ولها مقود يساعد العامل على الذهاب والإجاب من وإلى حافة البئر لشد الحبل المسمى (السره) وتجمع على (سرين) ، وذلك في أثناء طلوع الماء في الدلو وتسمى (نزاحة ونزوح) ثم ارخائها عند نزول الدلو (الغرب) إلى قاع البئر ، وتسمى هذه العملية التقليدية بـ(السناوة). كما يجدر بنا القول أن الدلو في أثناء السناوة يكون مثبت بعود يسمى (اللغبة) ، والعود مثبت به حبل طويل يحمله العامل بحيث إذا طلع الدلو مملوء بالماء يجر الحبل المثبت فيه لينسكب الماء في الحوض الخاص به ، علماً بأن هذا الحوض متصلة به ساقية يجري فيها الماء إلى مكان الوضوء (المقلد). وبجانب المقالد مكان الآذان الذي يصعد إليه المؤذن على درج (رقاد) مكون من عدة درجات.

(أ) الباب الرئيس:

وهو مدخل المسجد الرئيس على سطح الأرض حسب مستوى المسجد ولبعضها باب آخر صغير بجانب المحراب (القبلة) يسمى باب السلام.

(ب) أماكن الوضوء:

وتسمى عندهم (مقالد) وتفرد على (مقلد) ـ بفتح الميم وسكون القاف وفتح اللام ـ وهي عبارة عن برك مائية صغيرة غير مسقوفة ومغلقة بأبواب ، وينقسم المقلد إلى قسمين متساويين في المساحة تقريباً: الأول كحوض للماء والآخر مساوٍ لسطح الماء لكي يتسنى الوقوف عليه لخلع الثياب استعداداً للغسل ويسمى (الراحة) ويكون

في أعلى الحوض رف لوضع الثياب أثناء الطهور أو الاغتسال ، ويعتبر سقفاً صغيراً لحوض الماء ، وفي بعضها مثبت عود لوضع الثياب. ودائما ما يجدد فيها الماء على أسبوع تقريباً ويسمى (تنشيط).

(ج) الصحن:

ويسمونه (الضاحي) ، وهو فناء لا بأس به من حيث الاتساع وغير مسقوف ويؤدي فيه المصلون الصلوات أيام الصيف والخريف ما عدا صلاتي الجمعة والظهر والعصر فيؤدونها في الداخل (الحِمّام) نظراً لحرارة الشمس.

(د) الحِمّام:

وهي التسمية المتداولة للجزء المسقوف من المسجد وفيه تؤدى الصلوات لكونه الجزء الرئيس في المسجد وله باب واحد أو بابين باتجاه الضاحي لدخول المصلين ، وفي الحِمام يكون المحراب (القبلة) وهو عبارة عن بناء محدب الشكل من أعلى يتجه تجويفه نحو الخارج في منتصف الجدار ويتسع للإمام فقط ، وهذا التجويف يوفر صفاً كاملاً للمصلين وبدونه سيشغل الإمام وحده صفاً. وبجانبه المنبر المبني أو الخشبي ، وبداخل المسجد (خلاف) محفورة في أصل الجدار ولا تشرف للخارج وذلك لوضع المصاحف فيهما ، كما يوجد في أعلى الجدار من كل الجهات فتحات صغيرة تسمى (مناور) للتهوية والضوء.

(هـ) المئذنة:

ويسمونها (منارة) وهي مبنى مرتفع يقع بجانب المقالد تقريباً ، وهي لا تشبه المآذن الحالية لكونها عبارة عن سطح (ريم) غير مسقوف بحيث يطلع المؤذن على هذا الدرج (الرقاد) الصغير بعدد يقدر بخمس رُقدات تقل أو تزيد ومفردها (رقدة)

ويؤدى فيها الآذان للصلوات الخمس. ثم بنيت بعد ذلك المنارات المعروفة لنا اليوم.

١.٥. الأضرحة والقباب:

توجد في الشحر عدد من الأضرحة والقباب نذكر منها: قبة السيد بن إسماعيل، وقبة السيد سالم بن عمر العطاس ، وقبة ابن عتيق ، وقبة الشيخ عبد الله بلحاج بافضل وغيرها ، ومن الأضرحة المشهورة في الشحر: ضريح الشيخ عبد الله بن يعقوب (مولى المحطة) وضريح الشهداء السبعة وغيرهما. وهنا لا نتحدث عن جميع الأضرحة ولكننا نأخذ فقط ما تطرق له الشاعر المحضار في أشعاره ورددته بعده عامة الناس كمثال من التراث.

١.٥.١. ضريح الشهداء السبعة:

بدأ المحضار حديثه عن الشهداء السبعة بسؤال:

عرفتم من هم السبعـــة؟ عرفتم أيش قصتهم ؟

عرفتم شي عن الوقعة التي استشهدوا فيها ؟

لم يكن أحد من عامة الناس يعرف شيئاً عن المقاومة الشعبية ضد الغزو البرتغالي على مدينة الشحر ماعدا ضريح الشهداء السبعة دون معرفة من بالقبر قبر من البعض، وإن عرف الخاصة منهم القليل بعد صدور كتاب (الشهداء السبعة) للمؤرخ القدير/ محمد عبد القادر بامطرف وهم المهتمون بالتاريخ وثلة من الباحثين. ولكن عرف القاصي والداني من الحضارمة على أقل تقدير مجمل الأحداث وذلك مساء يوم الأربعاء بتاريخ ١٠/ ٤/ ١٣٩٧هـ الموافق ٣٠/ ٣/ ١٩٧٧م عندما عُرضت الملحمة التاريخية التي تحمل اسم (أوبريت الشهداء السبعة) للشاعر الكبير حسين أبو بكر

المحضار في عمل درامي على المسرح العام بالساحة العامة بالشحر في الليلة سالفة الذكر. وذلك احتفاءً بذكرى استشهاد من دافع عن المدينة ضد الغزاة البرتغاليين (أي في ثاني احتفال رسمي سنوي يقام بهذه المناسبة ، حيث كان الاحتفال العام الأول في ٣١/ ٣/ إلى ٢/ ٤/ ١٩٧٦م) فعلقت بالأذهان حكاية المقاومة الشعبية وحفرت لها في ذاكرة العامة موقعاً يصعب محوه ويستحيل نسيانه بعد التذكار ، وإلى المحضار ترجع الأسبقية في تعريف عامة الناس بأبطال هذه المقاومة ، ليخبرنا المحضار عن تفاصيل الحكاية الملحمية بكل ما حصل فيها من أحداث. وبهذا لا بد للمحضار أن يمهد تدريجياً ، مع أن الأطفال في الأوبريت لا يعرفون غير هذه الأهزوجة القصيرة (تالي ليلة في البرعة والقابلة السبعة) التي يرددها أطفال الشحر في أيام العيد وهي متوارثة عن الأجداد.

والمحضار وهو بصدد الحديث عن المقاومة الشعبية لم ينجر وراء تفسير كل لفظة في الأهزوجة بينما اتخذ من لفظة (السبعة) محوراً لحديثه عن المقاومة الشعبية ضد الغزو البرتغالي على الشحر في عام ٩٢٩هـ ـ ١٥٢٣م.[١٠٢]

ويعتبر ضريح الشهداء السبعة أحد أهم معالم مدينة الشحر التاريخية ، إذ يرتبط الضريح بتاريخ المقاومة الشعبية بالمدينة صد الغزو البرتغالي الغاشم على مدينة الشحر بوابة حضرموت الجنوبية ، وأهم مدنها وأكبر الموانئ فيها. وقد كان ذلك الغزو والهجوم البرتغالي على المدينة في فجر يوم الجمعة العاشر من شهر ربيع الثاني ٩٢٩هـ الموافق ١٥٢٣م بأربعمائة مقاتل مزودين بأحدث الأسلحة في ذلك الوقت ، كالبنادق النارية والبارود والنفط ، وكان أهل المدينة قد استعدوا لمقاومة الغزاة حيث اتخذت الاحتياطات والخطط لصد الغزو ، وكان أميرهم حينئذٍ الأمير مطران بن

منصور حاكم الشحر ، وبجانبه مجلس قيادة المقاومة من أعيان ووجهاء الشحر وهم:

١ ـ الفقيه يعقوب بن صالح الحريضي

٢ ـ الفقيه أحمد بن عبد الله بلحاج

٣ ـ الشيخ سالم صالح باعوين

٤ ـ الشيخ حسين بن عبد الله العيدروس

٥ ـ الشيخ أحمد رضوان بافضل

٦ ـ الشيخ فضل رضوان بافضل

وقد استشهدوا جميعهم مع أميرهم مطران ، كما كان شهداء المعركة من أهل الشحر والحضارمة والغرباء القاطنين فيها بلغ ٧١١ شهيداً ، وانتصر الشعب المقاوم، وفر الغزاة تاركين خلفهم أمواتهم والخزي والعار ، وتكريماً لدور القادة الشهداء تم دفنهم في قبر واحد ما عدا الشهيد الفقيه أحمد بن عبد الله بلحاج إذ دفن داخل قبة أبيه العالم الجليل والولي الصالح عبد الله بلحاج بافضل ، وقبره معروف وعلى شاهدتيه اسمه ويوم استشهاده. (١٠٣)

٦ ـ ١ ـ النشاط التعليمي والصحي والرياضي:

١ ـ ٦ ـ ١ ـ النشاط التعليمي:

قال المحضار

يا مدرسة كل واحد فيش له قسمه وحقه

ما حـــد خرج ما معه شي قسم ويلاحق

من حد غلط في حسابه منكم حله يدقق

ما هي دقايق

يرجع إلى زام الجدود [١٠٤]

وبرجوعنا إلى (زام الجدود) حسب قول المحضار ، فإننا نتناول هذا النشاط التعليمي بإيجاز في عدة عناوين صغيرة وهي: مدارس المساجد والمدارس الأهلية والمدارس النظامية والزوايا والكتاتيب.

(أ) مدارس المساجد:

وهي مدارس لتعليم القرآن والفقه واللغة أسست في بعض المساجد نذكر منها:

- مدرسة مسجد الشيخ عبد الله بن يعقوب باوزير (مولى المحطة) بالقرية
- مدرسة مسجد الشيخ عبد الرحيم بن عمر باوزير بالحوطة
- مدرسة مسجد الشيخ حسين باهراوة (باقرين) بعقل باغريب
- مدرسة مسجد الشيخ أحمد بن جوبان المعروف اليوم بحارة بن جوبان
- مدرسة مسجد الشبخ أحمد بن عمر الذيبي (باذيب) بعقل باعوين.

(ب) المدارس الأهلية:

فتحت مدرسة مستقلة عن المساجد سنة ٩٥٩هـ وهي التي بناها السلطان بدر أبو طويرق ، ثم فتح الشيخ عبد الله بن محمد بن عبسين مدرسة بشرق الجامع ، ثم فتحت المدرسة السلطانية ومدرسة ناصر بن صالح بن الشيخ علي بن هرهرة ، ومدرسة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل.

(ج) المدارس النظامية:

ثم فتحت مدرسة مكارم الأخلاق ١٣٣٧هـ على نفقة الشيخ عبد القادر وبكار آل باشراحيل وكانت بباغ الدولة.[١٠٥] قبل أن تستقر بموقعها الحالي ، ثم فتحت

المدرسة الغربية بدار ناصر جابر النوبي عام ١٩٤٢م قبل أن تستقر في الدور الأول بحصن بن عياش. وتعتبران الصرح التعليمي الأول المبني على أسس نظامية وتنظيمية ناهيك عن التعليم المتوسط (الإعدادي) والثانوي. وبعد ما تقرر بصورة نهائية فتح مدرسة ثانوية بمدينة الشحر في العام ١٩٦٦م/ ١٩٦٧م وبعد أن درست إدارة المعارف جميع الامكانيات الضرورية لافتتاحها وذلك لتتيح مزيداً من الفرص أمام الطلبة الذين نجحوا وينجحون في إمتحان شهادة إكمال الدراسة المتوسطة لمواصلة تعليمهم الثانوي. وتقرر أن يكون مقر هذه المدرسة الجديدة أحد الأجنحة بدار ناصر بصورة مؤقتة ، ونتيجة لسوء حال المبنى دفع بإدارة المعارف لاستكمال البناء بالدور الثاني من حصن بن عياش ، حيث تم بناء صفين دراسيين مع المكاتب ليتحول إليها الطلاب في بداية العام الدراسي ١٩٦٧م/ ١٩٦٨م.[١٠٦]

ثم توالت المدارس في أحياء الشحر تفتح أبوابها لاستقبال الطلبة والطالبات. ولا ننسى الدور الذي لعبه رباط الشحر في نشر العلم والمعرفة بعلم الفقه والحديث والتفسير وعلوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وغيرها. ثم تطور التعليم بافتتاح مدرسة ثانوية للأولاد وأخرى للبنات ، وافتتحت عدد من المدارس الحكومية في مختلف أحياء المدينة وعدد من رياض الأطفال.

وفي حفل أقامته مدرسة مكارم الأخلاق في عام ١٩٩٨م قال السيد الشاعر حسين المحضار في إحدى قصائده بهذه المناسبة:

هنيئـــاً لكم وهنيئـــاً لنـــا ... فقد لاح بالعلم نور السمـــاءْ
وأشرقت الأرض من حـــولنا ... جميعاً وهب النسيـم العليـل
كلام الوفـــاء والتقى والنقـاء ... رقينـــا به أيّمـــا مرتقى

وبالعلم حقـــــاً يزول الشقاء ويوضح للمهتدين السبيـل

ثم أنشئت في الشحر في العقد الأول من القرن الميلادي الحادي والعشرين عدة مدارس أهلية استثمارية لا تختلف في منهجها عن المدارس الحكومية ، كما فُتحت مدارس في المساجد المبنية حديثاً.

(د) الزوايا:

أما الزوايا فلها دور أيضاً في مجال التعليم في الشحر نذكر منها:

- زاوية باغشير
- زاوية باعامر
- زاوية باعديلة
- زاوية بابهير
- زاوية باهارون

(هـ) الكتاتيب (المعلامة):

انتشرت في مدينة الشحر بعض الكتاتيب (المعلامة) ـ وتفرد الأولى على كتّاب والثانية على علمة ـ إلى عهد قريب وذلك بالتزامن مع المدارس نذكر منها:

- علمة الشيخ علي سعيد باسويد
- علمة الشيخ عوض سالم حسينون
- علمة الشيخ عبيد مبارك هلال
- علمة الشيخ عوض وسالم أحمد حميدان
- علمة الشيخ عمر عوض باحضرمي
- علمة الشيخ مبارك عوض باجبع

ـ علمة الشيخ صالح علي باجبع
ـ علمة الشيخ عمر صالح بن منيف
ـ علمة الشيخ رمضان ربيع باقنانة
ـ علمة الشيخ فرج أحمد بن نويصر
ـ علمة الشيخ سالم سعيد باقلاقل
ـ علمة الشيخة نور مبارك مدي
ـ علمة الشيخة نور عمر باصالح
ـ علمة الشيخة نور محمد محروس

والمحضار دائماً يدعو إلى العلم وقد خصص الدعوة للبنات بقوله:

محســـن العلم والعمـل للمرَّهْ هي والرجـــل
من تعلم فقـد وصـــل لأبواب العــلا تروس
كل بنـــت تعلمـــت في بلدنـــا وعلمـــت
فهي للفضـل تممـــت سعدها بدل النحوس

ونذكر هذه القصيدة للمحضار الخاصة بالعلم:

العلم ما هــو حق أحـد إلا لمن جـد واجتـهد
والمشكلة لي يدّعـــون العلم في غـير اجتهاد
إذا قلت له من علّمـك ودرســـت في أية بلد
يقول لك رسلـوه بعـــض النـاس إلّا البلاد
نحن نحب العلم يوم العلم يصلح ما فســـد
لكن ما دلحين جابوا علم يدعو للفســـــاد

يقرّب الفتنـة ، يجيـب البغض فينـا والنكـد
نكاد نتمزق من التفريـق والفتنـة نكـاد

وقال في قصيدة أخرى:

حرفـوا كلامي ، حد يحـرّف في الزبد ؟
ما يفسـرون العلـم غير أهـل العلـوم
وكلام جـم جابـوه ما يحصيـه عـد
لا قد نكشتـه بقـل يقشـع به وثـوم[١٠٧]

وقد خصص المحضار من أشعاره المسرحية أوبريت للعلم والحث عليه ومما قاله في بداية هذا العمل المسرحي:

أواه يـا أم صالـح يا ريـت شبّتي ترجـع
إذا كاننـا با تعلـم العلـم في الصغـر ينفـع
ذلحـين عملـوا مدارس للنـاس في كل موقـع
فيها معـدات زينـة والكتب أشكال وأجنـاس
كنا زمن في المخـازن أو في المطاريـق ندرس
والفرش شطفة صغـيرة وأحيان في القاع نجلس
محّـد مراسـل ينظـف محّـد مراسـل يكنـس
ومن الصفاصيف نشكي ومن القتاتين والحاس[١٠٨]

٢.٦.١.النشاط الصحي:

قال المحضار:

نظروا إلى مستشفيـــات قـدام أثاثها له ألـــف ومائـــة عـــام
والمروحة تمشـــي شوي وتنام والفرش يبـكي والوســـــادة
والمختبر ما فيـــه شي يعجب إذا صدق ساعـــــة سنة يكذب
ما هـو من العامـــل ولي يكتب لكنّ من الآلـــة فســـــاده
مرضـــت قالـوا الدواء مـاشي غرش خليّـــة بس وشيـاشي[١٠٩]
وينـاجم الدكتـور ويعـــاشي لا مـا تحصّـــل عا مـــراده[١١٠]

كان الجانب الصحي في مدينة الشحر ضعيفاً جداً، حيث اتخذ المشفى الغرفة الجنوبية الغربية في دار ناصر، وأقيم بها مستشفى المدينة في بدايته، ثم تم بناء المستشفى الواقع في الجهة الجنوبية لحصن بن عياش وتم افتتاحه في العام ١٩٥٩م، وعندما اتسعت المدينة أقيم مبنى حديث في شمال الشحر قرب منطقة المشراف من الجهة الجنوبية للكوت المعروف بهذا الاسم، وافتتح في عام ٢٠٠٦م وأدخلت عليه بعض الاستحداثات الطبية.

والغرش والشياشي التي ذكرها المحضار في البيت السابق وخلوها من الأدوية والمطهرات، فقط لأنها كانت تحفظ فيها هذه المحتويات الدوائية وتصرف للمرضى، وهو ما يعكس الحالة الصحية في ذالك الوقت. ولفظتا الغرش الشياشي اللتان تحملان معنى القوارير الزجاجية قد ذكرها المحضار في أكثر من موضع، والبيت التالي كمثال لذكر الشياشي لا غير، كما قال المحضار في مساجلة له:

أنت لا قدك راضي لا تعاشي
قد دخلت القعيدة
با يقع كسر لازم في الشياشي
ليش تسري معك بالكسر والقاش[١١١]

٣.٦.١.النشاط الرياضي:

قال المحضار:

باسم الرياضة نهني شعبنا المغوار ونهني الشحر ليلة عيد ناديهـــــا

ذكر المحضار تاريخ الرياضة في الشحر منذ تأسيس نادي كوكب الصباح الرياضي وبعده نادي شباب الجنوب الرياضي قبل اتحادهما في ناد واحد سمي بـ (سمعون). ويعتبر الناديان من أهم الأندية الحضرمية في ذلك الوقت لشدة تنافسهما ليس فقط في الرياضة فحسب وإنما في الثقافة والأدب والفنون بأنواعها وخاصة فن المسرح ، لكن المحضار ذهب إلى أبعد من ذلك التاريخ ، وكان كوكبياً من الدرجة الأولى وقد قال في التاريخ الرياضي بعض الأشعار نذكر منها قوله:

الشحر معروفـــة بهذا الفـــن والتـــاريخ يشهـــد

فيها سبح عرق الرياضـــــة واستقام العود وامتد

سل من تشـــــاء من عهد ستيناتـــها أزيد وأزيد

منذ سما الكوكب وحلق في السماء شباب الجنوب

ويقول بعد دمج الناديين (الكوكب والشباب) في نادٍ واحد باسم (سمعون) وذلك في العام ١٩٧٥م:

سمعون عا وحدتك حافظ واحمي الحمى وارعى

واحرص على سمعتك في كل مطرح وكل بقعـــة

لوح الرياضـــة لوح أبيـــض ما يقبـــل التوسيـــــخ

لا فوق يا سمعون علّي واشرف على الدنيا من المريخ

وعن تأسيس الأندية بالشحر حدثني الأستاذ الإعلامي والباحث الرياضي

خالد محمد باعباد بحسب ما لديه من معلومات ـ وهو محل ثقة ـ أن نادي الإصلاح الوطني تأسس عام ١٩٣٤م غير أنه لم يستمر طويلاً لتفرغ مؤسسيه للسياسة ومنهم السيدان عبد القادر أحمد بافقيه وعبد الرزاق محمد باذيب. أما نادي الوطن الرياضي الوطني فقد تأسس عام ١٩٣٩م ، ومن مؤسسيه محفوظ صالح لرضي وكان أول رئيس له. ويعد نادي الوطن أول نادٍ رسمي يتم الاعتراف به ومقره في بيت المواطن سعيد باصالح.

وفي عام ١٩٤٢م تم تغيير اسم نادي الوطن إلى نادي الاتحاد الرياضي الوطني. وبعد ذلك توقف نشاط الأندية الرياضية لظروف الحرب العالمية الثانية. ثم في عام ١٩٥٢م تأسس نادي الاتحاد الثقافي الإصلاحي الرياضي وكان الشيخ محمد سالم المزجاجي أول رئيس له.[١١٢]

ثم تأسس بعد ذلك نادي كوكب الصباح الرياضي في عام ١٩٥٤م ، ثم تلاه تأسيس نادي شباب الجنوب الرياضي في عام ١٩٦٠م. وفي العام ١٩٧٥م دمج الناديان ليصبحا نادٍ واحد باسم نادي (سمعون) الرياضي بعد احتدام المنافسات الرياضية والثقافية بينهما.

٤ـ٦ـ١ـ أهم الشخصيات الشحرية :

رجال العلم والأدب والفن والإبداع في الشحر كثيرون ، وتقديراً لدورهم البارز في النهضة العلمية والأدبية والفنية بالشحر نذكر بعضاً منهم كنماذج:

(أ) من الرجال العلماء:

ـ الشيخ فضل بن عبد الله بافضل وهو من أكابر العلماء ولد بمدينة تريم ثم انتقل للعيش في الشحر حتى توفي بها.

ـ الشيخ عبد الله بن محمد بن عبسين ولد بالشحر وعاش بها وتقلد زمام القضاء فيها توفي سنة ٩٠٨هـ.

ـ الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل ولد بتريم وعاش في الشحر وتوفي بها سنة ٩١٨هـ وضع عدداً من الكتب أشهرها المقدمة الحضرمية في الفقه الشافعي.

ـ الشيخ عمر بن عبد الله بن حاتم وكان فقيهاً تولى الإفتاء بمدينة الشحر وتوفي بها ٩١٩هـ.

ـ الشيخ المؤرخ أحمد بن عبد الله باعلوي الملقب بشنبل صاحب كتاب (تاريخ السنين) المعروف بتاريخ شنبل عرف بالعلم وشغفه بالأدب توفي بالشحر سنة ٩٣٠هـ.

ـ الشيخ حسين باهراوة عالم فقيه له مسجد باسمه المعروف اليوم بمسجد باقرين توفي سنة ٧٦٩هـ.

ـ الشيخ عبد الله بن أحمد باسرومي ولد بالشحر وعاش بها وتولى القضاء فيها سنة ٩١٠هـ توفي بمكة المكرمة سنة ٩٤٣هـ.[١١٣]

ـ الشيخ عبد الله بن عمر بامخرمة المولود في الشحر والملقب بالشافعي الصغير له الكثير من المؤلفات يدرس بعضها في الأزهر الشريف.

(ب) من الرجال الأدباء:

والعلماء سابقو الذكر جلهم أدباء ويجيدون اللغة العربية وأصولها وفنونها من نحو وصرف وبلاغة وغير ذلك ، وهذا ما يحيرني في انتقاء الرجال الأدباء الشحريين، والمحضار قد ذكر العشرات من الأدباء والفنانين والمثقفين الشحريين ممن سبقه منهم في هذا المجال وخلدهم في قصائد رثاء ، وممن عاصره منهم أيضاً ، ولكن يمكن أن نكتفي بمن ذكرهم السيد المحضار في قصيدة له بمناسبة الذكرى الخمسين لوفاة السيد القاضي والأديب الشاعر/ عبد الله بن محمد باحسن جمل الليل ، مع

الأخذ بعين الاعتبار أن بعضهم من خارج الشحر:

من روح ثغـر الشـحـر جـابه ما فتـح ديـوان عنتر
من مدرسة معـلاق من قامـوس بن حيمـد وقشمـر
من صـوت سعد الزين من سـواد من نغمـة مقمّر
من شيخ محفـوظ العطيشي من قصـد مرتع أبو زيد
من محـرث الحراث ذي هو من صـلاة الصبـح بكـر
من هوري البحـار والصنبـوق لا جحّـب وكور
من همـة العـامل إذا شـدّ المشـدّة أو تعـصر
من ناس عاشوا في ضنك وتنكدوا في العيش تنكيد[١١٤]

الفصل الثاني

معالم الشحر التاريخية

٢.١ـ المواقع الطبيعية والمعالم الأثرية:

لم يخلُ شعر المحضار من ذكر المواقع الطبيعية والمعالم الأثرية، حيث خلدها ليكون المتذوق لشعره على اطلاع بها، ومفتخراً أنها تحمل سمات التاريخ الذي لا يمحوه تقادم الزمن، وحتى نربط شعره بالتاريخ في هذا المبحث لابد لنا من المرور ولو على عجل بأهم هذه المواقع والآثار.

٢.١.١ـ المواقع الطبيعية:

قال المحضار ذاكراً أهم المعالم الطبيعية:

أمي الشحر والوالد جبل ضبضب ... وابني الحيد لسود وابنتي ضبّه
كل ما جيتهم قالوا هلا مرحب ... عش هنا بيننا لا تنزل الرحبه
با نسايرك عا سيرة وخبّة ... ظننا فيك طول الوقت ما با يخيب
يوم كل مجتهد له نصيب ... ونا نصيبي من الدنيا حبيبي

(أ) جبل ضبضب:

يقع جبل ضبضب إلى الشمال الشرقي من الشحر على بعد نحو أربعة كيلومتر، وعلى قمة هذا الجبل توجد آثار لبقايا مباني الحصن يعود تاريخها إلى الفترة الإسلامية، ولم يتبقَّ من هذا الحصن سوى بعض الأساسات لمبانيه، وصهريج كبير كان يحتفظ بمياه الأمطار، وفي أسفل الجبل توجد مغارة وقبر إسلامي. ووجود تلك المغارة في

هذا الجبل والقبر إلى جانبها جعلت الأهالي ينسجون الكثير من الأساطير حولها وبأنها كانت مقبرة لقوم عاد، ويحتمل أن وجود مثل هذا الحصن على هذا الجبل كان الغرض منه المراقبة البحرية إضافة إلى استخدامه كفنار ليرشد السفن والمراكب في الليل.

(ب) جبل ضبّة:

هو الجبل الواقع في الجهة الغربية للشحر، ويعتبر معلماً طبيعياً لها، وقد سميت المنطقة المحيطة به بمنطقة ضبّة نسبة لاسم هذا الجبل. وتقع بمنطقة ضبّة من الناحية الجنوبية على ساحل البحر العربي الميناء النفطي ويشرف هذا الجبل عليها.

ونسب الشيخ عبد الرحمن الملاحي تسمية ضبضب إلى قبيلة ضبضب المهرية وهو موطن واسم ذات لقبيلة، وضبة اسم قبيلة حميرية استوطنت في عهد قريب ذلك الموقع فنسب إليها، وقد رحلت إلى الشام مشاركة في الجيش الإسلامي، كما أن ضبضب المهرية قد رحلت أيضاً إلى مصر تحت قيادة الصحابي عمرو بن الغاص لجيشه الإسلامي الفاتح لها. ورجح الشيخ الملاحي أن الآثار البشرية المادية على الجبلين من مبانٍ وغيرها هي آثار لتلك الأقوام التي سكنت.[١١٥] وما ذكره الشيخ الملاحي عن قبيلتي ضبضب وضبة أعتقد أنه نقلاً عن جامع الشيخ بامطرف.

(ج) مطراق حنين:

قال المحضار:

متى با نظر سمعون وكثيبـــه الزين
وبشرف على القرية ومطـــــــراق حنين
ونوب العسل في الجبح بسمع حنينه
ولا حد يلومـــه من يفـــارق ضنينـــه[١١٦]

وقال المحضار أيضاً:

شل نفسك رفع يا بن عبـــادي سدة الخور والحوطة تنادي
جا لك السيل من مطراق حنين كـــــــل ما جابه الله زين
للقدر با فتح قلــبي على بـــابين كـــــــل ما جابه الله زين

هكذا دائماً نسمع المحضار وهو يخلد إحدى البقاع المشهورة في مدينة الشحر (مطراق حنين) حفاظاً على هذا الاسم من الاندثار والنسيان لتبقى شهرته للأجيال القادمة. والمطراق اصطلاحاً هو الزقاق أي الشارع الصغير والضيق بين الديار ويجمع على مطاريق.

ومطراق حنين هي الحدود الفاصلة بين المجرف وعقل باعوين ، ويعتبر مدخل السوق من الجهة الشرقية ، والاسم ينسب لأحد الأسر الشحرية العريقة.

(د) مسيال سمعون:

يعتبر مسيال سمعون معلماً طبيعياً من معالم مدينة الشحر حيث يقسم المدينة إلى قسمين ، ويتفرع المسيال بداخلها إلى فرعين ليعرف ما بينهما بحارة الجزيّرة ، والمسيال والمسيلة لفظتان حضرميتان تعنيان السائلة التي يجري فيها السيل ، وقد ذكر الشاعر المحضار مسيال سمعون بقوله:

كأني ما عرفتــك بسيلــه ولم نسمر بسمعــون ليله
ولم نشرب بتلك المســيله أحلى شراب قمري البان
أنسي معك طاب

٢ـ١ـ٢ـ المواقع المعمارية الأثرية:

(أ) الحصن القديم:

تقع بقاياه غربي حصن بن عياش وجنوبي دار السينما وهو اليوم تل عالٍ من التراب، تبدو فيه ومن سطح الأرض رصف للحجارة مما تبنى بها جدران الآبار.. وعليه يقام نصب العلم القعيطي السابق ، ويعتقد أنه بقايا من حصن البلاد والمعروف بالمصبح الذي تذكره كتب التاريخ ، كما يعتقد أنه بني في العصر الرسولي (القرن السابع الهجري) في هذه الفترة (٦٧٠هـ).[١١٧]

(ب) السور:

قال المحضار:

إنك تريد الصـــدق شف ماشي كما جــبر الحبايب
أما الطمع فضـــــاح يدرج بك على كل المذاهـب
أيش حصلوا لي خططـوا برّع وخطوا داخل السور
الجبر في الدنيا ونا من صـاحبي ما زلت مجبور[١١٨]

يقال أن للشحر ثلاثة أسوار في تاريخها يبدأ من سور القرية في عهد الدولة الرسولية (٦٧٧هـ ـ ٨٣٦هـ) ، حيث كانت الشحر هي حارة القرية وهي مركز الأسعاء حينذاك وموطن كنده القديم ، ويعتقد أنه كان يحيط بها سور حسب ما ذكر في فتاوى بامخرمة ، وللسور عدة بوابات منها البوابة الرئيسية التي تؤدي إلى ساحة السوق ، وعلى السور عدد من القلاع. ثم يأتي السور القديم في عهد حكم دولة آل بريك للشحر (١١٦٥هـ ـ ١٢٨٣هـ) ويبلغ طوله ٣١١٣ متراً ، وعلى جدار السور

عدد من القلاع. ثم يأتي السور الكبير في عهد حكم الدولة القعيطية (١٨٢٠م ـ ١٩٦٧م) حيث هدمت السور القديم وبنت السور الحديث في عهد السلطان عمر بن عوض القعيطي ، وقد استمر بناؤه ستة عشر عاماً والسور يلف حول المدينة من البحر إلى البحر ، ويبلغ طوله ميلين كاملين ، والمسافة بين القلعتين البحريتين ميلاً كاملاً. وللحصن بوابتان رئيسيتان تسمى الأولى سدة العيدروس والثانية سدة الخور، وفتحت في السور ستة منافذ تسمى (مسالف) ومفردها (مسلف) ، وبني على السور خمسة وثلاثون حصناً تسمى محلياً (أكوات) تبعد عن بعضها البعض بمسافة ستين متراً تقريباً وقد بنيت هذه الأكوات كحماية للمدينة ، وفيها بعض الفتحات الصغيرة التي تسمى (مشاويف) ، كما بنيت حول السور ست قلاع ضخمة مزودة بالمدافع ولازالت بقايا السور شاهدة للعيان إلى اليوم.[١١٩]

وقال السيد المحضار ذاكراً السور والسدتين في البيت التالي:

لو ما شواقي لبين الشحر متوالية

والسور والسدتين وجبالها العالية

ولفظة البين هنا من الأضداد تطلق على الوصل والفرقة ، ومنها ذات البين للعداوة والبغضاء ، وذات البين لإصلاح الفساد بين القوم. كما تعني أيضاً الناحية وما يصل بين الأرض والنجوم ، والمسافة قد مد البصر. ولا ندري ما إذا كان المحضار يقصد من البين هذا المعنى أو له قصد آخر ، وليس لنا مجال للتفصيل فيه في هذا البحث. واستطراداً للحديث في المعالم الأثرية أضاف المحضار أيضاً ذاكراً النوَب ومفردها نوبة وهي شبيهة بالأكوات إلا أن الأكوات تكون مرتفعة عن سطح الأرض على الجبال وعادة ما تكون من دورين ، وهي مخصصة للحراسات ، بينما النوَب تبنى على

سطح الأرض المستوية لغرض السكن للأفراد المناوبين في الأكوات وهي من دور واحد. أما السوح هي ساحات واسعة:

قال المحضار:

إسأل السدة ودور الشحر مني والنوَب
والســـــوَح لي عند بن جـــــوبان

(ج) قلعة أبي عبد الله:

وهي القلعة الشمالية الغربية على سور المدينة الذي أقامه القعيطيون خلال الفترة (١٢٨٥ ـ ١٣٠٦هـ) وهي عبارة عن مبنى دائري قائم على قاعدة حجرية واقعة خارج السور ويربطها به وبقلعة صغيرة (كوت) ممر مستطيل ، وقد تهدمت القلعة إلا أن قاعدتها وأجزاء من القلعة الصغيرة والسور لا زال قائماً كما نعتقد إلا أنه مدفوناً تحت الرمال ـ اليوم ـ كما دفنت مدافعها المرمية إلى وقت قريب بجانبها.[١٢٠]

(د) السدتان:

هما المنفذان الرئيسيان الكبيران لسور الشحر ولهما نظامان في الافتتاح والإغلاق بساعات محددة وبواسطتهما يتعين على الداخلين والخارجين من وإلى المدينة التقيد بالزمان وبالذات في ساعات الليل أو أثناء المناوشات مع الخصوم. والسدتان هما سدة الخور وسدة العيدروس.

قال المحضار:

لولا شـــواقي لبـــين الشحـــر متواليـــة
والســـور والسـدتين وجبالهـــا العاليـــة
حيت الظباء يرتعـين وقرونهـــن حانيـــة

اشتـــاق دائم لـــــها لو عشت بين النجـــوم
مهما تزيد الغيـــــــوم الغيـــم ما با يدوم [١٢١]

ـ سدة الخور:

قال المحضار:

شل نفسك رفع يا بن عبـــادي سدة الخور والحوطة تنادي
جالك السيل من مطراق حنين كـــــل ما جابـــه الله زين
للقدر با فتح قلبي على بـابـــين كل ما جـــابه الله زين [١٢٢]

وهي البوابة الغربية لمدينة الشحر استكمل بناؤها مع استكمال بناء سور الشحر ، وقد بنيت من الحجر والجص واللبن والطين. وقد خصص الطابق الأول لأسر الحراس والطابق الثاني للمراقبة ، ولها بابان من جهة الشمال والجنوب يؤديان إلى ممر سطحي مرتفع على السور يؤدي إلى القلاع المحيطة القائمة على السور.

أما الشكل القائم فيها اليوم هو الجناح الوسط فقط وأما الجناحان الشمالي والجنوبي فقد تهدما. وسميت السدة بالخور التي تعني جهة الغرب في لهجة الصيادين ، وكانت البوابة المتميزة إلى جانب سدة العيدروس من حيث تصميمها المعماري الموحد مع اختلاف بسيط من حيث الفتحات[١٢٣].

ـ سدة العيدروس:

لا زالت قائمة بمعالمها ، ولها أهمية عسكرية حربية ، إذ من غرفها العليا المقامة على السلمين الشرقي والغربي يمكن مراقبة المهاجمين من مطلع عيقة دفيقة على الساحل شرقاً ، ومن خلف جبال وادي سمعون غرباً.

(هـ) النوَب والأكوات:

قال المحضار:

يا حبيبي أنت قصدي أنت غايات الأرب
فيك هدّمـــــــت المرابي
واسأل السدة ودور الشحر مني والنوَب
والسوح لي عند بن جوبان
لا توسوس عيب يا قلبي حبيبك ما بدا خان [١٢٤]

سبق لنا وأن تحدثنا عن النوَب بوصفها مساكن للحراسة المناوبين وهي مبنية على سطح الأرض المستوية وغير مرتفعة كما هو في مبنى الأكوات، وكل هذه النوَب موجودة خارج سور المدينة ما عدا نوبتين تقعان بساحل البحر من الجهتين الشرقية والغربية. وإذا ما عرفنا أن النوبة هي قلعة صغيرة فقد كان للمدينة ست قلاع كبيرة حول سور المدينة.

أما عدد الأكوات فهي كثيرة جداً فيوجد بالسور وحده خمس وثلاثون كوتاً ما عدا الأكوات المنتشرة على الطرقات والتي تقدر بالعشرات وكلها مبنية على المرتفعات، ويوجد في كل كوت مشواف (فتحة صغيرة) لرؤية الكوت الآخر ليتم التواصل إذا ما حدث أي مكروه.

(و) الخيشة:

هي جسر وادي سمعون، وهو جسر معلق على مدخل المدينة من جانبها الشمالي الغربي، حيث تمر سيول وادي سمعون، وهو جزء من سور المدينة الذي بناه القعيطي، وبه ثمان فتحات معكوفة وبوابتان أحداهما صغيرة على حافة الوادي لمرور المشاة وتسمى (مسلف باشراحيل)، وأخرى كبيرة بجانبها لمرور قوافل الجمال، ولا زالت

معالمها واضحة إلا قليل منها الذي اندثر بفعل السيل الكبير عام ١٩٥٤م.[١٢٥]

(ز) دار البياني:

قال المحضار:

دار البياني
والغار لي في الجبل يعرف مكاني
انشده عني وسل
هذي وثاني
وذي مــأثري حد ينــكر الآثــار
طابت مجاني
شعب القبالي وخضبت فيه لشجار[١٢٦]

وقال أيضاً:

كل ما شفت في الهند المباني مبنيـــة بجـــد
أتشـــوقت لا دار البيــاني ومثاوي عســـد
ومــآثر في الوادي أقامـوها الجـدود
قل لي يا زمان الوصل امتى با تعود[١٢٧]

دار البياني (هكذا تنطق شحرياً) هي اليوم تل من التراب المتراكم ، تبدو طبقات البناء والتنوع العمراني بها من خلال طبقات التراب خاصة تلك التي تعرضت للإحراق ، إذ تبدو واضحة للعيان طبقة سميكة من الرماد على ارتفاع مترين ونصف تقريباً من سطح الأرض ، وهي إشارة وذكرى لذلك الحريق الذي قام به البرتغاليون عام ١٥٢٢م على المدينة.

تقع الدار ـ ربما لمكانتها مركزاً تجارياً هاماً على شاطئ البحر ـ بحارة القرية يفصلها عن البحر اليوم ثلاجة حفظ الأسماك التابعة لتعاونية الصيادين بالشحر. في عام ١٩٩٥م قامت بعثة فرنسية بالتنقيب في موقع دار البياني ومن نتائجها الأولى العثور على قطعة صوان يعود تاريخها إلى ما قبل التاريخ ، ووجود قطع فخارية يعود تاريخها إلى القرن الثالث الهجري (القرن التاسع الميلادي).[١٢٨]

(ح) حصن بن عياش:

قال المحضار:

وسلام على الحصن وقباله
وقد لي عوايد من زمن نعتني له
مثل يوم العيد
لا قد جمع نحنا من حول لا حول[١٢٩]

حصن قديم لابن عياش اليافعي وقد اندثر تاريخ هذه الأسرة ولا يعرف عنها محلياً إلا أنها في تاريخ غير معروف انتقلت من الشحر إلى الديس الشرقية حيث ابتنت لها حصناً آثاره باقية إلى اليوم ، وحينما أقام آل بريك إمارتهم بالشحر أنشأ الأمير علي ناجي الأول عام ١١٨٢هـ حصناً على أنقاض حصن بن عياش بالشحر ، عرف بحصن بن عياش. احتله آل كثير لدى استيلائهم على الشحر. وبعد أن استولى القعيطي على الشحر هدم حصن بن عياش وأقام على أنقاضه عام ١٨٨٢م حصناً متين البناء على غرار القلاع الهندية وعرف أيضاً بحصن بن عياش وهو قائم البناء.[١٣٠] وقد أشرف على بنائه السلطان عبد الله بن عمر القعيطي المتوفى سنة ١٣٠٦هـ. وقد تابع أبناؤه من بعده البناء حتى سنة ١٣١٠هـ. ويعتبر الحصن الحالي مشروع

ضخم لم يكتمل ، حيث يظهر للناظر من الداخل والخارج ما يشير بأن أعمال البناء توقفت عند هذا الحد ولم يكتمل بعد ، أضف إلى ذلك عدم وجود بعض الدرج الخارجي للبوابات الرئيسية ، وبالذات من الناحية الشرقية والغربية والجنوبية ، وهو يشرف على حصن المصبح من الجهة الغربية.

(ط) دار ناصر:

قال المحضار:

من وحل مرجعه لا دار ناصر
ولاشي من الحق ميلة
هو من يغطي الشمس لي هي شارقة ما بين لقرون[١٣١]

هو القصر الكبير القائم اليوم على ساحة السوق بين حصن بن عياش في الجنوب ومسجد باقرين في الشمال ، وهو عبارة عن سكن عائلي بناه ناصر بن ناجي بن بريك عام ١١٨٢هـ ، وعندما احتل القعيطيون الشحر في عام ١٢٨٤هـ استولوا على هذا القصر ، وجعله السلطان عوض بن عمر القعيطي مقراً لسكنه وحكمه ، وقد وسع وأضاف عبد الله بن عمر وحلفاؤه الجانب الشمالي والشرقي منه عام ١٣٠٩هـ ثم أضيف بناء غرفة خاصة عليا كغرفة نوم السلطان. في الثلاثينيات أو مطلع الأربعينيات أقيمت الغرفة الأمامية الجنوبية الشرقية لتكون مقراً للمستشار البريطاني.

الواجهة الجنوبية للقصر والمطلة على الساحة كانت رواق ـ ماد مسقوف ـ به حراسات ، ومقراً لحاكم السوق في الأربعينيات ، وبالغرفة الجنوبية الغربية أقيم مستشفى المدينة في بدايته. [١٣٢]

(ي) دار بصعر:

قال المحضار:

لي خربوا دار بصعر بيخربونك
خذ عشر خذ خمستعشر لا بد لك من خراب
الحب فيه المزلة والعفو عين الصواب [١٣٣]

هي دار قديمة عادية كالديار الشحرية ، اندثرت وأصبحت أثراً بعد عين ، بيد أن كومة التراب المركوم أثر في نفس الشاعر مما جعل له رمزية خاصة في نفسه تنزوي إلى الإهمال الذي ألحقه الخراب بها وصارت بسببه كما صارت ، لافتاً أنظار المجتمع إلى حالة هذه الدار الخرابة ، وأن كل جميل سوف يشوبه التشويه والخراب إن أُهمل ولم يلقَ حقه من العناية ولو الشيء اليسير ، بوصف أن دار بصعر كانت صرحاً معمارياً يشار له بالبنان في زمانه وكيف آلت إليه الأمور ، ووصلت إليه يد الخراب.

(ك) الباغ:

باغ الشحر هو الموقع المسور في الجهة الشرقية لمدينة الشحر وبه الآن ثانوية بامطرف للبنين. والباغ كلمة هندية تعني البستان أو المنتزه ، سوره السلطان عوض بن عمر القعيطي بسور قصير قدر قامة الإنسان على مساحة ٢٠٠×٢٠٠ متر تقريباً ، وكان معموراً بالأشجار الجميلة تسقى بالسناوة من بئرين أحدهما في الجانب الجنوبي والآخر في الجانب الشمالي الغربي ، وبنى لكل بئر جابية (حوض) ، فالبئر الجنوبية جابيتها مدورة الشكل كالحلقة ووسطها مكبوس بالحجارة والطين ، وجابية البئر الشمالية مربعة الشكل. وبنى في وسط الباغ في الجانب الشمالي قصراً جميلاً من دور واحد على طراز غريب على حضرموت في ذلك الوقت ، وهو المبنى الذي أقيمت فيه مدرسة

(مكارم الأخلاق) أول مدرسة نظامية في مدينة الشحر ١٣٣٧ هـ حيث تبرع به وبالباغ كله السلطان غالب بن عوض بن عمر القعيطي للسيد أبي بكر شيخ الكاف على أن يشتركا في بناية أخرى للمدرسة فكانت التي بجوار مسجد باذيب القائم إلى الآن.[١٣٤]

٢ـ٢ الأسواق الشعبية:

تشتهر مدينة الشحر بكثرة أسواقها الشعبية وتعددها ، حيث توجد كل سوق مستقلة عن غيرها من الأسواق الأخرى وتكوّن نوعاً من التخصص التجاري في البيع والشراء ، وبالمقابل تسهل التسوق للقاصدين إليها ، وهنا نذكر بعض الأسواق الشعبية في المدينة كسوق التمر وسوق الطعام وسوق شبام وسوق السمك واللخم وسوق اللحم وسوق المجوهرات الفضية والذهبية وسوق الخياطين وسوق الحدادين وسوق اللحامين وسوق الحلاقين وسوق الأغنام وسوق البرسيم (القضب) وغيرها. مع الأخذ بعين الاعتبار في الترتيب العشوائي للأسواق فهو لا يخضع لمعيار محدد لنعتمده ، ولهذا تركنا لأنفسنا حرية الترتيب حسب ورود المعلومات عن كل سوق.

١ـ٢ـ٢ـ سوق الحلوى:

سوق الحلوى بالشحر ويسمى (الماركيت) ، يعتبر سوقاً شعبياً قديماً من أسواق الشحر التاريخية ومعلماً من معالمها ، ثم افتتاحه في ٣ فبراير عام ١٩٥٠م في عهد السلطنة القعيطية ، ولا يزال يحتفظ بشكله المعماري التراثي إلى يومنا هذا ، ويقع في وسط السوق العام ويحتوي جميع أنواع الحلويات. ومن أهمها: الحلوى المحلية المعروفة على مستوى ساحل حضرموت ، وتصنع من النشاء والسكر والسمن وهي

على ثلاثة أنواع: أحمر وأسود وأبيض ، ويختلف ذوق كل نوع منها عن الآخر ، وهناك نوع من الحلويات يسمى المجلجل ويصنع من السمسم والسكر ، إضافة إلى حلوى المشبك وحلوى المتيم وحلوى اللوز وغيرها من الحلويات الكثيرة ، أضف إلى ذلك أنواع الكيك المختلفة.[١٣٥]

ويمكن القول أن سوق الحلوى كان سوقاً خشبياً يقع على الأرض الواقعة غرب مبنى المجلس البلدي وقد أزيل هذا السوق لتوسعة الشارع العام حيث تم الانتقال إلى السوق الحالي في السبعينيات وهو ما كان يعرف بسوق الخضار واللحم الذي تم افتتاحه في التاريخ سالف الذكر. ومدينة الشحر تنفرد بهذا السوق الخاص بالحلويات على غيرها من المدن الحضرمية ، وتعتبر حلاوة الفافود من أهم وأقدم الصناعات الحلوية في الشحر مع أنها صناعة موسمية يكثر الإقبال عليها في شهر رمضان المبارك وبالذات من الأطفال. والفافود أو (المحلوي) ــ والاسمان لحلاوة واحدة ــ وهو عبارة عن سكر مطبوخ وممزوج بالألوان بعد ما يصب في قوالب خاصة به تمثل الأدوات المستخدمة في البلدة من مبخرة (مقطرة) وقارب وجنبيّة وغيرها ، لكي يدخل الطفل أوج الاحتفالات بعيد الفطر المبارك ويشبع فضوله على دقات طبول البرعة قبل أن ينتقل إلى السبعة (وهي ساحة ضريح الشهداء الذين استشهدوا دفاعاً عن مدينتهم الشحر ضد الغزو البرتغالي عليها عام ١٥٢٣م) وهكذا يتهيأ الأطفال لإعداد العدة للعب بعد أخذ قسط من الراحة في شهر رمضان الكريم. ولا يعرف بالضبط معنى لفظة (الفافود) ولعلها مأخوذة من كلمة Food الإنجليزية التي تعني الطعام.

وللفافود أهزوجة خاصة به يرددها الأطفال بكل فرح وسرور بكلماتها البسيطة المعبرة عن حبهم لهذه الحلاوة التي لها موسم واحد فقط في السنة:

يا فافودي يا فافودي وعادنا بغيت فافود

أما البنات فتتغير عندهن لفظة عادنا إلى عادني وتردد باللحن نفسه.

٢.٢.٢.سوق شبام:

وهو سوق وسط المدينة يختص ببيع الأقمشة والملبوسات الرجالية والنسائية، ويتوسط المدينة ويرتاده الكثير من الناس من داخل المدينة وخارجها ، ويكون أكثر ازدحاماً قبل وأثناء المناسبات الدينية كشهر رمضان الكريم وعيد الفطر وعيد الأضحى ، ولكنه ليس موسمياً بل يعمل على مدار أيام السنة ويقدم كل ما هو جديد ، وقد توسع هذا السوق بأكثر مما كان عليه سابقاً.

٣.٢.٢.سوق الطعام:

وسوق الطعام عبارة عن مجموعة من الحوانيت الصغيرة ودكاكين المعطارة وهو سوق متخصص في بيع الحبوب بأنواعها والبهارات والمخللات وما تتطلبه المواد الغذائية اليومية للمواطنين ، وهو على سكتين متقابلتين ، ويقع شمال سوق الحلوى الحالي ، وخلف عكف أبو سبعة (مع أن أكثر أسواق الشحر عبارة عن عكوف) وإلى حد الآن يحتفظ بأكثر خواصه السابقة رغم استحداث بعضها.

٤.٢.٢.سوق التمر:

كان هذا السوق مزدهراً إلى حد العقد السادس من القرن العشرين الميلادي تقريباً، ولكنه بعد هذا التاريخ بدأ يتضاءل شيئاً فشيئاً نظراً لتطور المدينة وانتقال بائعي التمر إلى سوق الخضار والفواكه وتحويل محلاته إلى دكاكين بيع أخرى. ويقع في مدخل سوق شبام الغربي.

٢.٢.٥ـ سوق الحلاقين:

قال المحضار:

كان بوبك وكان العولقي في صداعه
سوم ما ينشقع
لا حصانة في الدنيا ولا شي مناعة
من هشل جم زنع
يا سويلم نقع
لا حلق بو مسلم فوق كرسي مسينون[١٣٦]

وقال أيضاً:

لا قـد حلـق خـــوك مثله حلق
ما دام عاد المـوس فـــوق المسن
لا انته كـــــــما التالي ولا لولي
ذي طرق نافذة ما عليها قفول[١٣٧]

وللحلاقين سوقهم الخاص بهم في مدينة الشحر وتتجمع محلاتهم في الجانب الجنوبي الشرقي لسوق الطعام ، ويشكلون سكة من المحلات الخاصة بالحلاقة ويعملون يومياً ، ولكن تزداد الحركة عندهم في مواسم الأعياد نظراً لوفود أبناء الأرياف إلى المدينة للحلاقة ، وشراء ما يمكن شراؤه من ملبوسات الأعياد.

٢.٢.٦ـ سوق المصوغات الفضية والذهبية:

وتشتهر ببيع وشراء الفضة والذهب وأعمال الحلي، حيث يكون الإقبال على المصوغات الفضية من البادية والريف بينما المصوغات الذهبية يتم الإقبال عليها من أهالي المدينة

، وبالذات الميسورين منهم أيام زمان ، ومع مرور الوقت قل الطلب على الفضة واتجه الكثير منهم إلى الذهب ، ولهذا أقفلت بعض المصوغات الفضية ، وازداد فتح المصوغات الذهبية تماشياً مع الواقع. وتتجمع أكثر مصوغات الفضة جنوب سدة العيدروس.

٢.٢.٧ـ سوق المصبوغات:

وهي سوق جل روادها من البادية ، بحيث يقومون بصبغ فوطهم البيضاء المسماة بعد الصبغ (صبيغة) ويتم صباغتها بمادة النيل ، وهي صبغة زرقاء داكنة تميل إلى السواد. وتقع هذه السوق جنوب رقة العيدروس بعقل باعوين ، وقد أغلقت جميع هذه المحلات نظراً لعدم الإقبال عليها في هذا الزمن وعزوف البادية عنها.

٢.٢.٨ـ سوق الخياطين:

في الشحر مثلاً أكثر من عشرين محلاً للخياطة وأكثر منها لخياطة ملابس النساء في المنازل ، إضافة إلى ذلك خياطة الكوافي التي تنفرد بجودتها نساء الشحر. ومما تتميز به الشحر أن هؤلاء الخياطين يصطفون في سوقهم الذي يجمعهم شرق سوق شبام سابقاً ، بينما اليوم اصطفوا بجانب سوق المصوغات داخل سدة العيدروس.

٢.٢.٩ـ سوق الحدادين:

ويتميز هذا السوق بالحدادة حيث يكثر عليه الزبائن قبل عيدي الفطر والأضحى لحد سكاكينهم ، كما أن إقبال الفلاحين على الحدادين وارد على مدار السنة لإصلاح أدوات الزراعة من شريم وملعب ومزحاة[١٣٨] وغيرها ، كما يقومون بعمل بعض الأدوات المنزلية من مشاكيك ومقانص وملاقيط وخيش وغيرها كثير[١٣٩] ، ولأصحاب السيارات نصيب من أعمالهم ، كما يرتاد هذه السوق الكثير من أصحاب المهن الأخرى المرتبط أدوات مهنتهم بها وذلك لإصلاح ما عطب منها.

١٠.٢.٢.١٠ـ سوق اللحامين:

وهذا السوق يختص باللحامة التقليدية (اللحام البارد) وأعمال بعض الأدوات المنزلية كالسراج وإصلاح بعضها ، كما يقوم السوق بصناعة وبيع المشاعيل التي تستخدم في العشر الأيام الأولى من شهر ذي الحجة ، وموقعه القديم بجانب سوق الخياطين من جهة الشرق.

١١.٢.٢.١١ـ سوق الأغنام:

وتسمى أيضاً سوق الغنم وهي سوق خاصة ببيع الأغنام والضأن على مدار السنة وتزدهر قرب عيدي الفطر والأضحى لوفرة الزبائن فيها ، وفي هذه الأوقات يكون أكثر الباعة من البادية لتربيتهم للأغنام ، بينما أكثر الزبائن من أهل المدينة ممن لا يربونها في بيوتهم ، وممن أضطر من أهل الريف ، الذين يربونها في بيوتهم. وهذه السوق لم تستقر في مكان واحد بيد أنها أخذت وقتاً طويلاً بجانب مسجد العيدروس في عقل باعوين.

١١.٢.٢.١١ـ سوق القضب:

هكذا يطلق عليها أهالي الشحر ، وهي سوق خاصة ببيع البرسيم لكون أهالي الشحر يربون الأغنام والضأن أمام بيوتهم ، حيث يأتي القضب من الأرياف فجراً ليعودوا بعد بيعه إلى أريافهم محملين بالأغراض والأسماك ، وتقع هذه السوق قديماً شمال مسجد بازاراق وجنوب سوق الحلوى الحالي.

١٢.٢.٢.١٢ـ سوق الخضار والفواكه :

ويباع فيه كل ما يشتهيه المواطن من خضار وفواكه تأتيه طازجة من الأرياف المحيطة بالشحر ، أما اليوم فيأتي أكثرها من وادي حضرموت نظراً لوجود السيارات.

وقد كان ماركيت الحلوى الحالي مقراً لسوق الخضار في السابق ولكنه ظل يتنقل من مكان إلى آخر ولم يستقر في موقع خاص به إلا في الفترة الأخير حيث حل محل حديقة الشحر التي كانت تسمى قديماً (الفرجة) غرب حصن ابن عياش.

١٣.٢.٢.سوق الأسماك:

وهي من أهم الأسواق المزدهرة في الشحر، كون الشحر تقع على ساحل البحر، وتكثر فيها الأسماك الطازجة بأنواعها حسب مواسم صيدها. وفي هذا السوق نفسه يباع الملح. وظل يتنقل من جانب مسجد بازاراق إلى جانب بيت مكارم إلى موقعه الحال على الساحل.

١٤.٢.٢.سوق اللخم:

وهي من الأسواق المصاحبة لسوق السمك وتكون بجانبه ويباع فيها اللخم المجفف بأنواعه بينما اللخم الطازج يباع في سوق السمك. واللخم هو نوع من أسماك القرش تنظف بماء البحر بعد الصيادة وبعدما يخرج كل ما بأحشائها ثم تشق وتملح ثم تعرض للشمس مباشرة للتجفيف.

وهناك أسواق أخرى كسوق بيع الحطب والصخر (الفحم النباتي) الذي هو الآخر يتنقل بحكم توسع المدينة، حيث انتقل من المحط إلى جانب سوق القضب شمال مسجد بازاراق وأخذ الفترة الكافية له في هذا الموقع إلى أن استقر شمال مقبرة باهارون في عقل باغريب. كما أن هناك سوقاً للمكسرات (المحمصات) وكان يجاور سوق الحلوى الحالي من الشرق قبل أن يتفرق أصحابه في أماكن مختلفة.

١٥.٢.٢.المقاهي:

تعتبر المقاهي من أهم المجالس الشعبية في الشحر بلا منازع، حيث يلتقي فيها جميع الفئات العمرية للمجتمع ما عدا الأطفال، وكل مجموعة تضم ما يناسبها من

الميول الخاصة بهم ، حيث تجد مجموعة السياسة والثقافة والتربية والتعليم والصحة والمجتمع وغيرها ، وكل منها يناقش ما يحبذ النقاش فيه ، ويغلب على النقاشات الحدث الجديد وكل يأخذه من باب ميوله ، ويستمر النقاش لفترة حتى يأتي الحدث الجديد الآخر. وبالمقابل يحتسي الجميع مشروبهم المفضل الشاي أو كما يسمونه (الشاهي) بنوعيه الأحمر أو المضاف إليه اللبن وأحياناً القهوة بنوعيها المرة والحلوة مع تناول حبات من الباخمري وبالذات بعد الفجر. (الباخمري هو معجون الدقيق المخلوط بالسكر والخميرة والمغلي بالزيت ، ويقطع قبل غليه على أشكال مربعة أو مستطيلة أو دائرية).

الفصل الثالث

العادات والتقاليد والحرف والفنون الشعبية

٣.١ـ العادات والتقاليد:

أكثر ما تناول الشاعر المحضار في أشعاره؛ العادات والتقاليد ، وقد خصص جزءاً كبيراً لإبرازها بكل ما تحمله من سلب وإيجاب ، وربما كانت طاغية بقوة في شعره، ليعرفها القاصي والداني ، والطفل والشاب والكهل ، كل حسب فهمه واستيعابه، حتى أصبح شعر المحضار هو الحوض الواسع الذي يجتمع فيه تراث العادات والتقاليد الشحرية. وعلى اتساعها وكثرتها نأخذ منها فقط أوليات قصد الإشارة والتأكيد على الربط بينها وبين شعر المحضار.

٣.١.١ـ الموروث الشعبي:

(١) الملبوسات:

قال المحضار:

وملابسك في الملفّـــــة عادهن ما ارتمن
فوطتك وشمـــــــــيزك البني ورمانك
يا المغترب وسط إبطك حط ميزانك[١٤٠]

ذكر الشاعر المحضار في البيت السابق بعض الملبوسات الرجالية من فوطة ، وهي لفظة متطورة نوعاً ما لأنه استخدمها للمغترب ، ويقصد بها شحرياً المعوز أو الصاروم ـ مع إقلاب الميم نون ـ وهو لباس مكون من قطعة واحدة فقط يلف

بها الرجل نفسه من البطن إلى الساقين ، أما تكون في الغالب مخيطة على شكل كيس مفتوح الجهتين أو قطعة بدون خياط. وقد كانت في الأوقات السابقة قطعة قماش مصنوعة من القطن الخشن المسمى بـ(الكارا) أو المريكان ، ويربط المعوز أو الفوطة على الخصر بحزام يسمى (كمر) ، ثم يأتي بعد ذلك الشميز وقد وصفه المحضار بالبني نسبة إلى لونه ، وكانت في السابق تلبس الفانلة (القرمة) ، ويغطى الرأس بـ (الكوفية) ثم بالعمامة (المشدة) البيضاء من البفت أو الدك أو اللاس أو الململ. وعادة ما يستخدم مقدم الحارة عمامة خاصة تسمى (الرمّان) المستوردة من الهند وجميعها تتكون من ثلاثة ألوان فقط هي الأحمر وهو اللون الغالب والأسود والأبيض ، وبعضهم يتعصر بالعصرة ويعمل الرادي أو الشال على كتفه وكلها أقمشة ، ويحمل الجنبية أو السكين في غرزه. وعند الانتقال من مكان إلى آخر يلف الملابس في قطعة كبيرة من القماش ويقال لها الملفة بدلاً عن الشنطة. وينتعل الرجل الحذاء الجلدية ، ويتزين بالجنبية المذهبة أو بالسكين في جفيرها[١٤١] ، ونادراً ما يلبس أحدهم العضاد في زنده وهي عادة بدوية. والعضاد حلقة كبيرة مصنوعة من الفضة.

وقد حدد المحضار بعض اللباس التقليدي القديم للنساء في قوله:

ما بـــش سخـــا يـــا دار بن قالـــــه
شلوا قبالش والقواســـــم أيش بقوا لي
والوعن لي مصفـــــوف في الصالـــة
تقاسمنّه لابســـات الطـــان والصولي
طاردتهن وتعبت جانا في عظامي الصال
باب الزعل مقفول ما بيني وبينك لا تخلي شي يقع عالبال

والشاهد من ذلك لباس (الطان والصولي) وهما لباسان ملونان ، فالأول أبيض اللون رخيص الثمن ، والثاني أغلى نوعاً ما ويتميز باللون الأحمر ، وبعد التطور أصبح للباس أشكالاً وأسماء متعددة منها المدري والدرع والكرتة (الفستان) وغيرها. ومن عادات النساء وتقاليدهن أن يخصصن قميصاً خاصاً للصلاة ، وعادة ما يجدد في شهر رمضان المبارك ، ويكثر لبس الثوب المدري ، ومن الخارج وفي أثناء الخروج من البيت للواجب مثلاً تلبس المرأة فوق الثوب عباءة سوداء خاصة تسمى (الشقة) ولا تخرج إلا مغطاة الرأس بالبركالة أو النقاب ، والبركالة نوع من النقاب أسود اللون ، ويكون وجهها مبرقعاً ولا يرى من أطرافها أي شيء. أما عند الخروج للخرفة السنوية فلا تستخدم إلا العباءة (الشقة) البيضاء. وسوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل في مبحث المهرجانات الموسمية (الخرفة).

أما زينة المرأة فقد عدد المحضار بعضه في هذا القول:

يقسمون الذهب بين زوجات وبنات

وني مـــا شي بيـــدي يداي خليـــــات

عطاني الصيغ قرطين وثلاث عضات

وشل مني اليمك ذاك لي في جبيني[١٤٢]

ومن أهم زينات المرأة القديمة ما أشار إليه المحضار في البيت السابق وهي زينات قديمة تراثية وهذا ما جعل شعر المحضار خالداً بخلود مثل هذه الأسماء المنسية المخلدة في شعره. ومن أنواع الزينة: الأقراط الحلقية والعضات المرفقية (إسوارات) واليمك وهو ما يوضع من ذهب على جبين المرأة ويمتد إلى خلف الرأس ويقوم مقام التاج اليوم.

(ب) المستخدمات:

قال المحضار عن صاحب الخرفة:

السكر الأحمـــــــــــر يشل منه قليل
ومن المجـــــرش جم مخش والزنجبيل
قرّب حواجـــــــه والسليط النارجيل
والخـل بـه عـا كل شي بـا نستعيـن[١٤٣]

ومن أهم الاستخدامات التراثية الشحرية ما يختص بالأواني المنزلية (الوعن) وهي كثيرة ، ففي المطبخ مثلاً: تكون الدلة أو الكعدة وفناجين الشقف والمحماس والمحقب والمدق الخشبي وكلها لقهوة البن ، والمشاكيك للسمك والبابور (المجمر) والتنور للطهي ، والبرمة والمقدح للأكل ، والتفال كمائدة ، والزير والجحلة والكوز للشرب. وهذه نماذج فقط من الأواني الكثيرة التي تكون في المطبخ. ومن المستخدمات الأخرى: الجودري للنوم وللفرش الحصير لميسوري الحال ، والمكيل لمن دونهم ، والشطفة للأسر المعدمة. وفي المخزن يكون الصندوق لحفظ الحبوب وحفظ السكر الأحمر والسكر القبع والسكر المجرش والسليط المعصّر والسليط النارجيل والسمن البنادري والخل والحواج (البهارات) وغيرها من محتاجات الدار. والسحارة الصغيرة بقامرتها الداخلية (القامرة غطاء داخلي للسحارة به عدد من التخوت ، والتخوت خانات مربعة الشكل ومستطيلة) وفيها تخبأ أدوات الزينة من دمح وكحل ومكحلة وميلها ومَنٌّ لماء الورد ، وأوعية الدراج والزباد والدخنة والياسمين ، والغسة والحتيكة والبضاعة والهرد والورس وغير ذلك من زينة ، ولكل منها وعاء خاص به.

٢-١-٣-عادات الزواج:[١٤٤]

(أ) اختيار العروس:

من عادات الزواج الشحرية القديمة مع اختلافها بين السادة والمشايخ والعسكر والحضر نتبع ما قاله السيد المحضار عن عادات الزواج لعلنا بهذا الإتباع نتوسط الأمور ، حيث يبدأ التفكير من قبل الولد وذلك عندما يكتمل نضجه يخبر أهله ليبدؤا في البحث عن بنت تناسبه لتكون شريكة حياته ، وهنا تكمن الصعوبة في الاختيار حيث لا يمكن بأي حال من الأحوال رؤية البنت لا داخل البيت ولا خارجه ، فمن العادات البائدة أن لا تظهر البنت عند الأجنبي حتى ولو كانت امرأة من جنسها أو بنتاً مثلها ، إلا إن كانت أكثر قرابة لها ، وقد صور ذلك الخفاء شاعرنا المحضار بقوله:

البنت كانت في خفاء ما تشوفها حتى السماء
مكلوسة ما يشوفها هذا ولا هذا
ما غـــير دايم في الصـــوان

هذه حال البنت أيام زمان لا تظهر لقريب ولا لغريب وإن ظهرت لأقربائها فتكون محجبة مسترة لا يُرى منها شيء ، ولهذا يرسل أهل الولد امرأة منهم أو ممن يقرب لهم تتجسس على العروس لمعرفة أوصافها كما قال المحضار:

كانوا إذا رادوا العرس وحدة تبت منهم ترس
وتسير تتلبّد عساها تنظر الغادة
تظهر عليهـــا من مكـــان

وقبل الاستطراد في الحديث نعرج على مدلول بعض المفردات في البيت السابق فلفظة (تبت) معناها تذهب ومعنى المفردة (ترس) أي تتجسس لرؤية البنت لمعرفة أوصافها ، أما لفظة (تتلبّد) بمعنى تمشي بتخفي وسرية تامة حتى لا تنكشف ويبطل هدفها ، وبعد عدة محاولات تأتي بأوصاف البنت ليرسلوا الوسيط إلى والد العروس، وتتم هذه المرحلة والبنت لا تعرف شيئاً عنها.

(ب) المداد:

قال المحضار:

وبعد ذا تم السداد قهوة ويتبعها مداد
وذا قرأ خطبة وذا ينشد بإنشاده
وأحيان تتقدم صحـــــــــان

ومعناه الخطوبة ، وهي المرحلة التي يتم فيها الجلوس بين الأهل والأقارب لاحتساء القهوة وتقديم المهر لوالد العروس أو ولي أمرها الذي ينوب عنه في حالة غيابه ، وفي المداد تقرأ الفاتحة ويحدد موعد الزواج.

(ج) التجهيز:

قال المحضار:

وقطّبوا أهل العروس بما معاهم من فلوس
شي للخرق ، شي للذهب أو فرش ووسادة
أدوة وشقوة وامتحان

وهي الفترة الفارقة بين المداد والزواج وفيها يتم تجهيز العروس بكل ما تحتاجه حسب قدرة الأهل مادياً والمهر المدفوع لها ، وما يتطلبه الزواج من شروحات

وغذاءات وأدوات ودعوات وغير ذلك حسب قوله. مع التذكير أن دعوات الناس لحضور الزواج قديماً تتم بتكليف شخص يدور عليهم ويشعرهم بمواعيد الزواج ، وعادة ما يقوم بذلك العمل المطبّل أو المقيّم للسحور في ليالي شهر رمضان (المسحراتي) قبل أن يعرف الناس الدعوات المكتوبة.

(د) ليلة الربوط:

قال المحضار:

خلاص ما الليلة ربوط الدار زي عين المخوط
حد قيم في سطحه وحد واقف في ارقاده
وحـــد مخـــبأ في الصـــوان

هكذا وصف المحضار ليلة الربوط وازدحام الناس في الدار وهي بمنزلة الإعلان الرسمي للاحتفال بالزواج ، وسميت بليلة الربوط لربط العروس وإشعارها باسم عريسها بقولهم: (مربوطة على فلان) بعد تغطيتها بفوطة خاصة ، وهي تأخذ في البكاء بينما المطبلات يطبلن بطبولهن ويغنين الأغنيات ذات العلاقة بالزواج وسط ابتهاج يغمر القلوب بارتفاع نبرات صوت الحجير (الزغاريد) ويستمر ذلك الغناء ساعات من الليل حتى تزف العروس إلى قعادتها أي سريرها المعد لها.

(هـ) القطع:

قال المحضار:

والقطع في دار العروس يا الكوبرة يا أم اللبوس
حنّاء لها وخضاب للركبة ومدّادة
في الرجل والكف والبنان

وهو صباح ليلة الربوط ولا زلنا في بيت العروس ، وفيه تجهز العروس وتتزين بنقشات الحناء والخضاب المعمول من العفص ورأس لُخط ويحرق في وعاء خاص به يسمى (غضارة) ، والخضاب صبغة سوداء اللون يخطط به اليدين إلى المرفقين والرجلين إلى الركبتين وخط طولي في الوجه من منبت الشعر بالناصية مروراً بالأنف والمباسم إلى أسفل الوجه وتسمى (سلسلة) ، وعملية تحضير الخضاب تتم بعد تقطيع حبات العفص إلى أجزاء صغيرة وتحط على قطعة صفيح وتوضع فوق الموقد على نار هادئة بينما تقوم المرأة بحك قطة الرأس لخط وهي عبارة عن قطرات مجمعة من الحديد الساخن بعد إعادتها لحالتها الصلبة (خراء حديد) ذات اللون البني القاتم المائل إلى السواد وتشبه في شكلها حجرات الكحل المصري المعروف بهذا الاسم شحرياً تحكها على الجوانب الداخلية للغضارة ، ثم توضع الغضارة مقلوبة على قطع العفص الموضوع على النار بحيث تكون فوهتها من الأسفل ، وتطلى جوانبها الخارجية بالطين ، وبالمقابل ترفع الغضارة وتمرر على حافتها الداخلية قطعة قماش مبللة بالماء بحيث تعمل على تحويل بخار العفص إلى سائل أسود وهو ما يسمى بالخضاب. ويتم ذلك النقش من قبل الفنانة المختصة في ذلك المسماة بالكوبرة. وبالمقابل في بيت العريس (الكلان) وتحت الشراع يتم تناول وجبة الفطور والقهوة مع تناصير الشباب وزغاريد النساء. وعصر اليوم نفسه دقاقة الطيب وفي المساء الحناء مع أصوات الزربادي (سنتحدث عنه لاحقاً). كما قال المحضار:

والعصر نرجع من قريب عند الكلان دقاق طيب

والليل حناء با نحني له على العادة

بأصوات زربادي زيان

(و) الغسة والزفة للعروس:

قال المحضار:

ورجالها حضروا زمر من جاء يقص نبزة شعر
والطرح كلٌ جاب له زادة ومزنادة
في الطرح محد يستهان

والصبح زفة عند العروس وغسة وتمشيط وتعقيد الشعر واستقبال محرميها من الرجال لقص خصلة من شعرها ثم يهدي كل منهم ما يستطيع إهداءه ويسمى (طرح).

(ز) الحلاقة والتخمور:

قال المحضار:

العصر حلقوا للعريس في جمع وخزى الله بليس
واليوم هذا يحتسب من أحسن أعياده
ما هو من أيام الزمان

وهي خاصة بالعريس ويكون ذلك عصراً في مكان عام حيث يجتمع الناس في أثناء الحلاقة وهم يغنون بمعية الطبول ، ثم يزف العريس إلى الشراع عند النساء ، وهناك يتم التخمور حيث يوضع الطيب الذي سبق وإن دق سابقاً على رأس العريس مع حضور أقاربه ، ويتم ذلك مع رقصة التخمور النسائية كما قال المحضار:

وبعد هذا يا فهيم تخمور يلقنّه الحريم
ويجلسنّه فوق طراحة وسجّادة
ويلبس أثوابه الزيان

(ح) عقد القران:

قال المحضار:

نجلس وجابوا المقطرة للخُطبة القاضي قرأ
وتقابل الاثنين والقاضي وشهاده
في الحال تم عقد القران

بعد التخمور يزف الكلان إلى مكان عقد القران ـ وكان في السابق في بيت العروس ـ حيث يتقدم الزف مقدم الحافة بلباسه الأنيق المناسب للمناسبة (سبق وإن شرحنا هذا النوع من اللباس التقليدي) وهو بجانب الكلان ، وهناك يلاقون الحفاوة والاستقبال من آل العروس ، ويأخذ أحدهم مبخرة العود (مقطرة) والآخر ماء الورد ويدوران على الجمع ، بينما تكون مبخرة خاصة بجانب الكلان ، وهكذا يتم عقد القران بين الاثنين بواسطة القاضي (المأذون) بعد قراءة الخطبة الخاصة بالعقد وسط زغاريد النساء وتقديم الحلويات والمشروبات من قهوة وغيرها.

(ط) السمر والمسحة والدخول:

قال المحضار:

وبعد جاء وقت الدخول الكوبرة وش با تقول
في هذه اللحظة جميع أعضاه مشدودة
والقلب يرجف والجنان
ودخل إلى عند العروس وهي ملانة باللبوس
من حلقها لا صرّها وعليه خرّاده
وقد يصل لما الزبان

في الليل يستمر السمر والغناء وبعدها يزف الكلان إلى بيت العروس وهناك بعض الترتيبات الخاصة بدخول الكلان إلى بيت العروس ومنها أن يدك على الباب ويكون الجواب من الداخل من ؟ يقول : فلان ، ويقال له : ماعندي قليد ثم يأخذ الحضور في شلتهم :

يافتح الباب افتح باب سـيدك وخـاف الله مانحـن عبيدك
يافاتح الباب افتـح الباب بالشفقه وإلا كسرناه وخليناه لكـم درقه
يافتاح الباب افتح الباب بالترتيب وإلا كسـرناه وخليناه على قاليد

وبعد ذلك يفتح للكلان الباب ويعطي لمن فتح له عطوه و بعد دخوله يقوم أول ما يقوم به بمصافحة أم العروس (الخالة) وجدتها (الحبابة) في غرفة خاصة ويهدي لهما ما تيسر وتسمى هذه العملية (المحاياة). أما دور الكوبرة هنا (المرأة التي تقوم بتزيين العروس) هو القيام بفك ربطة الحلي من العروس مقابل أجر قليل ، لأنه يصعب على الكلان في هذا الموقف فك هذا الحلي بسهولة.

(ي) السرية :

قال المحضار:

سرى بها داره غلس وين البرابر والعَرَس
ذبحوا على رجل العروسة هكذا العادة
وتلْقِيَة بالخيبعان

جرت العادة القديمة أن يسري الكلان بعروسه مع الفجر إلى بيته في زفة نسائية جميلة ، وهناك يستقبل من الأهل استقبال الشجعان بالحفاوة والفرح ، ويقوم الرجال

بذبح البرابر(الخرفان) والعَرَس (بفتح العين والراء وتعني الشاة الصغيرة) ويكون الذبح عند رجل العروس ، وعليها أن تمر على دم المذبوح من الحسد وعين الشياطين ، بصحبة الزغاريد والغناء. وسنأتي على ذكر هذا النوع من غناء النساء في المبحث الخاص بالتراث الفني والغنائي.

(ك) الصبحة والخواد:

قال المحضار:

الليلة العشوة خواد وصلن نساء من كل بلاد
خرجوا وفرشوا للعروسة فرش ووسادة
ودخّلوها في الدحان

والصبحة هي ما يقدمه الزوج لزوجته من أدوات وثياب ولوازم في يوم صبحيتها الأولى في بيته وفي هذا اليوم يتجمعن النسوة في الشراع لأداء الشروحات والغناء والزفين بدون حضور العروس ، ولكن في عصر اليوم نفسه (العشوَة) يكون الخواد وهو ظهور العروس بكامل زينتها في الشراع السابق الذكر بحضور جمع كبير من النساء لمشاهدتها.

(ل) الكشف:

قال المحضار:

والليل كشف للأقرباء كلٌ بما جوده هبا
وكل واحد قد بدا منهم استعداده
في الريم رشنوا الكهربان

وفيه يأتي أقرباء العروس (محارمها) ليكشفوا عليها ـ أي ليباركوا لها ويسلموا عليها ـ ويهدوها الهدايا كل حسب مقدرته. وبهذا تنتهي مراسيم الزواج الرسمية القديمة ليرتاحوا بعدها من العناء والتعب كما قال:

وبعد ذا تم العرس لي داخ منّه كل حس
وعاد من بعد التعب ذا ناس نقاده
ما شي في الضيفة دهان

(م) منقض ثمان:

قال المحضار:

وتفرقوا بعد الظهور حتى الأقارب والصهور
من بعد هذا للعروس أيش الذي عاده
لابد من منقض ثمان

وهناك حفل صغير يحضره الأقارب والجيران بعد مرور ثمان أيام على الزواج يسمى منقض ثمان ، وفيه نقض لشعرها المعقد ويغنين فيه النساء بعض أنواع الغناء عندهن ، ثم ينقلون العروس إلى بيت أهلها لأجل الغذاء هناك ، ويتبعه غناء (شرح) أو مولد في عصر هذا اليوم ، ثم تعود إلى بيت الكلان ، ثم يأتي بعد ذلك النقد من الناس في حالة القصور ، وهذه هي عادات الشحر.

وهكذا يؤكد السيد المحضار في البيت التالي أن ما ذكره من عادات الزواج القديمة هي من العادات الخاصة بمدينة الشحر ، ولم يتحدث عن سواها ، ولكن في هذه العادات ربما تتفق بعض البلدان مع الشحر فيها فليس ما يمنع ذلك طالما أن الحياة المعيشية في تلك الفترة تكاد تكون واحدة وبالذات في المناطق الساحلية. وهذا

هو بيت القصيد:

هذي عوائد شحرنا ما حولنا في غيرنا

كلين له عادات في بلدته معتادة

ولكل لغوة ترجمان

يتطور الإنسان

٣-١-٣-عادات الولادة:[١٤٥]

(أ) متطلبات الحامل:

قال المحضار على لسان أم الزوجة الحامل:

وقالت أمهـا بنتي فقـــــاع مســـيكينـة تظلي هاع هاع

بغت حومر بغت واحـد صباع بغت كبدة بغت سكر نبات

عادة ما تطلب الحامل بعض الأمور وبالذات إن كانت حديثة ولادة (بِكر)، حيث تبدأ خالة الزوج (أم الزوجة الحامل) بالطلبات لبنتها وخاصة إذا كانت فقاع (تتوحم) ، فتعمل قائمة مشتريات للزوج ومع بساطتها إلا أنها قد يعيق دخل الزوج إيجادها ولكنه لفرحته تهون عليه المطالب ولا يتوانى في شرائها طالما أنها تعتبر من الضروريات للحامل. ومن أهم الأشياء التي ذكرها المحضار: الحومر (التمر الهندي) ، وبعض الأكلات الشعبية كالصباع ، وهي أكلة شعبية على شكل أصابع تصنع من دقيق القمح المقلي والمعجون بالسمن والبيض مع قليل من مطحون الهيل والقرفة وتسمى شحرياً بالقِلقِلة ، ومنهم من يطلق اللفظة على أرجل الأخطبوط المجففة مثل الحبّار (العزَيزَة) ، والكبدة وسكر نبات. وإذا لم يستطع الزوج تحضير

مثل هذه الحاجات المطلوبة ستؤثر في الجنين برسم صورة الحاجة على فخذه أو جبهته وستكون معالمها واضحة للعيان وهذه ما تسمى شحرياً بـ (الشرغة). كما في قوله:

إذا ما جبـــت مطلبــها يقـــين علامة با تؤثر في الجـــنين
تقع في الفخـــــذ وإلا في الجبين وشرغة كم شرائغ عالمات

إضافة إلى ذلك أن تكون الحامل في راحة تامة في البيت مدة الحمل، وغالباً ما تنتقل إلى بيت أهلها بجانب أمها، أما الزوج ففي سمع وطاعة ولا يرفض أي طلب مهما كان ثمنه.

ومن العادات القديمة أن يشتري الزوج خروف (كبش مساير) أسود يكون حرز من الحسد والعين، ويربى في البيت تربية خاصة وبعناية فائقة، ويذبح بعد الولادة مباشرة، بحيث تؤخذ أطرافه لدفنها مع اللمّاة (المشيمة). ويوزع بعض لحمه للجيران كما قال المحضار:

وقالت له بغينـــا كبـــش زين يكون أسود وملقي خصوتين
مساير حرز من حســـدة وعين ومن شـر النـفوس الحاقدات

والبعض الآخر من الناس يربي في بيته مدة فترة الحمل حتى الولادة ديك (زق فرق) ـ أي غير منتصب العرنوف ـ ويعتنون به، يسمونه تمسوح من الجن ثم يتركونه بعد الولادة مباشرة ولا يسألون عنه إطلاقاً لأنه في نظرهم ديك الجن. وغيرهم لهم عادات أخرى غير ذلك.

وتزداد الطلبات في الأشهر الأخيرة، سرير (قعادة) ومفرش ومغطى وسباعية معكثلة الدبال (فوطة بها أطراف صغيرة متدلية من جهتين) ودهلة (متطلبات الطفل والنفاس)، وصبر وهرد وهضيمة وقرض ولبان (حاسكي وميطي وبدوي) وضفيرة ومحلب ومر فطير وورس (كل ما ذكر من مستخرجات النباتات)، وكحل

وعسل وزيت الجلجل (معصرة) وعدد من المقاطر (المباخر) الطينية ، وثوب خاص بالنفاس ، ولابد من الاتفاق مع المحمّية والمربية. إضافة إلى مهد للطفل وصدر ومسفر (قطعة من الجلد) وقطعة حديد من الحسد والعين ، وموجر (وعاء يسقى به الطفل اللبن) ولخاه (وعاء يسقى به الطفل الدواء) ومرقب (قطعة من القماش مملوءة بالقطن تعصب في حلق الطفل) ، وقطعة شاش ، وبرو للحقاء (خيط غليظ يربط به الخصر أو الحقوين) والبعض الآخر يستخدم النزر وهو خيط رقيق من القطن. وكل هذه الطلبات ذكرها المحضار في عمله الفني المسرحي (الولادة والختان)

(ب) حالة الحامل:

قال المحضار:

تحقق حملـها زاد الظـهـور ومرت كاملة تسعـة شـهور
وفي ليلـة سمعنـاها تثـور وحست بالولادة حين جـات
وزادتها المواصي والكهـور وقامت أمها تحضـي البخور
وفي ربشة كبيرة يا حضـور وتدعي بالحـيا هم والموات

عندما تشعر الحامل بألم الولادة الذي يسمونه (مواصي وكهور) تقوم الأم بتبخير البنت الحامل وتدعو وتنذر ، وتوصي للقابلة ويسمونها (مولدة) للحضور ولو في آخر الليل لانعدام الطب الحديث ، وهكذا يبيتون على هذا الحال وأبوابهم مغلقة كي لا يسمع بهم أحد حتى لا يعرقل الولادة حسب اعتقادهم السابق. وتبدأ القابلة في عملها بسرية تامة حيث تعمل القهوة وقد ذكر المحضار سبع من حبات البن كاعتقاد مسموع. وتقوم القابلة بدهن ظهر الحامل بالزنجبيل وزيت النارجيل إلى أن تتم الولادة بحمد الله.

(ج) ما بعد الولادة (النفسة):

قال المحضار:

وأذن بـوه في أذنـــه وقـــــام وصلى عالنبي بـدر التمـــــام
وقامـــــوا الناس لي كانوا نيام وسمعـوا الطفل يبكي وات وات
وقطعـــوا الصر لي هو متصل وبعد القطـــع بو سالم وصـــل
وجـاب الرأس ويدّه ترتقـل عـليهم للـولادة تضحيـــــات

يقوم الأب بالآذان والإقامة والصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبعدها يوقظون النائمين في البيت ، ويقطع الحبل السري (الصر) وينتظرون إلى خروج اللمّاة (المشيمة). ثم يؤتى بالكبش المذكور سلفاً لذبحه وتؤخذ منه الأطراف مع بيضة ودخون ومسمار وغير ذلك ويدفن مع اللماة ، فإن كان ولد دفنت لمّاته خارج البيت وإن كانت بنت دفنوها داخل البيت.

وبعد ذلك تبدأ البشارة بواسطة الصغار للأهل والجيران ، ويرتفع صوت الزغاريد، ثم يؤخذ الطفل للغسل والتخطيط على وجهه بالمر والصبر ، ويطرحون قليل من العسل في فمه ويقال له (حنكوه) ، وبالمقابل تغتسل النفاس بالماء الساخن قليلاً ، ويمسحون عليها بالهرد والمر ، ويلبسونها ثوبها الجديد ، ويصرون بطنها بالغرو (حبل من شعر الضأن) ، ثم يأخذونها مكان استقبال النساء المهنئات ، ويقال لهذه الزيارة (شمّة) ، ولابد أن يعملوا تحت رأسها شريم معوج من الجن والحسد.

٤.١.٣.ـ عادات الختان والخشاف:[١٤٦]

(أ) الختان:

قال المحضار:

ومرّت سبع أو مرّت ثمـــان وقالوا اليـوم ذا معنا ختـــان
ونبّـوا عالأقــارب للمكــان وعا صهــراتهن هن والخوات
وجاء الخاتن وختنوا للولـــد وذبحـوا رأس والعاصد عصد
ولقّـوا بسط وغـذاء لا يحــد يحبــون الخســـارة والفـوات

وبعد مرور ثمان أيام أو أكثر بما لا يزيد عن عشرين يوماً يقومون بختان الطفل وتطهيره من قبل شخص متخصص في ذلك ويكون الختان في البيت للولد والبنت على حد سواء ، وبالمناسبة يذبحون ويعملون الغذاء لكل الأقارب المدعوين في هذا اليوم. أما بالنسبة للاسم قال المحضار:

وخرجوا الروع والقرعـة بفن على اسم الطفل بيسمـــوه من
وما جـاءت به القرعة حسـن يراعــون العقيــدة والنيـــات

وفي الوقت نفسه يختارون له اسماً من عدد من الأسماء المقترحة ، وهي الطريقة الشائعة وقتذاك ، حتى لا يفرض شخص اسمه المقترح على الطفل من بين الحاضرين، لذا كانت القرعة أسلم لهم ، بحيث يكتب كل اسم في ورقة صغيرة ، وتخلط هذه الأوراق ، ويختار أحد الأطفال ورقة واحدة من بين الأوراق المخلوطة ليكون الاسم المكتوب فيها هو اسم الطفل الوليد ، والجميع يتقبل ذلك بما فيهم الأم والأب. أو أن يضع الروع بشكل خوصة أو عود ثقاب من أحدهم ويضع الآخرون أشياء غير ذلك ثم يطلبون من طفل صغير أخذ واحد من الروع ، وصاحب الروع هو الذي يختار الاسم. وقد تكون الأسماء مصاحبة للحدث المناسب للولادة كاليوم أو الشهر مثلاً: سبيت ، خميس ، جمعة ، رجب ، شعبان ، رمضان ، حاج وغير ذلك، إن لم يكن اسم الولد باسم جده والبنت باسم جدتها.

(ب) الخشاف:

قال المحضار:

وإن جـابت بنيّــة لا تخـــاف فما بين الولد واخته خـلاف

سوى اللماة داخل والخشـاف وما باقي الخصل متساويات

أما الخشاف فهو خاص بالبنت حيث يثقب أذنيها وأنفها بإبرة المخوط ويوضع خيط رقيق في الثقوب إلى أن تكبر قليلاً توضع بدلاً عنه الحلي ، وقد اختفت عادة ثقب الأنف في الوقت الحاضر وبقيت ملازمة للأذنين.

٥ـ١ـ٣ـ الغسة من النفاس:

قال المحضار:

ونفســة حدّدوهــا أربعــين وهي متعقبـــة والقوت زين

وتذكرها على طول الســـنين إذا جاعت وحست بالسنات

وقد حددت النفسة بأربعين يوماً ، وفيها تأكل كل ما لذ لها وطاب من الطعام وغيره مما تطلبه خلال هذه الفترة ، حتى قيل في المثل الشعبي (المرأة إذا جاعت تذكرت نفستها) وفي اليوم التالي لهذه الفترة تتغسل وتتطهر بمسحوق ورق علب الدوم (السدر) ويسمونه (غسة) في جسمها ورأسها ، وبهذا تكون قد أنهت فترة النفاس وعليه في العصر أن تتلبس بأحسن لباس لاستقبال المهنئات كما قال المحضار:

وهذا اليوم غسّـوا للنفـــاس وقدها لابسة أحسن لباس

وهنّوها وعزموا بعض ناس وبعد العصر جان امهنيات

عدنا إلى العادات

من أخبار السنين الماضيات

٢ـ٣ـ الحرف والمشغولات اليدوية:

في هذا المبحث سنتناول بعض الحرف والمشغولات اليدوية منها ما زال قائماً يصارع الزمن، ومنها ما اختفى نظراً للتطور الحضري، ونؤكد أننا هنا لم نراعِ الترتيب الزمني لظهور هذه الحرف في الشحر لعدم توفر شواهد تاريخية على ذلك، ولهذا كان ترتيبنا لهذه الحرف في هذا المبحث عشوائياً بحسب ما ورد إلينا عند كتابة البحث. وهي كثيرة وعلى كثرتها نأخذ منها ما ذكرها السيد حسين المحضار في أشعاره فقط لعلنا بها نربط هذه الحرف التراثية بثقافته واطلاعه. والجدير ذكره أن لبعض هذه الحرف أسر خاصة تعمل بها وربما تكون بعضها حكراً عليهم.

١ـ٢ـ٣ـ الصياغة:

قال المحضار:

يا با قطيـــــان صلّح لي زهــاب الجنبية
ما دمـــت فنان وصناعتك صنعة راقيـة
من قال صنعة من أنا با قول صنعة باقطيـــان
كل من يحب الزيــن ما يســـــأل عن الأثمـان
نوح وسيبـــان تشهد والحمـومي والزيه
كنده وهمــدان والنهــدي وكل البــادية
لي كيرهم يرشن وعاده لم يزل لاصي ورشـــان
كل من يحب الزيــن ما يســـــأل عن الأثمــان
قد كان ما كـان ما دلحين بقعـــــة هاديه
في كل دكـــان تتوفر بضاعة غاليـــــة

والسوق متحســـن مع كل من بيده قرش حنان
كل من يحب الزين ما يســـأل عن الأثمان [١٤٧]

من أهم الحرف والمشغولات اليدوية وأكثرها اتقاناً حرفة الصياغة بنوعيها الفضية والذهبية ، وقد كان في السابق للفضة الإقبال الأوفر حظاً عن الذهب والحرف الأخرى لارتباطها بالحضر والبدو على حد سواء ، وقد اختصت هذه الحرفة بالحلي والزينة وبعض الحاجات الأخرى. ومن أهم الصناعات الفضية صناعة الحرز ويسمى (المحنحن) وهو مصنوع من الفضة الخالصة على شكل قضيب اسطواني الشكل مذبب من الطرفين ، به من الأعلى أعمدة صغيرة محلاة بالأشكال تسمى (كواسر) وفي أسفلها حلقات صغيرة تسمى (شِمِس) واحدها شمسة. ومن الجانب السفلي للحرز عدد من العُرى ، وبكل عروة أربع سلاسل ، وبكل سلسلة عدد من الجباجب أقلها اثنتين متدليات للأسفل ، وينتهي طرفا الحرز بحلقة صغيرة تسمى (شِنْف) ، ويكون أكبر وأثقل بكثير من الخلخال (الحجل) ، إذ يزن اثنين من الكيلوجرامات تقريباً ، ويختلف المحنحن عن الحرز المهري المسمى (الهيكلي) من حيث التصنيع ، إذ يكون هذا مستطيلاً أو مربع الشكل. وكلا الحرزين المحنحن والهيكلي يعلقان على أحد الأكتاف بسلسلة سميكة وطويلة نوعاً ما تصل إلى الخصر تسمى (الحنيشة) لثقلهما.[١٤٨]

والمحضار هنا أكد على صناعة زهاب الجنبية الحضرمية في مصوغات الشحر ذاكراً أهم المشتغلين بها. والزهاب هو ما يزين به مقبض الجنبية ، وعادة ما يصنع الزهاب من الفضة عند الجميع ومن الذهب عند الخاصة فقط من شخصيات كالمقادمة وميسوري الحال. وتعتبر الجنابي المزهبة جزء من اللباس الشحري السابق

وبالذات عند بادية الشحر كغيرها من القبائل الحضرمية الأخرى والتي لم ينسَ ذكرها المحضار في قصيدته السابقة.

إضافة إلى هذه الأعمال هناك حلي تصنع من الفضة منها: الحجول والسلوس والأساور والخواتم واللوازم مفردها لازم (ما يربط بثقب الأنف) والأقراط والأحزمة والعضاد (ما يربط بالزند) وغير ذلك من الحلي. كما أن بعض الأدوات المستخدمة في البيوت مصنوعة من الفضة كالميل والمكحلة وغيرهما.

وللذهب مصوغاته وفنون التصنيع ، ولكن الإقبال عليه في الوقت السابق ضعيف جداً بينما تزايد عليه الإقبال في هذا الوقت مما أدى إلى إقفال بعض مصوغات الفضة نظراً للاستخدام المحدود لها ، وربما لاستخدام مواد أخرى مذابة في الفضة لقول المحضار:.

وناس جم حطّـــوا في الفضـــة رشد
ولعـــاد خـــافوا الله من قصرة ولـــوم

٢.٢.٣.الحياكة:

قال المحضار:

ويـا مـا ذرى العـــذال ذري الشكـــوك
ويـا مـا جنينـــــا منـــــــه الشـــوك
وكم من محازي الكـــذب وشروا فلوك
ونقضـــــــــوا علي غزلي ونا حـوك
بغوا القلب يســـــبح في شطـــــونه
خزى الله الحواســـــد والشـــياطين

في المقطع السابق للمحضار ثلاث صور: حيث تجد صورة نابعة من عالم (الزراعة) وأخرى من عالم (البحر) ، وثالثة من عالم (الغزل والنسيج). ومن هنا ثراء صوره من حيث تشكّلها اللغوي ، وخصوبتها من حيث نواتجها الدلالية.[١٤٩] ولعل عالم الغزل والنسيج (الحياكة) الذي أدخله المحضار على هذا البيت من شعره لا يدع مجالاً للشك بأن المحضار يعرف جيداً ما يحوكه العذال والحواسد من مكائدات تجاهه ، ولهولها فقد دللها بنقض الغزل من بعد قوة ، ولكن إشارته لهذه الحرفة المحلية (الحياكة) مع حرفتي الزراعة والوشارة لا تقل أهمية منهما ، أو لنقل صورة دلالية نابعة من تلك العوالم الثلاثة. فالحياكة متى ما انتقض غزلها ضعفت ولم تعد صالحة للباس. وقد جاء في قوله تعالى كمثال لنقض الغزل : ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾.[١٥٠] وقد جاء في تفسير الطبري للآية: يقول تعالى ذكره ناهياً عباده عن نقض الأيمان بعد توكيدها، وآمراً بوفاء العهود، وممثلاً ناقض ذلك بناقضة غزلها من بعد إبرامه وناكثته من بعد إحكامه: ولا تكونوا أيها الناس في نقضكم أيمانكم بعد توكيدها وإعطائكم الله بالوفاء بذلك العهود والمواثيق ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ يعني: من بعد إبرام. وكان بعض أهل العربية يقول: القوّة: ما غُزِل على طاقة واحدة ولم يثن.[١٥١]

والحياكة حرفة شعبية متداولة منذ القدم ولا زالت إلى اليوم تتداول بين بعض فئات المجتمع ، وقد نالوا بها شهرة واسعة لدقة صناعة منسوجاتهم التي تفوق المنسوجات المستوردة من المعاوز (الفوط). فقد كان إنتاج مثل هذه الفوط أو السباعيات (سميت كذلك لأن طولها سبعة أذرع) يلقى قبولاً كبيراً من البادية فقط ، حيث أن الفوطة

تعتبر الجزء الأساسي لملبوسات الرجال والأولاد في جميع فئاتهم العمرية ، ولكن في الآونة الأخيرة وعندما أصبحت الذائقة الأساسية للشباب المتمدنين في العهد الحاضر ترتكز على مثل هذا الإنتاج من الحياكة المحلية؛ فقد كان الاعتناء بتنسيق الألوان والزخرفة الملائمة لهم ، واختيار جودة الغزل يدخل في أولوية الحائك ، وأصبحت المنسوجات المحاكة محلياً تتمتع بخصائص فنية وجودة عالية قلما توجد في غيرها. وهكذا يصف المحضار شيدره التراثي بقوله:

يا شيدري مـــــولى الدبل
ما باك للطين والزاخي وحصيان المسيلة
بالأمس وكّدتك وكـــد
وفسحت في البالي وفي شغل مشهور[١٥٢]

أو قوله:

لا لبست صارون دنقالة
قالوا الحساد بدل بديله
ما بغـــــونا زيـــــد
عا عادتي قالوا كلاك الوقت والدول[١٥٣]

وفي البيت التالي نرى ذكر نوع من أنواع الغزل المستخدم في الحياكة (الحضوة بالتل):

يا الشيدر البني وقع لك حقط بالبتلة
لي حضـــــــــــــوتك بالتـــل
ذهـــــب منت كما المصـــــــبون
غلطـــــــــة مـــــن الصـــبان
يومـــه طارحك بين المصابين [١٥٤]

يقول الأستاذ الباحث خميس حمدان في حديثه عن الحياكة في الشحر: (فقد ظهر في وقت نشاط اقتصادها أن كان بها نحو خمسمائة معمل حياكة للاستعمال المحلي ولجهات أخرى مجاورة ، وقامت هذه المعامل بدور فعال في أزمة الحرب العالمية الثانية حينما انعدمت واردات الأقمشة من الهند التي تعتمد الشحر وغيرها على وارداتها، فكانت الأزر تحاك محلياً وتحاك قطع أخرى يعمل منها ما يستر الأبدان من العراء ، وبعض المعامل قامت بإنتاج أزر من الحرير في صناعة جيدة تضاهي معامل الهند وتباع لراغبيها ، ولبسها كبار رجال الدولة لانعدام غيرها. وأضاف يقول: كما أنتجت بعض المعامل خمار ستر الوجوه للنساء من الحرير ملوناً بعدة ألوان زاهية تشبه صناعة معامل الحديدة وتطلبها كثير من المدن والقرى المجاورة وكانت فنية الإنتاج.)[١٥٥]

وتشتهر حافة الحوطة بالشحر بمثل هذه الحياكة حيث جعلوا في بيوتهم غرفاً خاصة بها ، ناهيك عن تدريب أبنائهم مهنة الحياكة المتوارثة عبر الأجداد ، أضف إلى ذلك الانفتاح التجاري على المنسوجات لتوافر السوق والمستهلك لاستقبال منتوجاتهم على مدار السنة سواء كانت في سوق الشحر أو خارجها ، ولم يعد العمل بهذه الحرفة الشعبية موسمياً. وتجدر الإشارة بأنه كان يوجد سوقاً خاصاً بخياطة ملابس الرجال داخل سوق البلد المسمى بسوق شبام إلى الزمن القريب ، ويسمى هذا السوق بسوق الخياطين (كما سبق ذكره في حديثنا عن الأسواق الشعبية) ويضم فيه أكثر من عشرين محلاً للخياطة ناهيك عما كثر عن ذلك العدد لخياطة الملابس النسائية في البيوت.

٣.٢.٣.الصباغة:

قال المحضار:

صبيغتي قي حبل جروان قد لي زمن من ريحـــــة النيل

بعطيــه مني ألـف حنـان من جــاب لي أم العكـــافيل
القـال ما ينفـع مع القيـل من قـال شي يصـــدق بقيله
ما ينحسـب في الناس صبـــان لا ما علم في الكـف نيله[١٥٦]

انقرضت هذه الحرفة المرتبطة بالبادية ، ولا يوجد لها شواهد غير اسم آخر المشتغلين بها نظراً لوجود الملبوسات الحديثة ، وعزوف مرتاديها عنها. وتشتهر هذه الحرفة بعمل الثوب النسائي البدوي والصبيغة الرجالية ، حيث يعتبر المصبوغ لباسهم المفضل وخاصة في الزواجات ، ويكون الثوب بحضوة أو بدونها (الحضوة نوع من النسيج الأنيق) ويزيّن بالدبال والعكافيل وخيوط الزقزاق البراقة.

ولابد إن يكون الثوب قبل صبغه أبيض اللون ومن أجودها المحاك يدوياً ، وتتم صباغته بمادة النيل ذات اللون الأزرق الغامق والرائحة المميزة ، ويتم خلط النيل مع الماء ، وهو على نوعين: نوع يتفاعل مع الماء البارد ، ونوع مع الماء الحار ، ثم يوضع الثوب في النيل المخلوط ويصبغ من مرة إلى ثلاث مرات ثم يجفف على حبل في الشمس. ثم تبدأ عملية دك وروك الثوب على حجرة خاصة بواسطة اليد حتى يصبح ذا بريق ولمعان ، ويكون الدك بالبتلة وهي مطرقة خشبية ، ثم توضع عليه الدبال والعكافيل من قبل أسر متخصصة في ذلك.[١٥٧] ومما يجدر قوله أن صباغة الفوطة تمر بمثل ما ذكرنا وقد تكون بدون دبال وعكافيل وتسمى بعد الصبغ (صبيغة) .

٤.٢.٣. الصبانة أو التصبين:

ومنها ما يتعلق بالحرفة السابقة (الصباغة) وذلك عند صبغها بمادة النيل ودكها وروكها على الحجرة الخاصة بها ، ويقال لصاحب الحرفة (صبان) كما في قول المحضار:

ما ينحسب في الناس صبان لا ما علم في الكـــف نيله

أو في قوله:

يا الشيدر البني وقع لك حقط بالبتلة
لي حضـــــوتك بالتــل
ذهب منت كما المصبون
غلطـــــــة من الصبان
يومه طارحك بين المصابين[١٥٨]

ولفظة المصابين هنا ليست بمعنى الجرحى وإنما يقصد بها الثياب المصبنة في مكان التصبين. وربما قوله في البيت التالي من مساجلاته تتعلق بحرفة أخرى بمعنى التصبين أيضاً وصاحب الحرفة يسمى (دوبي) ، حيث يقوم بتغسيل الثياب على حجرة خاصة تسمى (حجرة الدوبي).

كل من جاء صبن عا حجرة الدوبي
والبز مـــــــن كاكي ومـــــن دك
ويـــــــش با يذوب الحجـــــــــر
ما شي انقلب في صاحبـــــك قالب
يسكتون العرب وألاّ يصيحون[١٥٩]

٥ـ٢ـ٣ـ النجارة:

والنجارة حرفة شعبية من الحرف القديمة في المدينة ، وقد كانت بدائية ولكنها في الوقت نفسه تبوح بالفن التشكيلي والنقش والزخرفة على الخشب رغم الإمكانيات البسيطة وشحة الأدوات المستخدمة في النجارة ، فقد صنعوا

ما يعجز عن صناعته نجاري هذا الزمان بآلاتهم المتطورة ، ولو ألقينا نظرة فاحصة في أبواب المنازل والقصور القديمة لعجزنا عن المقارنة والوصف. لنترك هذا التوصيف وندقق في بيت شعر المحضار التالي لنتمعن التراث فيه. قال المحضار:

في العود القوي الســـاج قطعن يا منـاشيري
ونا بوزن وبا قايس و(با حضر) مســاميري
ويا أيام دوري لحتى يرسخ الداير على الدير[١٦٠]

والشاهد هنا لفظة (با حضّر) قد تبدو من الوهلة الأولى أن معناها يأتي من التحضير والاستعداد والتجهيز ، كلا لم يكن ذلك هو المقصود ، لأن الفكرة تدور حول صناعة باب قديم من خشب الساج ، والقرينة الموجودة له (الداير والدير) بمعنى سقوط العمود القائم (الداير) ـ وهو متأصل في لوح الباب على هيئة زوائد من أسفل ومن أعلى ـ يسقط على العمود الأفقي المسمى (الزوفر) ، وهما اثنان سفلي وعلوي وفي كل منهما حفرة دائرية في أحد الجانبين تسمى الدير أو الديرة ، وغالباً ما تكون في الجهة اليمنى ، وتثبت قطعة من الجلد في الدير لمنع الاحتكاك. ونأتي الآن على لفظة (با حضّر) وتعني في قاموس النجارين القدماء ثني المسامير من خلف الباب ، لأن المسامير التي يقصدها المحضار في البيت من النوع الذي يستخدم لزينة الأبواب وليس لصناعتها ، لأنها تنفرد برأس كبير بقطر بوصة تقريباً يسمى (الرصعة) ، ولهذا يكون طولها يتناسب مع حجم الرصعة وبالمقابل تظهر طويلة من خلف الباب ولهذا يتم تحضيرها أي (ثنيها) من الخلف بعد الوزن والقياس أي بعد صناعة الباب. [١٦١]

وتميزت الشحر بفن النجارة وكثرة الورش والمعامل الخاصة بها ، وبرع النجارون في نقش الأبواب والشبابيك بالوسائل التقليدية المعتادة كالمنقب والمنشار والفارة وغيرها مما يستخدم يدوياً.

٦.٢.٣.أعمال الخزف:

وهي حرفة طينية بدائية تقوم أساساً على صناعة الأواني الخزفية أو المعروفة في الشحر بالشقف ، حيث يخصص لتلك الصناعة نوع خاص من الطين ويتم عجنها وتشكيلها حسب الطلب بين أواني منزلية تستخدم للأكل والشرب وهي كثيرة ، وأزيار (وتستخدم لحفظ ماء الشرب) ، وتنانير (وتستخدم للطهي) ومباخر (مقاطر) وبوري الرشبة وغير ذلك ، ثم يدخل الصانع الخزفي هذه الطين المعجونة بعناية فائقة والمشكلة حسب الطلب في الفرن الخاص بحرقها ، ويطلى بعضها بالأصباغ. ولكن أهل الشحر لم يبدعوا في هذه الحرفة كسواهم من المناطق الأخرى غير في صناعة الكنابير من الطين دون حرقها ، وتقوم الأسرة المجتهدة في صناعتها بتزيينها بالألوان الزاهية وخاصة اللونين الأحمر والأزرق ، وهي صناعة موسمية تحتاجها البنات الصغيرات في أثناء العشر الأولى من شهر ذي الحجة لأداء لعبتهن المفضلة التي تسمى (لعبة الكنابير). ولازالت هذه الصناعة محتفظة بذاتها إلى اليوم لتلبية الغرض المذكور سلفاً.

ومن المعروف أن الصناعات الخزفية قابلة للكسر ، وتنقسم حسب نوعيتها وصلابتها إلى قسمين: النوع الأقوى والمحروق والمطلي بالمادة البراقة يسمى (الصين)، والنوع الآخر غير المحروق وهو الأضعف بنية يسمى (الشقف). والمحضار قال عن كسرها:

سر بيني وبينك من زمن سابق عسى انّك تصونه
وإن معك كســـــر كسّـــــر في الخزف والشقف
ما يصلح التكســـــــــــــير في الصـــــــــين
ما معك علم إنّ الجبر في الدنيا مثيل المدونه
والـــــذي ما وفى دينـــــــــــــه يبيّت
ساهـــــــــر الليـــــــل لمّان المآذين [١٦٢]

كما قال أيضاً يوصف الأدوات القديمة المصنوعة من الخزف:

البخـــــص عا العيـــــــــلة
مساكين نا ألا سهـــــــل أمري سهل
لي فرش وقعـــــــــــــــــادة
ولقمة با تجي في شقف أو صين[١٦٣]

وكما قلنا أن الخزف بنوعيه الصين والشقف قابل للكسر، فإنه لا يمكن على الإطلاق تصليحه مرة أخرى، ولابد من استخدام الجديد لقول المحضار في إحدى المساجلات:

زادت شـــــواقـــي
وقلبي تنكـــــد وفي رأسي كما الخادر
يوم صيني تكسّـــــر
لا أنت ولا بابقي[١٦٤] با يلحم الصين

٧.٢.٣.اللحامة:

لو تأملنا في البيت الهبيشي السابق لوجدنا أن المحضار قد ذكر مهنة اللحامة وذكر اسم (بابقي) معها بل وخلد هذا الاسم في كل أشعاره التي تتحدث عن القصدرة

واللحامة ، وهذه الحرفة تختص بها في الشحر أسرة بابقي وقد امتهنت هذه الحرفة منذ القدم ، مثلها مثل بعض الأسر الأخرى التي اختصت بحرفة ما أب عن جد. ونتابع المحضار في حديثه عن هذه الحرفة التراثية وربطها ببابقي في قوله:

والقــاز تنكــة باللحــام املحمــه
وفوقـــــها بَمْبَة عليهــا محكمـــــه
وإن عاد شي كمّه سرج با نلزمـــــه
عا بابقي كل العرب مستـامنين[١٦٥]

هذه الحرفة لا تقتصر على اللحام فقط ولكنها تنتج أدوات لا يستغنى عنها أي بيت في الزمن القديم ، بيد أن اعتمادها أساساً على اللحام البارد المعتمد على مادة الرصاص. ومن أهم الصناعات التي ينتجها بابقي ولا تستغنى عنها الأسر الشحرية والريفية والبدوية القديمة ، صناعة (السراج) ويجمعونها شحرياً على (سِرِج وسرجة) ، وصناعة المغر (القمع) وصناعة البمبات مفردها (بمبة) وتستخدم لضخ السوائل وخاصة القاز والزيت من التنكة ، وتجمع على تنك وتناك (والتنكة وعاء من صفيح القصدير يستورد فيه الزيت والسمن والقاز من الخارج).

أما القصدير الذي يعتمده بابقي هو من مخلفات تلك التناك وعلب الألبان الفارغة لتصبح مصدر أفكاره المهنية. ولازالت هذه المهنة تمارس إلى يومنا هذا وذلك عن طريق عمل الغلاف الخارجي لثلاجات الشاهي وصنع المشاعيل ومفردها مشعال (خاص بالأطفال الذكور لاستخدامها في لعبتهم في العشر الأيام الأولى من شهر ذي الحجة) ، وأعمال اللحام البارد.

٨ـ٢ـ٣ـ الحِدادة:

قال المحضار: دلاّ شويّــة نــار مــن نــار الحــدد

شبّوا عليها بالكـــرب هن والجزوم

والمحضار في البيت السابق ذكر النفخ على النار حين قال (شبّوا عليها) لازدياد شعلتها باستخدام الكرب والجزوم بدلاً عن الفحم ، والكرب جمع للكربة وهي مؤخرة سعف النخل ، والجزوم جمع للجزم وهو عود السعفة ونصلها. وفي المثل الشعبي (من قارب الحداد يصبر على الشرر) فهذه الحرفة من أقسى الحرف الشعبية عرضة للخطورة لتعاملها مع النار في أثناء العمل ، لأنها ـ أي النار ـ تعتبر العامل الأساسي في هذه الحرفة ، ولولاها لما اشتغل الحدّاد ، فبالنار يقطع الحديد ، وبالنار يثنيه ويصنع ، وبها يحد السكين وغير ذلك من الأعمال الحديدية.

ويقال أن أشهر الأسر التي تميزت عن غيرها في حرفة الحدادة في الشحر قديماً أسرة آل (حيدر) من سكان حارة باذييب وقد عملوا في حدادة الخناجر الحضرمية والسيوف الهندية وأجادوا فيها ، وهناك أسرة آل باحويرث التي لازالت تمارس هذه الحرفة. ولكن بعد اختفاء الخناجر والسيوف بقيت صناعة السكاكين وحدّها تطغي على هذه الحرفة ، وهي أقل من الخناجر والسيوف حجماً وأكثرها استخداماً بين الناس على مختلف انتماءاتهم الطبقية ، سواء كانوا صيادين أو مزارعين أو بادية أو حضر لتعدد أغراض الاستخدام. ولم تقتصر حرفة الحدادة على صناعة السكاكين فحسب بل أضيفت إليها صناعات أخرى مثل الأدوات الزراعية من شريم (سكين محذبة الشكل لها أسنان من جهة واحدة وهو ما يعرف بالمنجل والاختلاف بينهما وارد في الحجم) ومزحاة (آلة تستخدم لعزق الأرض) وملعب (وهي آلة حادة تشبه

الشريم ولكن بدون أسنان) وفأس لتقطيع الأشجار ، أضف إلى ذلك صناعة بعض الآلات الأخرى مثل: الملقاط بنوعيه الصغير لنزع الشوك من الأرجل ، والكبير لالتقاط الجمر ويسمى أيضاً (قانصة) ، وهناك المسلّة التي تستخدم لخياطة القماش أو التي تستخدم لصناعة المشغولات الخوصية ، وهناك المشراج الذي يكبر المسلة ويستخدم لشراجة المشغولات الخوصية كعبايا التمر (ومفردها عبية باللهجة الشحرية) وخياطة الجواني بعد تعبئتها بالمحاصيل الزراعية. ونجد كل هذه الآلات التراثية مجموعة في قول المحضار:

واعبر على الحَـــــدّاد شــل منّـــه شريـــم
وشـــــل لـــه مزحـــاة للسيـــل الهميـــم
وفأس لي هـــو يحطـــــم الشجـــرة حطيـــم
من أجل يحـــطب في السمـــــر هن والضبين
وشـــــل ملقـــــاط ومسلّـــــة زيـــــان
وشـــل له مشـــراج مسنـــون اللســـــان
عنـــد باحويرث تلحـــــق المخـــــزن ملان
لا ينسـي الملعـب ولا ينسـي السكـــــين[١٦٦]

وهناك بعض المشغولات الحديدية المنزلية نذكر منها: المقلاة والمحماس الحديدي وشبك البابور (المجمر) والمشك وغير ذلك.

٩-٢-٣-الدباغة:

تعتبر الدباغة من الحرف الشعبية القديمة المنقرضة ، وهي تعتمد أساساً على جلود الأغنام والماعز ، حيث يؤخذ الجلد بعد الذبح ليتم التخلص من بقايا القطع الصغيرة

من اللحم والشحم المتبقي على الجلد ، وذلك بغمره في ماء وملح وسائل ابيض من نبات العشر ، حيث تنبعث من هذا التفاعل رائحة شديدة جداً ، وبعد أيام تنقل هذه الجلود بعد أن تقل رائحتها إلى محلول آخر مكون من الماء ومطحون نبات القرض ، وتبقى الجلود لفترة يقوم الدباغ فيها بتقليب ودعس الجلد بالأرجل يومياً وهو يزيل ما تبقى من شعر ولحم وشحم ، ثم ينظف الجلد ليعود الدباغ بغمره بالماء والقرض مرة أخرى ليصبح لونه طبيعياً وتزول تلك الرائحة النتنة ويصبح برائحته المقبولة ، وبعدها تتم عملية صناعة القرب (مفردها قربة) بالخياطة الدقيقة والخرم والدهن قبل عرضها للشمس لتصبح بعد ذلك وعاء لجلب وحفظ ماء الشرب فيها، كما تتم من الجلود المدبوغة صناعة سمار العسل وبطة الزيت وشكوة اللبن الرائب (الروبة) والأحزمة (من كمر وسبتة) والكسع (النسع) والأحذية وغيرها.[١٦٧]

كما يهتم الحرفيون والمهتمون بالجلود بإصلاح جلود الأدوات الإيقاعية من طبول ودفوف وطيران ومراويس ، وما إلى ذلك مما يحتاج للجلود.

١٠-٢-٣-السناوة:

السناوة حرفة قديمة ، وهي عملية طلوع الماء من البئر بواسطة الدلو (الغرب) من قبل الإنسان أو الحيوان (الثور) ، البعض يسميها (نزوحة) ، ولها مقودها الخاص بها ، ولا تكاد تستخدم بمفهومها العملي في الشحر لأنها تختص أكثر مما تختص بالزراعة ، ولكنهم استخدموها كأفراد على آبار المساجد لطلوع الماء للطهور حيث يكون لكل مسجد بئر لذلك الغرض وقد تحدثنا عنها سلفاً.

يقول المثل الشعبي: (يسني على بيرين) والمثل يضرب في الشخص الذي يقوم بعملين في آن واحد ، والذي يشتغل في طمع وجشع في كل الظروف وقد ذكر

المحضار ذلك المثل بقوله:

بالبعد أنت لا تسبّر

خليــك عا سبرك

أنت ذكي تسمع وتبصر

وانك غبي بصـــــــرك

الوقت خلى كل باير (يسني على بيرين)

أما أدوات السناوة فقد ذكر المحضار منها: الغرب والعجلة والسره والحبل والعامل الأساسي مول القرون ويقصد به (الثور) كما في قوله:

وانه على معيان يشـــــــــــرب ، قل سكون

وانه سناوة يا غبونك بالغبـــــــــــــون

هت غرب ، هت عجلة ، وهت مول القرون

وهت سره ، لي حبلهـــــا مقوي مكين [١٦٨]

١١.٢.٣.صناعة النورة:

قال المحضار:

والدار مرشوشة رشوش لكن حواليها العقارب والحنوش

دقاقة النورة حرفة شعبية قديمة تعتمد أساساً على الفرد والمسباط (عود الدقاقة) وقد يكون أكثر من شخص يقوم بهذه العملية في وقت واحد. والنورة حرفة معروفة بحرق أحجار الكلس المجلوبة من المسيال (سائلة الوادي) في كير خاص يبنى لها، ثم تنقل المادة المحروقة إلى مكان آمن من الناس مستوي وتطفأ بالماء لتتحول إلى مادة جديدة تسمى عامياً بالنورة ، حيث يقوم الأفراد بعد التأكد من برودتها بتعبئتها في

أكياس على شكل بودرة ، أو بدقاقتها لتصبح ناعمة الملمس خالية من الحصا لتوضع في أكياس أو في تناك وهكذا تباع. أما استعمالها يكون على طريقتين: أما تصب هذه النورة في برميل وتخلط بالماء ، ومنهم من يضيف عليه ملح الطعام ثم يرش بها على الجدران ، أو تستعمل جافة كبودرة تخلط مع الاسمنت والكثيب لغرض البناء.

١٢.٢.٣ـ معاصر الزيوت:

قال المحضار:

والدهـن لي يؤخـذه شغـل المعـصرة
صـافي نـقي مـا هـو كزابـة كركرة
تشـوف وجهـك فيـه مثـل المنظـرة
يطعم في العيشة ويظهر في الطحـين

تنتشر هذه المهنة قديماً في الشحر حيث تعصر حبوب الجلجل (السمسم) في معصرة خاصة يعمل فيها جمل قوي ليقوم بتحريك المعصرة لاستخراج الزيت من الحبوب. والمادة الصلبة المتبقية تسمى (التخ) ويعطى بعضها للبعير الذي يقوم بالعصر ، ويباع الباقي منها في السوق مع الزيت المستخرج الذي يسمونه (دهن معصرة أو سليط معصّر). وقد تم الاستغناء عن البعير بالآلة حديثاً.

هذه نماذج من الحرف التقليدية التي اتخذها بعض رجال الشحر مهنة لهم ، وهناك حرف أخرى تمارس في المدينة منها على سبيل المثال: صناعة القوارب البحرية الصغيرة ، وعمل الحبال والعطير ، وصناعة وخياطة الأحذية الجلدية ، وأعمال المدر الطينية ، وكلها خاصة بالرجال. وهناك حرف غير ذلك امتهنتها النساء في بيوتنهن كغزل الكوافي ، وعمل المراوح اليدوية ، وصناعة الدخنة والدخون (البخور).

٣-٣- المهرجانات الموسمية :

١-٣-٣- موسم الزيارات :

في الشحر وأريافها تقام عدد من الزيارات الموسمية السنوية ، وكل منها محددة بأيام معلومة ، حيث يتفرغ الناس لها بالحضور لرؤية الرقصات الشعبية والابتهاج بها ، ولكننا هنا لا نتحدث عنها كلها بل نأخذ ما هو أقرب لقلب السيد المحضار نفسه وما خلده من تراثها في شعره ومنها:

(أ) زيارة الشهداء السبعة :

قال المحضار موجهاَ حديثه للأطفال:

عرفتم من هم السبعة؟

عرفتم أيـش قصتـهم؟

عرفتم شي عن الوقعة التي إستشهدوا فيها؟

سبق لنا أن تحدثنا عن الشهداء السبعة عند حديثنا عن الأضرحة ، حيث كان أطفال الشحر يخصصون أياماً معروفة بعد العيدين مباشرة للتجمع أمام ضريح الشهداء السبعة كزيارة ينفردون بها أهالي الشحر دون غيرهم من المناطق المجاورة، ولكن أكثر المحتفلين هم من الأطفال. ولم ترسم كزيارة لها برنامجها الخاص إلا في مارس عام ١٩٧٦م وقد عمم برنامجها على الجميع حيث حضرها عدد كبير من الناس ، وهذا التاريخ قريباً جداً ولم يكن من التراث بينما احتفال الأطفال في حد ذاته من أساس التراث ، والتاريخ يشهد على ذلك. وقد تحدثنا بإسهاب عن قصة الشهداء السبعة في كتابنا (المحضار من خلال شعره).

(ب) زيارة السيد سالم بن عمر العطاس:

زيارة الشيخ سالم بن عمر تعتبر من إحدى الزيارات الكبرى التي تقام في الشحر سنوياً ، وتعتبر كالمهرجان السياحي لطول مدتها وكثرة وفودها وحشودها وتعدد برنامجها ، وتشارك في الزيارة عِدد كثيرة (والعدد هي رقصات شعبية ومفردها عدة) من الشحر وخارجها وبالتحديد من مدينة غيل باوزير وفي الأوقات الأخيرة من وادي حضرموت. حيث تبدأ الزيارة بزيارة السيدة الحبابة رقوان ، ثم الغيلي نسبة إلى أهالي غيل باوزير ولهم صولات وجولات في رقصة العدة والشبواني ، ثم الزيارة الكبرى لضريح الشيخ سالم بن عمر ليلة النصف من شهر محرم وتليها زيارة ضريح الشيخ فضل بحارة الخور ليلة السادس عشر منه ، وهذه هي الثلاث الأيام الرئيسية، أما ما قبلها للحبابة رقوان وما بعدها للشيخ أحمد باهارون وعسكول وبن سهل فهي توابع لها وحضورها محدود.

ويقول السيد عبد الله بن محمد باحسن (جمل الليل) ، أن الذي أسس الزيارة المعهودة كل سنة في نصف محرم (عاشور) هو الدولة الصالح علي بن ناجي القحوم رحمه الله ، فكانت هذه الزيارة محشودة بجمعية كبيرة ، وكان الدولة علي بن ناجي يخرج لها بنفسه مع جملة العساكر وتضرب لها المدافع والطيالات ويحضرها خلائق من كل الجهات. وقد أنكر السيد عبد الله باحسن في كتابه (النفحات المسكية) حضور النساء للزيارة في زمانه وعد الاختلاط من المفاسد وقال: وهذه موبقة شنيعة ينبغي التيقظ والانتباه لها خصوصاً في وقت الليل.[١٦٩]

ومن المداعبات الشعرية التي جرت بين المحضار وصديقه باهيان بعد منع الزيارات وبالذات زيارة الشيخ سالم بن عمر نذكر منها ما قاله الشاعر سعيد باهيان

ورد الشاعر حسين المحضار عليه:

قال باهيان يخاطب المحضار:

ما ذا السنة ولعاد بو هاجـــــر في الحافة فقع

وزيارة العطاس ذبحوها عطوا بوها السكين

جوّب عليه المحضار قائلاً :

يا فضـل بن عبـاس ريتـك جد باعامـــــر تقـع

ويكون سالم بن عمـر جـد آل سالم سـالمين [١٧٠]

٢ـ٣ـ٣ـ موسم الخرفة:[١٧١]

تعتبر الخرفة أو الظعينة من الزيارات الموسمية التي واكب عليها معظم أهالي الشحر في الأزمان السابقة ولا يزال البعض ملتزم بها إلى هذا الزمان ، وهي عادة الخروج إلى الأرياف المجاورة والمكوث فيها لمدة قد تصل إلى ثلاثة شهور ، حيث يتم التفكير فيها والتحضير والإعداد لها من قبل دخول فصل الخريف في المناطق الحضرمية ، وللخريف يعود تسميتها بالخرفة ، وقد سمي التمر في نخله بالخريف لأنه متزامن مع هذا الوقت. ومن البديهي أن لا يغفل الشاعر المحضار مثل هذه العادة الموسمية التراثية وأهله ممن يعتادونها ، لذا نراه يسطر كل شيء عن الخرفة من واقع المجرّب لها.

وفي عمله المسرحي عن الخرفة جعل المحضار الحديث يتداول بين الآباء والأبناء الذين يستفسرون عن الخرفة بقولهم:

ما هذه (الخرفــة) وما مضمونها؟

هل هي لكــل النـــاس يعتــادونها؟

أو هل لهم شي مصلحـة يقضـونها؟

أو كلهم لأجـل النســم متنسمين؟

وهل لهم عــادات ساعة يظعنـون؟

من المدينــة أو إليهــا يرجعــون؟

وأيش الوسائل لي عليها يركبــون؟

وهل لها ميعــاد في حينـــه تحين؟

ثم يفسح المحضار المجال للآباء بالرد على أسئلة الأبناء وتوضيح معنى الخرفة لهم ومن خلالهم إلى جميع المستمعين، ويعدد مراحلها في هذا العمل الدرامي المسمى بالخريف.

(أ) **موعد الخرفة:** ويكون في فصل الصيف بالتوقيت الحضرمي وبالتحديد في نجم القلب (٧ـ ١٩ يونيو) النجم قبل الأخير في الفصل، والبعض منهم من يتقدم قليلاً في نجم الإكليل ليدرك (الغاسي)، ولكل قرية عدد من المتخرفين من أهالي الشحر يرتادونها سنوياً.

(ب) **مؤشرات الخرفة:** عند ظهور الغاسي في النخيل (وهو أول ظهور للتمر قبل تحوله إلى بسر ويكون لونه أخضر).

(ج) **مرحلة الإعداد:** بالنسبة للصيادين يقومون بتثبيت قواربهم استعداداً للخريف، ويخرجون إلى السوق مع جميع من أراد الخرفة ليقضوا حاجاتهم ويتسوقون حسب قدرة كل منهم الشرائية من غذاءات وكماليات من أهمها: مالح ولخم وسكر أحمر ومجرش وقهوة وزنجبيل وحواج (بهارات) وسليط معصّر ونارجيل وخل وقاز وسراج، كما يأخذون شريم ومزحاة وفأس وملعب وملقاط ومسلة ومشراج ومعرص ومحامل وكناب ومرقد ومخرط وشوايا وتناك وقرب وعجلة وسره وعطير،

وهاجر ومراويس ، ومركوب وما يحتاجه من بردعة وشد وخرج ، وهدية من صبيغة أو سباعية ، وحنظل وعطر وزباد ونعنع ، وللنخل يأخد حسو ومخمم ووزيف ، وللنساء حناء وخضاب ودخون وطيب وثياب وقماش بفت. وكل محتاجات الخرفة في السابق ذكرها السيد المحضار ولم يفته شيء منها.

(**د**) **الحركة:** وتكون حركتهم في السابق وقبل ظهور السيارات على الجمال والحمير ويسمونها ركاب ، وهي وسيلتهم الناقلة إلى الأرياف واعتمادهم عليها ، ولكن هناك وسيلة أخرى لنقل الأطفال والمسنين والمؤن إذا انعدمت الركاب وهي بواسطة المعرص من قبل رجال أقوياء وذلك بوضعهم في عبار كبار ويُحمل المعرص على الأكتاف. ويسمونهم (رواكب) لركوبهم ظهور الركاب في أثناء رحلتهم في الطريق ومضواهم إلى الريف ، وتستمر التسمية إلى انتهاء فترة الترحيب (الواجب) وهي لا تزيد عن أسبوع من يوم وصولهم.

(**هـ**) **ساعة الوصول:** يتم الترحيب بهم من اهالي الريف عامة ومن النشاري[١٧٢] وأسرته خاصة (هذا إذا كان المتخرف مالك لنخيل وزراعة في الريف). ويقوم المتخرفون بتوزيع الهدايا وبالمقابل يستلمون العطايا من الريفيات من تفلة (جمع تفال) ومسارف ومقيش ، ووقت المساء يخصص لاستقبال الرجال.

(**و**) **بعد الاستقرار:** في ظل الراحة التي يشعرون بها يكون ابتهاجهم بالخريف (التمر الرطب) والماء العذب والهواء المنعش والسمر المفعم بالغناء وبالذات من قبل النساء ، وجمع الغاسي والبسر والتمر الباكر (اللقاطة) من قبل الأطفال. أما الرجال فيبدأ عندهم زَهد تمر النخيل (تقدير ما تحمله النخلة من تمر ويزهدونه لفظاً بالمكيال) ويحضر الزَّهد الطبين[١٧٣] والنشاري والكاتب ومن يثقون به في الزَّهد

وتكون القسمة حسب الاتفاق المسبق المتراضى عليه بين النشاري والطبين. وتستمر العناية بالتمر إلى حد قطعة من النخيل. ويتم الاستئجار وتجديده في نجم البلدة من كل سنة. ونجم البلدة (١٥ – ٢٧ يوليو) ثاني نجوم الخريف كما هو معروف في المناطق الحضرمية ، وتقل فيه المزروعات ، ويتم فيه تجديد العقود ، وفيه الاستئجار بين المزارعين وطبانتهم في مزارع أرياف الشحر ليبدأ بعده الموسم الجديد. كما أن الصيادين يسحبون قواربهم الصغيرة فيه إلى البر لعدم صلاحيتها في هذا الوقت بسبب ارتفاع نسبة الموج.

(ز) **العودة:** بعد انقضاء فترة شهرين أو ثلاثة شهور في الخرفة تمتع فيها الجميع صغيرهم وكبيرهم بالراحة التامة التي لم يلاقوا مثلها في المدينة يعودون إلى مدينتهم الشحر وهم يتذكرون هذه الخرفة وقلوبهم معلقة بها وهم ينتظرون دخول نجم القلب ليريحوا القلوب.

٣.٣.٤ موسم البلدة:

من عادة الأسر الشحرية الخروج في موسم نحم البلدة (١٥ – ٢٧ يوليو) ثاني نجوم الخريف كما هو معروف في المناطق الحضرمية ، إلى ساحل البحر فجراً للغسل والاغتسال في المياه الباردة ، حيث أن مياه البحر تتأثر بالتيارات البارد لتصل إلى ساحل البحر العربي في حضرموت في نجم البلد من كل عام ، وعليه فإن أهالي الشحر والمناطق المجاورة لها يروق لهم الإغتسال في هذا الوقت لما فيه من شفاء من بعض الأمراض حسب اعتقادهم ، وقد اتخذوها عادة سنوية ، حتى وإن لم يبرد ماء البحر في هذا النجم. حيث تخرج الأسر بكاملها إلى ساحل البحر لهذا الغرض في أي يوم من أيام نجم البلدة (١٣ يوماً) ، وتنتهي بانتهائه.

ولكن لأصل الاحتفال حكاية شحرية ، ملخصها: أن البحارة من أهالي الشحر، يحتفلون في يوم منتصف نجم البلدة ، وفيه يعطلون أعمالهم ولا يركبون البحر بوصفه عيداً بحرياً لهم ، يذبحون ويعملون الوجبات الغذائية لهم ولأسرهم في الخرفة (أي لمن هم في الريف) ويجتمعون في هذا اليوم الذي يسمونه يوم (سوبان) ، وفي هذا اليوم يتم التحرك من المجرف لزيارة القباب والأضرحة قي المدينة وقراءة الفاتحة على أرواحهم ويتوجونها بالمولد النبوي في مسجد العيدروس بحارة الرملة، بينما في الرملة أيضاً وعقل باغريب والجزيّرة تقام رقصة الشبواني ، كما تقام بعض الرقصات التي تؤدى بحركات بحرية مصاحبة بالأهازيج الشعبية ، والبعض منهم (يسوكن) أي يعمل حركات وكأنه ممسوس بالجن ، وفي هذا اليوم أيضاً تسن فيه القوانين البحرية الجديدة النافذة للاستعداد للموسم القادم.

وسوبان غناء الصيادين كما يعرّفه البعض ، وللبعض الآخر تعريف يدخل من باب المعتقدات. وقد جاءت هذه اللفظة (سوبان) في باب (سوب) في تاج العروس للمرتضى الزبيدي ج/ ١ بصفحة ٥٩٢ (نسخة الكترونية) بقوله: (السوبة بالضم: السفر البعيد. وسوبان كطوفان: واد ذكره غير واحد من الأئمة أو جبل أو أرض ويوم معروف) ولكنه لم يرد ذكراً للبحر في تعريفه ولم يذكر هذا اليوم المعروف لفئة معينة من شرائح المجتمع كالبحارة مثلاً. ولكننا بعد التمعن في المعنى في هذه الجزئية نأخذ مدلولها من رأي الأستاذ عمر خريص بما ذهب إليه في مقاله لمجلة سعاد في العدد الثامن (أكذوبة: سوبان إله البحر) وهو يؤيد ما ذهب إليه الأستاذ الباحث عبد الرحمن الملاحي في كتيبه (نجم البلدة بين المفهوم الفلكي والمدلول الثقافي الشعبي) من نفي قاطع بدخوله من باب المعتقدات ، وهو يؤكد أن لا علاقة له

بالتعبد والوثنية كما جاء على لسان شيوخ الصيادين. وقد رجح الأستاذ خريص بأن سوبان من مشتقات الكلمة (سوب) والسوبة تعني السفر البعيد كما جاءت في كتب المعاجم، ومن هنا جاءت لفظة سوبان فهي فصيحة ومدلولها واضح وهي توافق نشيد البحارة في حين تجديفهم في أعالي البحار. ونحن بدورنا نعتبر هذا القول هو الأقرب للصواب ودليلنا ما يقوم به الصيادون من قراءة للقرآن الكريم في مسجد العيدروس وذكرهم للمدح النبوي بقراءة سيرة مولد خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم.

٥.٣.٣ آخر ربوع:

في شهر صفر من كل عام يخرج بعض الأهالي مع أولادهم إلى المنتزهات الزراعية أو إلى الأرياف المجاورة في آخر يوم أربعاء في الشهر ويسمونه (آخر ربوع) قصد التنزه والترويح عن النفس بينما يردد الأطفال ما يتذكرونه من أهازيج ، وهي عادة تؤكد عليها النساء بالذات ، أما البعض الآخر منهن فيتجمعن في البيوت كل مجموعة متقاربة على حدة في بيت أحداهن في العصر أو في المساء ويسمين هذا التجمع بـ (العد) ويتناولن فيه بعض المكسرات والحلويات وبالذات حلوى (اللتّو) وهي مصنوعة من الدقيق الأبيض والسكر مع صبغها باللون الأصفر ، وقد يستخدمون مسحوق (الهرد) كصبغة.

وإذا صادف آخر ربوع أيام الخرفة فتكون الفرحة عامرة في القلوب فيخرجن النساء في ساحة بين ديار القرية المتخرفين بها في الليل ، ويجتمعن ويشترحن بالهاجر والمراويس في ظل الهدو التام في القرية ، ومن شيمة الرجال أن لا يجرؤ أحد منهم من الاقتراب أو العبور قرب تجمعهن ويعدونه من العيب الممقوت والتعدي على حرمة النساء.

٣.٤. التراث الفني والغنائي:

١.٣.٤. الغناء والرقصات الشعبية:

كل الغناء الشحري يعتمد أساساً على الدانات ، مثل الغناء الحضرمي بصورة عامة ، حيث يبدأ المغني بكلمة (دان) ثم تتبعه بقية الدندنة بصرف النظر كان الغناء للرجال أو للنساء. والدان هو أساس التلحين للشعر ، ويعتمده الشحارية في ترسيخ الصوت الغنائي الجديد. ويتكون الدان في الأساس من عدة جمل لحنية وجزؤها يسمى (مازورة موسيقية). ويقول الفنان الباحث عمر عبد الرحمن العيدروس: إن العمل الفني بأكمله يتكون من مجموعة من الموازير المتساوية حسب الزمن الموسيقي الذي يسير عليه اللحن. والمازورة أشبه ما تكون بالمسطرة المقسمة إلى أطوال بالسنتيمتر أو البوصة لقياس مسافة أو طول ، بينما المازورة الموسيقية عبارة عن أداة لقياس الزمن الموسيقي لكل نغمة ، وتكون المازورة أحياناً مربعة (تك تك تك تك) أو مثلثة (تك تك تك) بمعنى (سي سي سي سي) أو (سي سي سي) وغيرها ، ويحدده رمز النغمة (كروش) أو (دبل كروش) أو (تراي كروش) ومفتاح الصول ٤/ ٤ أو ٤/ ٢ أو ٤/ ٣ أو ٨/ ٦ إلخ ... . ويضيف الفنان محمد أنور عبد العزيز: أن المازورة هي عبارة عن الحق الزمني للموسيقى أو المقطوعة اللحنية ، وهي عبارة عن زمن إيقاعي كامل من الدُم إلى الدُم ، وتختلف المازورة باختلاف الإيقاع.[١٧٤] وباختصار، فإن كان للشعر تفعيلات يوزن بها فللحن موازير تضبطه. ونحن هنا لا نبحث في موسيقى الغناء الشحري ، ولا نبحث في نشأة الدان التاريخية وانتشاره بقدر ما نأخذ الدان كتراث فني توضع عليه الكلمات ويعد أساساً للحنها وإلقائها ذاكرين ارتباط المحضار به. قال المحضار:

أنا ما شي معي غـــير السلا والدان والمغنى
صحابي كلهم سرحــوا ونا جالس في المثنى
كذا متهوم بالجنــة ونا يا ناس وسط النـار

بصريح العبارة قالها الشاعر حسين المحضار ، لا يملك شيئاً غير السلا والدان والمغنى ، فقدم الدان على المغنى لأنه الأساس ، وهو الذي يصرح بذلك مراراً وتكراراً ، فعليه يضع المحضار كلماته العذبة ، لأن الدان في الأساس هو اللحن الموسيقي الذي يتخذه مبدأ لقول الشعر ، بل يجعل الدان كعجينة من الطين في يده يشكلها كيفما شاء وحسب ما يشاء ليقوم بتزيينها بالكلمات المناسبة لأشعاره الغنائية والهدف المراد اتخاذه. فليس بالضرورة أن تكون الأغنية على بحر شعري فصيح أو عامي ، فربما تتداخل البحور في المقطع الواحد بين الفصيح والعامي ليصبح أشبه بالموشح ويقفل بالشلة أو التخميسة. وبالمقابل نجد من الأغاني المحضارية ما لا تخميسة له ، ولكن يبقى الدان هو الرابط في كل الأمور.

(أ) رقصة العدة:

قال المحضار:

نعم أنــا با قـــول معنــا العـــدة
كلٍ حمـــل عوده معه في يـــــــده
وعمامــة الرمــان والدسمـــــالي
ما با نسيبــك يا التراث الغـــــالي
صفوف مرصوصـــــة مع المراجز
ولا تخلــف غــير من هو عــاجز

وكـــلام مثـــــل الـــدر واللآلي
ما با نسيبـــــك يا التراث الغـــالي
هوكـــة وتنصـــورة مع كل وقفة
ويمر من عطفـــــة بهم لا عطفـة
وكل حـــد فرحـــــان قلبـه سالي
ما با نسيبـــك يا التراث الغـــالي

المحضار لم يكن من شعراء العدة بينما تجده يعطي لمن يطلب منه وهو في مجلسه بيتين ملحنة مع القافية لترديدها في رقصة العدة ، ثم يبني الشعراء فيما بعد على ذلك اللحن والوزن والقافية ، ولم تسجل له إسهامات أو مشاركات مساجلة ولو بسيطة في رقصة العدة حسب علمنا مع أنه عنده القدرة على ذلك ، أضف إلى ذلك لم تكن أشعار العدة بمستوى أشعار رقصة الهبيش المعقدة والمتعددة الفواصل ، ربما كان السبب في ضخامة جسمه الذي لا يقوى على الوقوف أمام العدة طويلاً والمشي مع الراقصبين لمسافات طويلة وهذا أقرب للصواب ، رغم أن أشعارها بسيطة جداً وتتقيد ببحر شعبي واحد فقط في كل شلة ولا يمكن تجاوزه من قبل الشاعر إلا إذا تغير لحن الشلة ، وهذا ما يسهل القول فيه.

وتعتبر رقصة العدة من الرقصات الشعبية الأساسية لحارات الشحر في المناسبات، يرقصها الكبير ومن هم دونه من الشباب ، وهي رقصة ذكورية ولا للنساء مشاركة فيها. فإذا أخذنا معناها الموحي بالإعداد والتجهيز ، تكاد تكون رقصة لاستجماع القوى لخوض معركة ما ، وهي رتل من الناس يصل عددهم إلى المئات ، ولم تصل رقصة شعبية إلى مستوى رقصة العدة من حيث العدد الكبير للراقصين ، وفي حد

ذاتها تعتبر من العروض العسكرية لما تتميز به من تقسيمات الصفوف ، ففي المقدمة يصطف المقادمة الشجعان والأقوياء الزند ، وهم يحملون سلاحهم من العصي والتروس (الدرقات) التي يحمون بها رؤوسهم ، أضف إلى ذلك قرع الطبول (الهاجِر والمراويس والطوَس) ، وتؤدى هذه الرقصة في أثناء الانتقال من مكان إلى آخر. ولو أخذنا مدلول التسمية للفظة العدة بمكسور عينها والتي تعني الجماعة أو مضمومها المعني بالإستعداد فنرى في الشحر وحدها استخدامهم للفظة مكسورة العين (العِدة) ، وعليه ، نرى أنها أقرب في تفسيرها بالجماعة إلى الرقصة ذاتها ، حيث تجمع أكبر عدد من الرجال وبالعشرات إن لم يكن بالمئات ، أضف إلى ذلك تأديتها في وقت الأفراح كالزواجات والزيارات والأعياد ، ناهيك عن سلمية الرقصة في المناسبة المحددة سلفاً التي تجردها من مضمونها الحربي في لفظتها المضمومة (العُدة) وإن تحولت إلى صراع حويفي فليس أكثر من كونه ـ أي الصراع ـ نتاجاً للتعبئة الخاطئة والجاهلة لما تقتضيه المرحلة السائدة في البيئة المحلية. وبدورنا نرجح المدلول الأخير لتسمية العِدة ، ليس خروجاً عن المألوف وإنما لتفهمنا للمراد.

وتبدأ أول ما تبدأ بالرقصة السريعة التي تسمى (الخابة) وهي مجرد تحضير (تجميع) للراقصين إلى مكان انطلاق الرقصة الأساسية المنظمة ، وعادة ما يؤخذ غناء الخابة من بحر المسدوس الناقص في الشعر الشعبي الذي يعادل بحر الرمل في الشعر الفصيح.

ورقصة العدة قديمة عهد في مدينة الشحر ، وقد رجح البعض ارتباطها بالمقاومة الشعبية للغزو البرتغالي عل المدينة عام ١٥٢٣م نظراً للأدوات المستخدمة وطبيعة الرقصة ، ولكننا نعتقد أنها من تشابه الرقصات في العالم ولا نجزم بأنها رقصة شحرية البتة ، وكل ما أوردوه عنها هي استدعاءات سمعية من خلال جلسات تحليلية

لبعض الراقصين أو اجتهاد غير مدعوم بأسانيد يعتمد عليها. وهذا تحليل عابر من وجهة نظرنا في هذا المجال لعدم اطلاعنا على المزيد من التفاصيل ، فربما كان حكم من يحمل هذه الفكرة على أنها من أيام الغزو البرتغالي على الشحر وربطها بالمقاومة ربما مجرد تحليل للحركات الأدائية التي تمثل الهجوم والدفاع في معركة ما ، ونتج عن ذلك هذا الحكم. ونحن أيضاً سمعنا مثل هذا التحليل ولم نستطع التحقق منه وبقينا عاجزين عن الحكم ، كما سمعنا أيضاً غير ذلك من الأخبار المنقولة ولكنها للأسف تفتقر إلى الخلفية التاريخية لنشأتها في الشحر غير التخمين ،

وقد حكى لي أحد المثقفين من الشحر نفسها أن هذه الرقصة شاهدها من نقل عنه في إحدى القرى الهندية تؤدى بهذه الطريقة الجماعية الموجودة عندنا مع الاختلاف الطفيف فيها وفي أداء الحركات ، وتؤدى بصوت واحد بدون شعراء أو وقفات لتغيير القول ناهيك عن اللغة والمسميات. وأما ما يختص بالأدوات المستخدمة من عصا وترس (درقة) وعمامة رمان (رمال) وإيقاعات فهي موجودة عندهم ، وقد ضرب لي مثال كاستخدام الدرقة القديمة المصنوعة من جلد الفيل وهو من الحيوانات المألوفة في الهند ولا توجد عندنا فيلة ، والعمامة التي تسمى عندنا (رُمّان) وهي في الأصل عمامة هندية وفي الهند تُصنع وتُلبس ولا تصنع عندنا ، والإيقاع الأساسي للعدة (الطاسة) هي الطاسة نفسها المستخدمة في الهند ، والاختلاف فقط في الشكل الخارجي للطبل (انتهى النقل)..[١٧٥]

ولنا وجهة نظر تحليلية حول هذا الكلام فإن صح أو لم يكن صحيحاً فإننا لا نشك إطلاقا في موروث الشحر الشعبي وأن مثل هذه الرقصات جزء من تراث الشحر العريق بعراقة هذه المدينة الموغلة في التاريخ منذ عاد الأولى ، بيد أن لكل منطقة

رقصاتها ، وربما تتشابه الرقصات وبالذات في المناطق الساحلية ذات الموانئ البحرية بسبب حركة السواعي من وإلى الميناء ، ولكن تبقى الأسئلة التي تطرح نفسها بقوة على إفهامنا: من نقل إلى من؟ ومن سبق من؟ وهل رقصة العدة في الشحر والهند فقط أم أنها في مناطق أخرى في العالم لم نشاهدها ولم نسمع عنها بعد؟.. فهذه هي الأسئلة المطروحة التي تحتاج إلى بحث ، ومع هذا أعتقد أن الباحث لن يصل إلى نتيجة حتمية تؤكد أول من رقص العدة على البسيطة ، ومثلها مثل رقصات وألعاب الطفولة المتشابهة في العالم ، ولكن يمكنه فقط أن يبحث عن دخول الرقصة في المنطقة الباحث عنها.

ومما جاء في كتاب (دراسات في الفنون الشعبية الحضرمية) للأستاذ المرحوم/ سعيد عمر فرحان (بو عمر) الصادر عن مكتب الثقافة م/ حضرموت ـ وهو باحث وراقص ومجرب ـ في صفحة ٢٨ من دراسته نقلاً عن الأستاذ الباحث/ عبد الله صالح حداد بقوله: (يقول الأستاذ عبد الله صالح حداد في بحثه القيم عن رقصة العدة إما أن تكون رقصة العدة من الاستعداد للحرب أو العدة ما يحمله الراقص من عتاد كالترس والعصا والجنبية والسكين وهي الوحيدة التي تفرض على الراقص أن يكون مستعداً بتوفير هذا العتاد نتيجة للمشاكل بين الحارات والحدود أثناء مواسم الزيارات وحفلات الزواج ...) واسترسل في الحديث عن العدة إلى صفحة ٣٠ من كتابه.[١٧٦] والمشكلة أن الباحث بو عمر لم يضع حداً للانتهاء من النقل عن حداد ، ولم يشر إلى المصدر المنقول عنه (يعني اسم بحث حداد القيم الذي أخذ عنه) ولهذا لم يفند القارئ كلامه من كلام حداد وأنا واحد منهم. على كل حال ، فالباحث قد وضع القارئ أمام خيارين لا ثالث لهما لتعريف رقصة العدة وهما من المشاهدة لا غير (إما أن تكون رقصة العدة من الاستعداد للحرب أو العدة ما يحمله الراقص من

عتاد) ولم يجزم لتأكيد أحدهما ، وهذا ما ذهب إليه بعض الرواة من حكم.

وبعد اطلاعنا مؤخراً على البحث عن رقصة العدة المسلم لنا من الباحث حداد نفسه ومقارنتنا لما ورد عن الباحث فرحان وما ذهب إليه من اللبس في ما يقصده من التعريف بالعدة وما ذهب إليه من تفصيل. حيث جاء في صفحة ٥ من البحث عن تسمية العدة بالطاسة قول حداد: (فاطلاق لفظة العدة هو الصحيح لأن العدة بضم العين يعني الاستعداد أو إتمام العتاد من مال وسلاح ، وإن كانت العدة بكسر العين فهي الجماعة ، ولهذا فنحن نرجح لفظ (العُدة) أو (العِدة) على لفظ الطاسة إلا أننا نلاحظ أن التسميتين واردة ولا نستطيع إنكارهما ، فهناك من يدعوها (طاسة) والآخر يطلق عليها (العدة). أما أهل الحامي فينفردون بإطلاق لفظة (الخابة) حتى وإن كانت في شكلها الأكبر..)[١٧٧] إنتهى النقل. والباحث حداد في هذه الجزئية لم يعطِ إلا تعريفاً واحداً للعدة (الاستعداد أو إتمام العتاد من مال وسلاح) وكلها تعني إتمام التجهيز من عدمه ، لأن جملة إتمام العتاد من مال وسلاح هو تفسير للإستعداد ، ولا أعتقد أنه يريد باستخدام الحرف أو للإختيار بين مسميين كما ذهب إليه فرحان.

وإذا كانت الشحر هي أولى البلدات التاريخية على الساحل الحضرمي فليس غريباً أن يكون لها الأقدمية في نشأة الرقصات الشعبية الحضرمية المعروفة وبالذات المتصلة بأصحاب المدن طالما أن مدينتا غيل باوزير والمكلا من المدن الساحلية التي تنتشر فيهما رقصة العدة؛ لم تؤسسا إلا في القرن الخامس الهجري وما بعده ، هذا إذا كانت وفاة الشيخ يعقوب صاحب المقبرة المعروفة باسمه في المكلا دفن بها سنة ٥٥٣هـ كما تقول كتب التاريخ الحضرمي ، ولم تكن هناك قرية بمعنى قرية إلا أكواخ صيادين ورمال بيضاء ، ومنها تأسست الحارة والبلاد في المكلا التي اشتهرت برقصة العدة ،

ثم في العام ١٩٠٠م كما يقول الأستاذ نضال باعشن في حديثه على قناة حضرموت الفضائية تأسس حي السلام من الحضارمة الموجودين في عدن أمثال آل بازرعة.

ومما سمعناه عن رقصة العدة أنها انتقلت إلى وادي حضرموت وبالتحديد إلى سيئون قريباً جداً بيد أنهم قلبوا التسمية بين العدة والشبواني (وحتى هذا الأخير هناك اختلاف على لفظته بين شوّاني وشبواني.) ولكننا لا نأخذ بالسمع دون مستند نعتمد عليه. والجدير بالذكر أن رقصة العدة وبالتحديد عند الشباب في الأيام العشر الأولى من شهر ذي الحجة قد يتقدمها المشعال[١٧٨] (وتجمع على مشاعيل لا مشاعل بإشباع الكسر حتى قلبوه ياء) وهي من العادات الموسمية التي تمارس في الشحر.

(ب) الشبواني:

قال المحضار:

وإن وقفت العدة يجي الشـــبواني اثنين من ذي يحســـــنوا المغاني
ويدخـلوا الشـعّار بالتـــــوالي ما با نســـيبك يا التراث الغـالي
اثنين وثلاثـة وساعات أزيـــــد ذا ذم مـــن راده وهـــذا مجّـــــد
ويخصـوا الحاكـــــم بشي والوالي ما با نسيبك يا التراث الغـــــالي
وبعدها قاموا وكســروا للصـوت وكلهم قرمـــات ما فيهم كـوت
وفــوط وهم ما خيبـــوا آمــالي ما با نســـــيبك يا التراث الغـالي

ومن ملحقات رقصة العدة رقصة الشوّاني ، ومنهم من يلفظها (الشبواني) مع أن لا علاقة لشبوة بها ، والتي يتواجد لها أكثر من شاعر وتؤدي في ساحة واسعة نظراً لعدد الراقصين وكثرة المشاهدين ، وغالباً ما تكون فترة الرقصة في المساء. ويصطف الراقصون على صفين وهم يقومون بتأدية الحركات الأدائية داخل الساحة (المدارة)

ويسمى كل صف بـ (الشنف) وذلك بعد كسر الصوت (أي إقامة الرقص).

قال المحضار:

ذا فصـل يا أهل الشنـــــف والمــداره
نا جيت عاني لقصـــــد النسم والزياره
وبغيـــــت من كل طـــارش خبـــاره
وإن حد معـــــه سر نا لي نكتم الأسرار

وقد وصف المحضار رقصة الشواني أو الشبواني في الأبيات السابقة في سياق الحديث ، حيث تقام بعد الانتهاء من رقصة العدة وتكون البداية من قبل اثنين مغنيين بالدان على صوت سبق وإن أعد لحنه من قبل ، ليدخل أحد الشعراء المطلوبين للشبواني في المدارة ويبدأ شعره بالتحية والسلام للقائمين على الشوّاني أو الشبواني ومن حضر من ذوي الجاه والسلطة وللحاضرين ويبدأ بالمدح ، ثم يسترسل ما حضّر له سلفاً من أبيات القصيد على الجميع وهم يرددون معه الكلمة الأخيرة من كل بيت ، وفي نهاية قصيدته يطلب من أحد الشعراء المتفق معه لدخول المدارة بعده ليبدأ هذا الشاعر بالقافية نفسها للشاعر السابق ببضعة أبيات ثم يفصل لينتقل إلى قافيته المحضر لها مسبقاً ، وهكذا يتلو قصيدته بالقافية الخاصة به وفي آخرها يدعو الشاعر الثالث ويفعل كما فعل الأول والثاني إلى أن يدخلوا جميع الشعراء في المدارة لتبدأ المساجلة الفعلية فيما بينهم ومن أقفل عليه القول يفصل أي ينتقل إلى قافية شعرية مناسبة له. أما المغنيان فيتعاقبان أبيات القصيد وبعدها يكسر الصوت على بيت لأحد الشعراء وعادة ما يكون الشاعر الأخير ليدخل الراقصون المدارة لتأدية الرقصة.

هذا هو الحاصل بين شعراء الشبواني الآن ولنا تعليق بسيط عليه ، فما أوردناه

نعتبره طفرة سلبية لشعر الشبواني ترسخت وأصبحت ظاهرة حديثة لم تكن موجودة من سابق وقد زحفت هذه الظاهرة على الساحل من شعراء الوادي الشباب لتعلقهم بالرقصة مؤخراً ، ونرى أنها أضعفت شعر الشبواني كثيراً ليصبح كأمسية يحضّر لقصيدها مسبقاً بأبيات تلمس الواقع ودون ارتجال لغرض الشهرة ، بيد أن شعراء الشبواني القدماء يرتجلون القصيد في اللحظة نفسها وهم يلوحون بأن الشعر يوحى إليهم من الحليلة وليست صناعة مسبقة ، لأن أكثرهم أميين ولا جدوى للتحضير الكتابي عندهم غير خبرتهم في الحياة. وهنا تكمن جودة الشعر عندهم ، ومدى اقتدار الشاعر الفذ في الإتيان بالصور البلاغية والتعابير الجميلة.

ويكاد كل الشعراء الشعبيين والعاميين عامة لا يتقيدون بمثل ذلك في قصائدهم لأن موضوع القصيدة الرئيس عندهم مجزأ إلى عدة موضوعات فرعية ، وكل موضوع يتجزأ إلى عدد كبير من الأفكار ، وكل فكرة تحمل هدفاً معيناً ، تبدأ من السلام وتنتهي بالختام. وكثيراً ما يحبذ الشاعر العامي أو الشعبي الانتقال من موضوع إلى آخر بوساطة (الفصل) ، وهو اصطلاح محلي يلجأ إليه الشاعر متى ما شعر بضيق النفس من الموضوع السابق وأحياناً من حرف الروي مع إبقاء البحر ، وربما من الموضوع فقط مع إبقاء حرف الروي والبحر. وهذا ما يكثر في مساجلات الدان في رقصة الشواني أو الشبواني. وفصل الموضوع يكون بالإشارة: ذا فصل ...، أو ذا فصل والثاني ... ، أو تسبقها أحياناً لفظة (خرج) بقولهم: خرج ذا فصل ..، أو خرج ذا فصل والثاني ... ، وأحياناً تكون الاستفتاحية بلفظة فصل ... أو ذا فصل ... ، وغالباً ما تستخدم الاستفتاحية في المساجلات عند الغناء على لحن سابق بحيث يفصل الموضوع السابق عن الموضوع اللاحق. وعبارات الفصل تعتمد أساساً على

نوع البحر في استيعابها.

(ج) الاستماع:

قال المحضار:

وعاد معنا استماع وسمّع ويكون مجمـــع ما كماه مجمع
وله قصائد ما لهـــا أمثالي ما با نسيبك يا التراث الغالي

والاستماع كفن غنائي تراثي عادة ما يكون كزفة للعريس ويتقدم الزامل أو العدة وما شابههما وقد يكون منفرداً ، حيث يؤدي الاستماع فنان متميز بالأداء وحفظ القصائد الفصحى ذات الألحان الشجية المناسبة للاستماع ، ويصاحب الفنان الإيقاعيين وصاحب المدروف (الناي) فقط ، كما أنه يتقدم بدء رقصة الزربادي أحياناً.

وهناك نشاط فني آخر يسمى (السماع الصوفي) وهو ما ينشد في المجالس الصوفية في حضرموت ، وهذا النشاط الفني لا يرافقه شيء من التصفيق أو الرقص ، إنما هو تعبير عما يختلج في دواخل المتصوف من أحوال ومقامات ، وما وصل إليه من أطوار في معارجهم الروحية. والمراد بهذا المصطلح فهو (الإنشاد الصوفي) وهو ذلك النشاط الفني الخاص الذي يتداول في الزوايا ومجالس الذكر من أجل غايات تربوية وروحية محددة. بمعنى أنه نشاط يرتبط بالسياق الصوفي لاتسامه بالجو الروحاني له خصوصياته وشرائطه المحددة ، لا صخب فيها. ويؤدى السماع عادة بصوت المنشد المجرد وهو من الغناء المرسل يعرف في علم الموسيقى بـ (Rectativo) وبدون مصاحبة الإيقاعات خصوصاً في المجالس الخاصة.[١٧٩]

(د) الزربادي:

قال المحضار:

وعاد معنـــا لعبـــة الزربـــــادي سعيد بن عبد المعـــين الحادي
الموزعي يعرفـــه والخيـــــــالي ما با نسيبك يا الـتراث الغالي
وصاحب المدروف في مدروفه دائم مخلي رقبتـــــه معطوفـــة
يسلي الحضّـــار يومـــــه سـالي ما با نسيبك يا الـــتراث الغالي
وفي المدارة دخلـــــوا الزفانـــة يمشون عا نغماته الرنانـــــــة
مدخـــل ومخـــرج هكذا ديوالي ما با نسيبك يا التراث الـغالي

ذكر المحضار في هذه الأبيات تعريفاً فنياً لرقصة الزربادي ، وهي من الرقصات الراقية ذات الخصوصية للطبقات العلياء المشهورة في المجتمع الحضرمي ، ولا يرقصها إلا المحترفون من الراقصين بلباسهم الحضرمي الفاخر ، وهي لا زالت محافظة على طابعها التقليدي إلى اليوم ، ونشأتها وممارستها مدنية ولم تمارس في الأرياف ، ولهذا السبب تكاد تكون محصورة على بعض الأسر والأشخاص مما يعيق انتشارها كبقية الرقصات. وقد تعددت تسميتها في المدن الحضرمية في الداخل ، وسميت بأسماء الأسر التي اشتهرت بأدائها ، كما سميت بالريّض نتيجة إلى الراضة والتريث في الرقص لمصاحبة الإيقاع الرزين.

وقال الباحث في الفنون الشعبية الأستاذ سعيد عمر فرحان عن أصل الرقصة: (كلمة الزربادي منسوبة لفرقة آل زربادي المعروفة التي توارثت إيقاعات وألحان هذه الرقصة أباً عن جد ، وتقطن هذه العائلة الفنية في بلدة (الغرفة) التي تبعد بضعة كيلومترات عن عاصمة الوادي سيئون ، ويعود إليها الفضل الكبير في تخليد هذه

الرقصة.)[١٨٠] وقد حدثني الشاعر الشعبي صالح مبارك بن حُمَيد (٧٦ سنة) من ساكني مدينة الغرفة منبع هذه الرقصة لتأكيد ما تناوله الباحث سعيد عمر فرحان حول نسبة ومنشأ هذه الرقصة من عدمه، وأجابني بعد تريث لأيام أكثر فيها السؤال: أن رقصة الزربادي تسمى عندهم البطيق ويضاف إليها اسم الزربادي لتصبح التسمية لها (بطيق زربادي) وأن هذه العائلة (آل زربادي) هم من أسس هذه الرقصة في مدينة الغرفة وبعدها انتشرت في الوادي بالتسمية نفسها.[١٨١] والجدير بالذكر أن هذه الرقصة تسمى أيضاً في مدينة الشحر بالزربادي، وهناك القليل ممن يجيدها.

وتتكون فرقة الزربادي الموسيقية من ستة فنانين وهم: (الفنان المؤدي وعازف الناي وضارب الهاجر وثلاثة من ضاربي المراويس) ويشترط في هؤلاء الستة الخبرة الفنية في هذا المجال. ويكون الغناء على لون العوادي والدان الحضرمي القديم والقصائد الغزلية من الشعر الصوفي قدر الإمكان، وللرقصة احترامها فلا يستخدم التصفيق في أثناء الغناء أو بعده إطلاقاً، لا من قبل الراقصين ولا من قبل المشاهدين، وتكون البداية دائماً بقصائد المديح النبوي. وللرقصة مدخل يتميز برتابة حركته وامتداد إيقاعاته، ومخرج يكون أكثر سرعة من سابقه في الحركة والإيقاع. كما نحب أن نشير هنا بأن هذه الرقصة تؤدى في مناسبات الزواج والولائم والمناسبات الخاصة داخل أسوار المنازل أو أمامها.

أما الراقصون (الزفانة) فيزفنون في حركات أدائية متطابقة وموحدة في القيام والجلوس والمشي والقفز والوقوف في استغراق فني وغيبوبة صوفية وكأنهم جسد واحد لا يتقدم أحدهم عن الآخر ولا يتأخر في الحركة، فيرقصها الشباب وكبار السن على حد سواء ممن عندهم الاستطاعة حركياً بسبب رزانة إيقاعها الموسيقي،

وغالباً ما يكونون اثنان يرقصان باتجاه الفرقة العازفة ، ولا يجيد الرقص فيها إلا البعض من الهواة والذين تمرسوا في الأداء ، وقد جذبت من المتذوقين للشعر والفن الكثير والكثير لتصبح رقصة النخبة الراقية في المجتمع الحضرمي عامة إن جاز التعبير. وقد سافرت هذه الرقصة مع الحضارمة إلى خارج حدود الوطن لتصل وتستقر في دول شرق آسيا وبالذات في اندونيسيا وماليزيا.

(هـ) الغية :

قال المحضار:

درية وغية عادها في اللســـته وما تحصّل من صحابك فرته

والراعيــة ما بينهم تختـــال ما با نسيبك يا التراث الغالي

ورقصة الغية الشعبية بالنسبة لمدينة الشحر تلعب في الأساس في حارة دفيقة المتاخمة لها ، وهي شبيهة برقصة الهبيش من حيث السرعة الإيقاعية وصفوف الراقصين والراعية ، إلا أن الغناء والرقص والتصفيق في الغيّة يكون مصاحباً للإيقاع البدوي السريع المعروف في حضرموت ، وتتكون آلاته من هاجر واثنين مراويس ، وأحياناً يستخدم هاجر آخر يسمى المرد ، حيث يصطف الراقصون في صفين متقابلين يسمى كل صف بشنف ، وتدخل الراعية في المدارة ويكون فيها تحييق وتنجيد كما هو معمول به في الهبيش ، حيث يرافق الراعية راقصان عن يمينها وشمالها وربما راقص ثالث يكون أمامها ويتم الدوران في المدارة ، ويكسر الصوت عند منتصفها ليبدأ الدوران من جديد براقصين جدد ، وهكذا دواليك. والغية تلعب في حارة المجورة الشحرية أيضاً من ثاني أيام العيد إلى رابعه.

(و) النوّح:

قال المحضار:

ولعبة النوح بوادي العين رجال ونساء يعمدوا صفين
وصواتــهم ما لها أمثــالِ ما با نسيبك يا التراث الغالي

أصل النوّح من وادي العين ثم نقله العوابثة إلى حارة الخور بالشحر حيث يتواجدون فيها وهي رقصة شعبية مختلطة تكون من صفين متقابلين: صف للرجال وصف للنساء ، ويتبادل الصفان الغناء حيث يغني كل صف شطراً من البيت الشعري ، ويكون الدخول في المدارة من قبل الجميع ومن عنده الاستطاعة للرقص فيها من الطرفين ولا يزيد عددهم عن خمسة أفراد (ثلاثة رجال واحد منهم يكون محيّقاً ، إضافة إلى امرأتين) ، ولا تعتمد على راعية واحدة كما هو في الغيّة ، ولا تصاحب النوح الإيقاعات بل يضبط إيقاع الرقصة بواسطة التصفيق ورزحة الرجل. أما ما يختص بالشعر فمثله ورقصة الهبيش. (يعني يتبارى الشعراء فيما بينهم ويدندن المغنون بما يقولون ثم يكسر الصوت بأحد الأبيات). ولنأخذ بيتاً من شعر المحضار المسموع في هذه الرقصة:

العشق خلاني ساهر الليل ما نهدأ وتغمض جفوني
دايم ونا كالطـير ســابح في الهــواء مالي سكـــون

(ز) الهبيش:

قال المحضار:

أما الهبيـــش لي عند آل لارياف صفـوف تتقوم له وأشناف
والراعيـــة تدخـــل ولا تبــالي ما با نسيبك يا التراث الغالي

رقصة الهبيش (الساحلي) من أكثر الرقصات الشعبية انتشاراً في القرى المجاورة لمدينة الشحر حيث نشأتها الحقيقية ووجود العنصر النسائي المصاحب للرقصة ، وأكثر الأشعار المنتشرة والتي تتداول بين الناس هي من جلسات دان الهبيش ، وللسيد حسين المحضار صولات وجولات مع الشعر الهبيشي الصعب في بنيته وتعدد فواصله ، منها ما تم جمعه وما كثر على ذلك يحتاج إلى تجميع ، حيث سار المحضار على نهج من سبقه من الشعراء الشعبيين ، ولمواسم الزيارات والزواجات والأعياد دور في تخريج الراقصين والراقصات حين تعطى لهم فرصة التدرب والتجربة ليصبحوا دعائم للرقصة في المستقبل.

والهبيش في اللغة معناه التجميع من هبش بمعنى جمع وهي متحورة عامياً من الهبش. واصطلاحاً تلك الرقصة التي تجمع عدداً من الراقصين على صفين متقابلين منحنيين ويشبه كل صف ما يقل عن نصف دائرة بقليل يسمى (شَنَف) ويتقاسمان بيت القصيد في الغناء والتصفيق أيضاً ، ويلعب الراقصون بالتناوب في (المدارة) براقصين اثنين من كل شنَف ويؤدون الحركات الأدائية بصحبة المرأة التي تسمى (الراعية) بزيها البدوي التقليدي مزينة بالفضة ، كما يسمونها الداخلة والمشترحة. كما أنها تقوم بضبط الإيقاع الموسيقي للرقصة بوساطة (الحرز) وقد سمي الحرز بذلك الاسم لوضع العزيمة فيه احترازاً مكيناً من السحر حسب الاعتقاد ، ويعلق على الحلق أو يُعصب في اليد . لكن الحرز المقصود هنا يسمى المحنحن (سبق التعريف به في الباب الأول ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ الصياغة). وتمسك الراعية بالحرز بيدها وتهز به تمشياً وضبط الإيقاع. ويتم الرقص في المدارة بالتداول. ونعتقد أن تسمية هذا الدان بالهبيش جاء مقتبساً من أداء الرقصة نفسها عندما يردد أبرز اللاعبين

منهم كلمة (هبش وهبش) بالتكرار زوجياً وذلك كطلب منه بتجمع أكثر عدد من الراقصين ليحيطوا بالراعية عند انتهاء الغناء من أحد الشنفين واستكمالاً للدورة ، ليبدأ الخروج إلى المدارة من جديد بوجوه أخرى وهكذا دواليك.[١٨٢]

ومن المفيد أن تعلم أن الغناء يبدأ ببيت شعري يسمى (البو)[١٨٣] ويُؤدى من قبل المغنين وهم واقفين وعددهم لا يزيد عن ثلاثة ، ثم يتبارى الشعراء بالقصائد على وزن الصوت نفسه البو ، ثم يأتي فيما بعد (كسر) الصوت وهو تحول الدان إلى رقصة شرحية على آخر بيت لأي من الشعراء المشاركين ويكون سريع الإيقاع أكثر مما كان عليه من رزانة في أثناء الدان. إذاً هذه سبب التسمية لهذا الدان بالهبيش ولكنه يسمى كذلك فقط قبل أن يصبح رقصة هبيش في أثناء الجلسات الخاصة به التي تعتصر فيها تجارب الحياة في السمر الذي يبلغ فيه القول ذروته.[١٨٤]

وفي النصف الثاني من القرن العشرين حصلت انتكاسة لرقصة الهبيش حيث أصبح الشعر لا جدوى له في الرقصة ، واقتصر على جلسات الدان فقط ، بينما أدخل على الرقصة آلة (المزمار) حينما أبدع فيه المزمر المميز المرحوم / يسلم أبو الوعل من مدينة الديس الشرقية وحل محل أولئك الشعراء واكتفى بألحان أغاني المحضار القديمة والمستجدة أيضاً في فترة حياته (أي المزمر أبو الوعل) كأغنية (عنب في غصونه) وأغنية (الحب فيه المزلة) المختلفتين في الإيقاع غنائياً مع الموسيقى والمتفقتين في إيقاع الهبيش، والراقصون يرددون الأغاني مع المزمار.

والمرحوم يسلم أبو الوعل اجتمع فيه الذوق والحس المرهف للكلمة واللحن والرقص ، وتوج ذلك الحس بمزماره المتميز وخفة حركات أنامله حتى لاقى القبول من شباب ذلك الوقت والاستهجان من المسنين. أما الشباب قد وجدوا

فيه بغيتهم بتجواله في أغاني المحضار بين قديمه وجديده ، وأما غيظ المسنين من مزماره لأنه قطع شعرة معاوية على الشعراء وجردهم من تلذذهم بكلماتهم الرمزية وهم يتحدثون عن المزارعين وزراعتهم وعن البدو وجمالهم في حلهم وترحالهم. بل يعدونه أول من قضى على رقصة الهبيش التراثية وحكم عليها بالإعدام ، حيث ظل الهبيش من بعده في المدارة رقصة شرحية فقط بدون دان. ويمكن القول إن أبا الوعل هو أول من أدخل آلة المزمار على رقصة الهبيش حتى ذاع صيته في المحافل الاجتماعية وطلبوه في إحياء المناسبات والأعراس ، فأناب مزماره عن الشاعر والملحن والمغني على حد سواء وبمزماره استوطنت الرقصة في المدينة بهذه الصورة المجددة.[١٨٥]

واستفاد الشاعر حسين المحضار من تطويع ألحان الهبيش التراثية وتحويلها إلى ألحان طربية وأدخل عليها آلات الطرب والإيقاعات وغنت في المخادر[١٨٦] والمحافل. ومما قاله المحضار في هذا:

كم دخلت أصواته على صوت الطرب وأعجبوا به الناس لا حد العجب

فاسمع بأذنك صوت معرب حالي ما با نسيبك يا التراث الغالي

والهبيش قروي المنشأ ولا بد من خروج المدني إلى القرية إن أراد بغيته فيه. وهكذا فعل المحضار ، نال ما نال من شعبية من أقرانه الشباب القرويين والمتمدنين الذين لهم علاقة بهذه الرقصة فذاع صيته في محافل السمر في القرى والبوادي ، وتجسد ذلك بكتابة الأغاني الأولى في المدينة التي اتخذت الطابع الهبيشي والتقليدي في اللحن. فكان قدر المحضار أن يكون شاعراً غنائياً في الهبيش ثم في الطرب وبذلك اكتسب الشعبية في الشعر ، ومن الهبيش في اللحن قبل الطرب كما تدل الشواهد على دلك من تأصل الهبيش في ألحانه.

وشعر الهبيش ليس بالسهل في التنظيم وتكمن صعوبته في تعدد قوافيه وفي صولاته الطويلة وفي فواصله المتعددة ، لأن المستمع يتذوقه على أمرين :

ـ أولهما: أن الدان يعتمد كثيراً على طول النفس في بيت القصيد فإن كان قصيراً قد يؤثر سلباً على سامعيه بل وعلى المغني نفسه فلا يلقى القدر الكافي في الإبداع لأن كل الصولات مقيدة بإيقاع موسيقي واحد.

ـ ثانيهما: إذا أراد عشاقه أن يصيروه رقصة شرحية فلابد من استخدام الدان القصير حتى لا يرهقهم في أثناء الرقص وأداء الحركات لتستمر الرقصة فترة أطول. ويطلق على تحويل الدان إلى رقصة شرحية عبارة كسر الصوت.

فثمة أمور لابد من توافرها في الشاعر إن أراد لأقواله وقعاً في المسامع أهمها:

١ـ أن يكون على دراية تامة بالمصطلحات الزراعية كالشراحة والنشارة والطبانة والجربة والمطيرة والسوم والصراب والونش إضافة إلى أدوات الزراعة من شريم ومزحاة وغيرها .

٢ـ أن يعرف عن البادية ما كثر عن ذلك لأن الهبيش في الأصل بدوي انتقل إلى الريف ولم يجرؤ على دخول المدينة سابقاً لأمور ربما تكون سياسية وأهم ما يعرفه عنهم كالجمّالة والنشرة والبهم والخضيرة وشناطيب الحيود وتحركات البدوي بين حايق وناجد في الطرق الملتوية وغير ذلك.[١٨٧]

(ح) الزامل:

قال المحضار:

لي مـــا يعرفـــون قدري قالوا مسكين على المسرى لم يكن قادر

وسريت ورجعت بدري ذا يومنـــا عنـــد محبـوبي روعي البـادر

والناس يمشون بعدي بالزف والزامل

لا تخربون الزمن ما دام للتعمير قابل

ذكر المحضار الزامل في أشعاره في كثير من المواضع على تعدد أنواعه ، وهو ـ أي الزامل ـ من الفنون الشعبية الجميلة التي تؤدى بشكل جماعي من قبل الرجال فقط في أغراض شتى ، وربما كان الاهتمام به أكثر من رجال القبائل. ولأن الزامل من الرقصات المتحركة من مكان إلى آخر ، فكان من المحضار أن يقول أبياته الشعرية وهو في مكانه إذا طلب منه وبالتحديد عندما ثقل جسمه ، ولكن لفظة الزامل ظلت تتكرر على لسانه في الأغراض الشعرية الأخرى. فقال مثلاً في إحدى أغانيه:

يا حصن مول البناقل

محـــــــلا ركونك

خيفان بعد الزوامل

ينعق عليك الغراب

الحب فيه المزلة والعفو عين الصواب

ومن أمثلة ذكر الزامل في ما قيل عفوياً في البدع والجواب خارج جلسات السمر نورد بعضها مع صديقه الشاعر سعيد باهيان. ففي موضوع أول سيارة قدمت هدية للمحضار من رئيس الجمهورية نذكر بدع باهيان وجواب المحضار عليه لأن السيارة لم تكن جديدة بل مستعملة بعض الشيء فقد قال باهيان :

عقد عا بكـــــر ودْخل عا مثني

قديمة قد خذت من قبلك اثنين

جواب المحضار :

تعـــــــــاتبنا ونا قدنـــا محـــنّي
وقد زاملي في مطـــراق حنين [١٨٨]

وهذا غرض من أغراض تأدية رقصة الزامل المتحركة في الزواجات حيث تصبح مثل الزفة للعريس من مكان إلى آخر. كما أن المحضار ذكر نوع آخر من أنواع الزوامل باستخدام الخنجر والجنبية وما يماثلهما من الآلات الحادة كإظهار القوة والرجولة كما في قوله:

عاد الزوامل عندنا والمرفـع وكل من با يبتـــرع يتبـــرّع
ويخرج الخنجر من السـقالي ما با نسيبك يا التراث الغـــالي

وهنا نعطي صوره عامة عن نشأة الزامل ليس في الشحر وإنما على مستوى المنطقة كلها ، ثم نأتي بمدلول لفظة الزامل وبعض الألفاظ والمصطلحات المستخدمة فيه كرقصة في الشحر وما حولها حتى تتجسد الفكرة من الربط بين النشأة والاستخدام.

قال الشاعر عبد الله البردوني: لقد نشأ الفن الزواملي من أصل خرافي شبيه بحكاية (القات) الذي قيل: أن أول من اكتشفه (تيس) فدل الراعي على لذته ، ثم دل الراعي رعاة آخرين حتى تزايد مضغه إلى حد التعميم اليوم؛ يشبه هذه حكاية الزامل وأضاف أن بعض القبائل فرت في سنة (دقيانوس) إلى كهوف الجبال خوفاً من هجوم المعتدي ، وفي هدأة الليل سمعت أصواتاً جهيرة كثيرة العدد ، بديعة الإيقاع ، لم تسمع أجمل منها إثارة وتحميساً وكانت تردد باللغة الشعبية (زاملاً) يهز النفوس ويرنح قامة الصمت. وقد حدد سنة (دقيانوس) بسنة الغزو الروماني مطلع القرن الثالث الميلادي وإلى هذه الفترة نسب نشأة فن الزامل.[١٨٩]

كما عرج على المدلول اللغوي للفظة (زامل) وقال: أن الأزمل في اللغة الفصحى الصوت المختلط من عدة أصوات وهو بمعنى آخر العدد المتمايل كسرعة الأعرج.

وقد عرفه من محتواه بأنه تعبير الحياة المباشر من خلال الأصوات المتجاوبة..[١٩٠]

والزامل من تزمل أي ترجز وهي تقاطيع من الشعر الشعبي كنشيد الحرب ، والزامل عبارة عن المزاملة أي ترديد الرجز إنشاداً في جماعة قلت أو كثرت.[١٩١] والزامل مشتق من الزملة وهو الرفقة والجماعة لأنهم يجتمعون في جماعات لإنشاده منهم القبائل والعامة من الناس ، وبالذات في الزواجات والاحتفالات وغيرها ، والعسكر عند عودتهم منتصرين ، وقناصو الظباء عند عودتهم بعد رحلة القناصة مسرورين ، ويغلب على أشعار الزامل الفخر القبلي والمدح في البذل والعطاء وإرساء روح المحبة والمودة بين الجماعة.

ويقول الأستاذ الباحث والراقص سعيد عمر فرحان نقلاً عن محاضرة للأستاذ الباحث حسين عبد الله الجيلاني في منتدى الخيصة بالمكلا: في حضرموت زوامل بديعة بحكم الوجود اليافعي الكثيف كما في غيرها في محافظات الجمهورية وكما هو معروف قي القرن السابع عشر انتشر كثيراً وساد معظم مدن وقرى حضرموت بساحلها ووادیها.[١٩٢] وللباحث سعيد عمر فرحان (أبو عمر) رأي آخر حيث يقول: ولكني أعتقد أن حضرموت عرفت الزامل قبل هذا الوجود اليافعي ، والزوامل قديمة ، وعندما نستعرض زامل المحرس على سبيل المثال لدى قبائل الحموم بكلماته ولحنه سنجد نكهة هذه والألحان تدل على قدمها وهذه مسألة نتركها للمتخصصين في شؤون تحليل الموسيقى الصوتية وتاريخها.[١٩٣]

وتابع: وعندما دخل السلطان القعيطي حضرموت كانت هناك الكثير من أشعار الزوامل القديمة التي سبقت هذا القرن والوجود الطائفي واليافعي ، وقد دلل حديثه بأبيات للشاعر عبد الله عبود بامدحج يهاجم فيها السلطان بدر أبو طويرق.

واستطرد قائلاً: أما القعيطي عندما رام أن يكتسح وادي حجر فما استطاع وجهز أول حملة وأسعفها بأخرى كما تشير كتب التاريخ ، وكان الشاعر زيد بادول شاعر حجر قد عرف بالحملات التي كان يجهزها القعيطي لهم فقال:

قل للقعيطي ما كفاك السوق
عادك تبى حجـــر الزبينـــة
قل له قنع من أرضنا ما تحوق
هندي ولا نعرف رطينه(١٩٤)

والزوامل في حضرموت أنواع منها: زامل اليامي وزامل المرفع وزامل العدة (يسبق رقصة العدة) ، وزامل السرية مع العريس إلى بيت العروس لأخذها إلى بيته في ليلة الدخلة ، وزامل المرفع وهو خاص بآل يافع ويؤدى على قرع الطبول. وعند قبائل الحموم وسيبان حول الشحر زامل الصف وهو متحرك في شكل صفوف ولا تقف المجموعة إلا عند تغيير كلمات القصيدة من الشاعر ، بينما زامل المحرس فهو غير متحرك حيث تقف المجموعة في ساحة ما ويتبادل الشعراء فيها الكلمات ، وغالباً ما يكون ذلك في المناسبات الفرائحية كالأعراس. ويجب أن نشير إلى أن وقفة زامل الصف المتحرك تكون بـ (الهوك) وتسمى أيضا بـ (التنصورة) وتجمع على (تناصير) ـ من الانتصار ـ كقول الشاعر المحضار مخاطباً أهل وادي عمر (الديس الشرقية):

الريـــــدة سقوني الدر فيـــــها وربوني
ما تناسيت واعرف سدة الدار والبوني
كل دخلة بترحيبـــــة والزمل والتناصير
ريتنا طير فوق العـــارة والحوم با طير

وقوله أيضاً:

واجعل فرحنا طيب وأطيب الابن يفرح فيه والأب

والهوك يحلى والتناصير

الله قدير يجعل بديل العسر تيسير الله قدير[١٩٥]

والتنصورة هي صيحة خاصة بالزامل يقولها أحد مقادمة الصف الأول (ولِّكَمْ) مكررة وهي لفظة منحوتة من ويلٍ لكم ـ للتهديد ـ طالما أن الزامل نشيد حرب ، ولكن عند الحموم يكون الهوك أو التنصورة هكذا: (عمرو غلاّبة شنّا قبيلي ولّكم ولكم) بمعنى: عمرو غلاّبة أشهد أنّي قبيلي ويل لكم ويل لكم. وعمرو من فخائذ الحموم (سارحة) ، وأحيانا ينطقون الهوك هكذا: (عمرو غلاّبة كم من قبيلي كسرنا نابه ولّكم) وهذا الهوك واضح وفيه من الشجاعة ما تؤدي إلى تكسير أنياب القبيلي الخصم ، ولا يقال الهوك إلا عند استبدال القصيد أو الانتهاء منه.

والزامل المحرس أو الصف لا علاقة له بداخل المدينة بينما يعتاد عليه البادية والقرويون كأصل متأصل من فنونهم الشعبية ، ويتم ترديده عند الانتقال من موضع إلى آخر بصورة جماعية أو وقوفهم في ساحة العرس ، ولا تصاحبه الطبول ، بيد أنه يعتمد أساساً على نظم الشعر فقط وبالذات الأغراض الحماسية والترحيب بالضيوف لحضور الواجب وإكرام وفادتهم. أما زامل يافع فتؤدى حركات الراقص فيه على قرع الطبول ، ويعد الزامل فن من فنون الأدب الشعبي. ولكن لمدينة الشحر زامل خاص بها يُؤدى مشياً خلف العريس (سبق ذكره) ويشبه زامل الصف من حيث الصفوف فقط ، ويقال له (عبيد الحري) ، حيث ينطق أحدهم أبيات شعرية محفوظة من قصيدة عمودية ويردد الجميع بعده آخر كلمة في البيت مصحوبة بعبارة (عبيد

الحري وِي) وربما لفظة الحري متحرفة من الحوري ، ولكن يقال للشخص الذي يحضر خصيصاً لحفلة العرس (متحروي) من (الحراوة) ويعني بها حفلة العرس ، ولهذا قد لا ينطبق تفسيرنا للحري على الحوري بقدر ما يكون أقرب للحراوة نفسها.

وأشعار الزوامل ليست على بحر واحد من بحور الشعر العامي الاثني عشر ، إذ أننا نجد أن بعضها يلتزم بحر المربوع أو بحر المسدوس أو بحر المثمون وبعضها تتداخل فيه البحور. أما الالتزام فقط يكون في البحر لنوع الزامل الواحد ، وأول قول للزامل يسمى (البدع) وقائله (بدّاع) لأنه يبتدع الزامل كفن يستنطق الحال ، ثم تنشد الصفوف الأولى ـ إذا كان زامل صف ـ ما قاله الشاعر من شطر أو شطرين أو ثلاثة أشطر حسب نوع الزامل ثم يأتي بعد ذاك إلى الصفوف الأخرى ويقول كما قال من شعر بعدد الأشطر السابقة ومطابقتهـــــا بحراً وقافية. أما في الزامل المحـرس فيقسم الشاعر الأشطر على جانبي الصف ، ويسمى في كلتا الحالتين زامل لكثرة الأصوات.

ونختتم الحديث عن الزامل ببعض الأبيات المشهورة للشاعر عبد الله محمد باحويرث وهي التي عادة ما يرددها أصحاب الزامل الشحري:

وادخل إلى الشحـــــر لي فيها الشرف ينبع
سعاد لي شيّـــد المولى مبـانيهـــــــا
سوق الكحيلة عليـــها النـــــور يتلمّع
لي يبّست فتنة القعطة مراعيـهـــــــا
وقـــــع لها يا حبيـــبي حـــال ما ينفع
وين المـــربي الذي هـــو با يربّيـــــها[١٩٦]

(ط) البرعة:

وهي من الرقصات الشعبية الخاصة بآل يافع وتؤدى جماعياً في شكل دائري وبمصاحبة الإيقاعات والطبول ، وتعتبر من رقصات الرجولة والاستظهار بالقوة وذلك لما يحمله الراقص من سلاح كونه يعد حامياً للأمن ، أضف إلى ذلك رفعه للجنبية وإشهارها عالياً ويؤدي الحركات الراقصة بها.

(ي) زفة الرجال:

قال المحضار:

با نبتدي أول بشرح الزفـــــة في حين تطرح كتفهـا عا كتفه
معها بنات العم والأخــوالِ ما با نسيبــك يا التراث الغالي

رقصة الزفة تكاد تكون مشتركة يرقصها الرجال والنساء كل في مجاله وعلى حِده وبعيد عن الآخر. فزفة الرجال تكون وراء العريس وبالذات ليلة الحناء ومع الحناء ، وتتخللها رقصات وأهازيج شعبية من الفولكلور الشعبي منها أهزوجة (وغلب ما يحني ... خنوا له) التراثية ، ولها حكاية تختلف في سردها من منطقة إلى أخرى ، ولكنها في الشحر وما جاورها تظل أهزوجة من التراث خاصة للعريس ليلة حنّاه ولا يمكن تجاهلها ، مع العلم أنها لا زالت تردد إلى اليوم من قبل الجميع رغم دخول الموسيقى في حفلات الزواج. ومثل ذلك هذا البيت المأثور الذي يردد في زفة الحناء في المدينة:

ألا يا طير يا لخضـــــر وين مضواك الليلة
أنا مضواي عند أهلي وأنت مضواك السيلة

ومما يردد في زفة الحناء في الأرياف هذا البيت الفلكلوري:

سيل جانا من الوادي هَوَل حوّلوا به

حوّلوا به وسقّوا به جمـــيع السواقي

وقد أضاف الشاعر المحضار إلى هذه الزفة أغنية (طاب ليلك يا عريس) التي أصبحت جزءاً مهماً في غناء زفة الحناء.

(ك) زفة النساء:

وللنساء في الزفة نصيب مثل ما هو للرجال ولكن لهن نصيب الأسد فيه ، وربما زفة النساء تتجدد باستمرار وخاصة في الكلمات ، ولم تكن المحافظة تراثياً إلا على الاسم واللحن والإيقاع والأداء فقط. وهنا نذكر بعضاً من أهم أنواع الزفة النسائية:

ـ الخيبعان:

ويقصد بهذه اللفظة الغريبة التحصين من الحقد والحسد بكلمات غنائية تفيد بهذا المعنى. والمنادى هنا (خيبعان) فلا ندري بالضبط ما تعنيه هذه اللفظة ، ولكنها تستدرجنا إلى ألفاظ مثلها تستخدم عامياً كمناداة ، منها على سبيل المثال لا الحصر: (يا حول) في المطر و(يا سوبان) في البحر ، ووو... مع أن بعض المجتهدين راحوا إلى تفسيرها دينياً ، والبعض الآخر إلى غير ذلك ولهذا الحديث مجاله. ولكن ما يهمنا في هذا البحث هو رقصة الخيبعان وليست لفظتها الموحية بالتأويل وبمفهومها اللغوي والعامي عند المفسرين ، بل نأخذ منها تعريفها الاصطلاحي ومدلولها الفني والغنائي.

إذاً ، فالخيبعان هو رقصة نسائية غنائية تؤدى في زفة العروس وتخمور العريس بكلمات موحية إلى المدح والإطراء في العروسين وأهلهما وما يتصفون به من صفات حسنة وما يملكون. وهذه الكلمات تعد مسبقاً وما على المشترحة إلا أن تؤديها قراءة من الورقة أو حفظاً عن ظهر قلب بلحنها الرتيب ، ثم تقوم بإدراجه نهاية الرقصة. ومن

اللحن الرتيب نأخذ مثلاً هذا القول التراثي في الخيبعان إذا كانت العروس بنت محمد:

يا خيبعان يا خيبعان شرقت على الشعب الزهي يا خيبعان

يا خيبعان يا خيبعان في بـــت محمّـــد طـــــرّحي يا خيبعان

ومن اللحن السريع في الزفة الذي يأتي في النهاية نأخذ هذا القول التراثي:

ليلة الجمعة نوينا السرية نحمد الله قد بلغنا التحية

ومثله من التراث:

في دار عبد النبي بقلت اثلاثـــة غصـــان

غصن القرنفل وغصن الهـيل والزعفران

ويصاحب رقصة الخيبعان الهاجر والمراويس مع الفرقة الخاصة بالغناء. ومما يتوجب ذكره أن زفة الليلة الأخيرة للعروس من بيت أبيها إلى بيت العريس (السرية) تكون كلماتها شجية وتغلب عليها مسحة من الحزن ربما سببها فراق الأهل ، ولهذا يكون الحضور لكثير من النساء ، والتأثر يكون واضحاً على أهل العروس وأخواتها لإحساسهم بالخلوة هذه الليلة.

ـ الهديني:

أما الرقصة الأخرى الخاصة في الزفة تسمى (الهديني) ، وهي زفة خاصة بربوط العروس ولا تختلف كثيراً من حيث الكلمات عن الخيبعان فكلها وصفية ومدح وفيها من الندبة الحزينة. والهديني لا ندري هل اللفظة هي بالدال كما كتبناها ، ونسمعها في الشحر وأريافها؟ ، وهي من هدن يَهْدِنُ هُدوناً سَكَنَ ، وأسْكَنَ ، والصَّبِيَّ أرْضاهُ، كهَدَّنَهُ. وبالضم المُصالَحَةُ، كالمُهادَنَةِ، والدَّعَةُ، والسُّكونُ، كالمَهْدَنَةِ والهُدونِ.[١٩٧] أم بالذال (هذيني) وهي من الهذيان؟ أي الكلام في غير معقول لأمر ما ، وقد تكون

الأخيرة أقرب إلى الصواب ، نظراً لما تتلفظ به العروس عند الربوط [198] حيث تكون في بكاء وعويل وهذيان لعدم علمها بالزواج ومفاجأتها به كما هو معمول به في الزمن السابق ، وقد أوضح ذلك المحضار في أحد أعماله المسرحية بقوله:

البنت كانت في خفاء ما تشوفها حتى السماء
مكلوسة ما يشوفها هذا ولا هذا
ما غير دائم في الصوان
يتطور الإنسان
كانوا إذا رادوا العرس وحدة تبت منهم ترس
وتسير تتلبد عساها تنظر الغادة
تظهر عليها من مكان يتطور الإنسان
خلاص ما الليلة ربوط الدار زي عين المخوط
حد قيم في سطحه وحد واقف في ارقاده
وحد مخبّأ في الصوان يتطور الإنسان
ومساهنين الطابلـــــة بس أص شوها داخلة
وربطوا العذراء كما ما تقنص اجرادة
وزغردن لا يا الحسان
يتطور الإنسان[199]

أما لفظة (هدون) التي أتبعوها بعد لفظة الهديني أو الهذيني وهي ـ أي الهدون ـ من المصالحة والسكون ، فلا غرابة في الأمر أن يكون الهدون والسكون بعد الهذيان أخف على البنت بعد الرضا بالأمر الواقع ، وهذه هي مطالبة المشترحات للعروسة

بالهدو والسكينة والمثول للزواج. وهكذا يتمثل المشهد أمامنا كلحظة حزن طغت على المكان وما على المشترحات إلا تهدئة الموقف بالأبيات التالية من التراث (هذا كمثال لا غير) ، وتذكير البنت بأن أباها بذل الغالي والنفيس لأجل تجهيزها بالذهب المصوغ ، فما عليها إلا الاقتناع وكفى.

هديني يا هداني يا هدون ما بوش في العمـــر يبقي يا هدون
هديني يا هداني يا هدون صـــوّغ ولا قـال يكفي ياهـــدون
هديني يا هداني يا هدون ذا حقنـــا ما لحـــد شي يا هدون
هديني يا هداني يا هدون يا وحلتش يوم تسـرين يا هـدون
هديني يا هداني يا هدون با تشغبـــين المحبـــين يا هدون

ـ الزفين:

قال المحضار:

أما الزفين شف كل بلد بزفينها نغمات للتنتنة وطبول زاد احنينهـــا
ويزفنـــين الغيـــــد عا الموالي ما با نسيـــبك يـــا التـــراث الغالي

الزفين رقص خاص بالنساء وهو يختلف من بلد إلى بلد كما قال الشاعر المحضار، ويتم الزفين على أنغام الشروحات والطبول وتكون أغانيه راقصة بحيث تتكيف المرأة معه ، ويدخلن على اثنتين ليؤدين الزفين ، ويستحب أن تلبس الراقصات الحجل (الخلخال) في الرجل. أما إذا كانت العروس موجودة في الجمع يكون زفين النساء بعدد أكثر من اثنتين ، وهن يزفنين على شكل دائرة ويسمونه (درية). باللهجة المحلية.

ـ الفلاّتي:

قال المحضار:

وعاد معنـــا لعبـــة الفـلاتي وإلا المكلاوي جـــم با يـــأتي
ونعـيش يبغى له عقد اطوالِ ما با نســـيبك يا التراث الغالي

رقصة الفلاتي هي نوع من الزفين الشحري ذات الإيقاع الرتيب ويتم فيها النعيش من قبل النساء ، وهذه الرقصة تؤدى في حفلات الزواجات أثناء تجمع النساء في المكان المخصص لذلك. ولا يعتمد على قصائد مغناة محددة بل يساير الواقع الفني الحضرمي ، حيث تؤخذ أغانيه من أغاني الطرب ومما استجد من غناء ، على أن تلتزم المشترحة بالإيقاع الرتيب لمسايرة عملية النعيش والزفين.

ـ التلقية :

قال المحضار:

زفين معهم في الشراع وتلْقية بالاستماع
الظاهر إنْ حد عندهم حاضر من السادة
وحد يسوكن فيه جان[٢٠٠]
يتطور الإنسان

وتتم عن طريق الاستماع وهي رقصة خاصة بالطبقات المرموقة في المجتمع ولا تؤدَى للجميع ، وهي لا تختلف عن رقصة الزربادي الرجالية في الإيقاع والأداء، بيد أن واحدة منهن تعمل بعض الحركات الموحية بالجان ، وتتكلم بلهجة فيها خليط من لهجة بادية الشحر ، ثم تطلب ماء أو غير ذلك لتعود إلى صوابها.

٢ـ٤ـ٣ـ آلات الطرب:

تستخدم آلات الطرب في الشحر قديماً على أنواع منها: الإيقاعية كالهاجر والمرواس والدف في الشروحات المناسباتية كالزواج ، والطار

في الابتهالات والأناشيد الدينية. واستخدامها مشترك بين الرجال والنساء. كما تستخدم الآلات الوترية كالقنبوس والسمسمية والعود والكمان. والنفخية كالمدروف والمزمار ، وهذه الآلات خاصة بالرجال. وقال المحضار ذاكراً بعض آلات الطرب:

محلا خيوط الوتر نطعم لها طعم حالي
عا صوات الغناء طاب الجـــنا[٢٠١]

وقال أيضاً: لا دقــوا على القنبــوس والمرواس والهاجر
ومن جاء عندنا ما هو كما الزعلان والهاجر[٢٠٢]

ومنها قوله: ويشبــح الهاجـــر بغى له ديم زين
هو ويا مراويسه سأل مدهش فيين
شفهن بهن شرغــة بغن با يفقعين
الشرح يحـلا لا قد الهاجر حنين[٢٠٣]

ومنها قوله:

وصاحب المدروف في مدروفه دائم مخلي رقبته معطوفـــه
يسلّي الحضّـــار يومه ســـالي ما با نسيبك يا التراث الغالي

ومنها قوله: قال بو محضـــار قدني من قديم الوقت سالي
لا سمعت العود دمع العين فوق الخد ســال

الفصل الرابع

التراث الشعبي البحري

١ـ٤ـ وشارة السفن الشراعية :

انقرضت السفن الشراعية ولم يعرف عن أجزائها إلا القلة القليلة من البحارة، وفي السفن الشراعية جزء مهم من التراث البحري لمدينة الشحر ، كونها المدينة التي تقع على ساحل البحر العربي ، واشتغل أكثر سكانها في البحر ، وبها نفر كثير ممن عمل كنوخذة بالسفن وجزوة بها ، وبانقراضها انقرض الكثير من مسميات الأجزاء بها ، وأصبح عبئاً على الأجيال الحالية استنهاضه نظراً لتطور صناعة السفن الآلية والاستغناء عن الشراع. لكن المحضار أبى إلا أن يظهر هذا التراث البحري في أشعاره ويستنطقه لحناً ليدونه للأجيال الحالية واللاحقة ممن يردد أشعاره وأغانيه.

وعندما نقرأ قصائد السيد حسين المحضار التي تتحدث عن السفن الشراعية وأهوال البحار ، يترسخ في الذهن بأنه عمل نوخذة في إحداها ـ وهو ليس كذلك ـ فنراه ذا خبرة في صناعة السفن وأجزائها ذاكراً منها الكثير والتي قد يجهلها أحد البحارة فيها ، فما بالك بمن لا يعرف عن البحر شيئاً ، وهذا ما يربط شعر المحضار بالتراث البحري جاعلاً منه قاموساً يعتمد عليه. ولهذا نرى أن الأغنية عندما تخرج من الشاعر الكبير حسين المحضار إلى المستمع يذهب بعض المهتمين في الاستفسار عن بعض المفردات التي تتعلق بالسفن لجهل الكثير بها ، فيجد الجواب عند أقدم البحارة الذين عملوا في السفن الشراعية المنقرضة ، بينما تبقى هذه المفردات تتداول

دون المعرفة الكاملة بها من قبل الآخرين وهم الكثرة وكل منهم يفسر هذه المفردات حسب ما يقتضيه الموقف.

ونحن هنا لا نتحدث عن مغزى القصائد وتفسيرها ، بقدر ما نأخذ منها ما تعلق بالتراث البحري من مفردات قد عفا الدهر عليها بتطور الصناعة وإدخال الآلة عليها.

قال المحضار:

وشرناها من الشـــــــتري إلى الشلمان
وصبحت جاحبـــة عا يـد بن سيفان
نواخيــذ السفتـــاين ما عليــهم مـان
ولا في صـــــاحب الديـــرة أمانــة
عسى بحر الهـــــوى بعد الزعل يهدأ
ويرجـــع كل غايــب لا وطانــه[٢٠٤]

وهنا بدأ المحضار أول ما بدأ في قصيدته البحرية عن وشارة السفن وكيفية صناعتها التقليدية القديمة بقطعتي الشتري والشلمان كأساس للصناعة ، ولهذا يؤكد المحضار كما يؤكد صانعو السفن على وجود أقوى الأخشاب والتي لا تتأثر بالصخر والماء ، فإن لم تكن موجودة محلياً استوردت من خارج البلاد ، ولكن ما معنى هاتين القطعتين المتعارف عليهما عند البحارة وبنّائي السفن؟

لكننا قبل الحديث عما جاء في أول القصيدة ، ننزل إلى أسفل السفينة لمعرفة بعض القطع التي تأتي تحت الشتري حتى يكتمل الفهم نوعاً ما ، ومن أهم القطع التي ذكرها السيد المحضار في قصيدة أخرى بعنوان الحب أسرار (الشلمان والبندار)

والتي قال فيها:

بحرك زعـل ما شفـت شي منّـه شـوار
ما طقت لا حاولت أقطع فيه مشواري
فلكي تعب عقلي كمـا المجنون صـار
مرت علي مـدة ونا بين الغبب صاري
صـاري كـذا من غـير ديرة
خايـف أجي فـوق الجزيرة
يا حافـظ الشلمـان والبندار
الحـب أسـرار[٢٠٥]

وقال:

دخلنا بالسفن لمـا كلم لكننـا عدنـا
وكالفنا المتاعـب يوم نحـن ما تزودنا
ولكن سلم الله يوم ماشي خرق في البندار[٢٠٦]

وهنا نتعرف على معنى البندار وبعض المفردات المذكورة من القاموس البحري للملاح بدر بن أحمد الكسادي وهي التي وردت في شعر المحضار ، ثم نتحدث عمّا جاء في القصيدة التي بدأنا بها هذا المبحث سابقاً.

فالبندار مكان يقع فوق الخيس ، (والخيس مكان يقع في أسفل مؤخرة السفينة في الداخل وهذا المكان يستعمل لأدوات البحارة ، وبعض أدوات السفينة المنقولة) وبالمقابل يسطح هذا المكان (الخيس) ويسمى الطابق الثاني منه بالبندار ، ويستعمل لأدوات النواخيذ والبحارة وأحياناً يستعمل لأدوات الركاب وعوائل الركاب

المسافرين في السفينة ويعتبر البندار غرفة من غرف السفينة.

والشتري هو مكان مسطح بالخشب يقع فوق البندار ويعتبر الطابق الثالث في مؤخرة السفينة ، وهو سقف البندار من أعلى ، ومساحة الشتري تقع على كامل عرض السفينة في المؤخرة وعلى طول البندار ، وهو مقر قيادة السفينة ، وهو المكان الذي توضع فيه أدوات النواخيذ والمسؤولين بقيادة السفينة من ناخوذة وصرنج وسكوني ووكيل وربان ومعلم وكاتب وغيرهم.[٢٠٧] أما الشلمان وهو من أهم أجزاء السفينة وأساسياتها ، وعلى الشلمان تتوقف بناية السفينة صغرت أم كبرت ، وحجم الشلمان في الحقيقة هو حجم السفينة.

والشلمان كلمة تطلق على نوع خاص من الأخشاب لبناء السفن تستخرج من أشجار العلوب والميطي والسرح ، وكل هذه الأخشاب تستورد من الخارج وبالذات من أفريقيا والصومال ، وبعضها محلي كأشجار العلوب. فهذا النوع من الخشب خاص لبناية السفن ويقال له (شلمان). وينقسم إلى ثلاثة أقسام: (حلاقيم أو هداريس ـ شلمان أو عطوف ـ سيّاليّات).[٢٠٨]

أما بالنسبة للتقديم والتأخير في مفردات أجزاء صناعة السفينة الشراعية في القصيدة فلا دخل له في صناعتها الشعرية ، ويتوقف ذلك على تقييد الشاعر ببحور الشعر وموازينه لا ببحار السفينة نفسها ، ولذلك استوجب التقديم والتأخير ، لأن الشاعر هنا لا يتحدث قطعاً عن صناعة سفينة ، وإنما مجرد كنايات وأوصاف في بحر الهوى المقصور وليس في بحر الهواء الممدود لإنهاء الزعل. وربما كان الشاعر المحضار قد كتب قصيدته هكذا: (وشرناها إلى الشتري من الشلمان) بتقديم إلى على من ، وكان التحريف في التقديم والتأخير قد جاء من قبل الفنان ـ ومثل ذلك كثير

ـ فليس ما يمنع ذلك طالما أن المحضار خبير ومطلع على صناعة السفن ووشارتها. فقد استهل أوبريت (مآثر من حضرموت) بقوله: (سلام للهاجس من الحليلة ...) . فقد قدّم اللام على من. ولم يفسد المعنى.

وقد لا يكون للتقديم والتأخير في مطلع القصيدة وما بعده أية دلالة معنوية وإنما يتعلق بشيء ما في نفس الشاعر عاكس به المألوف ، وأنه تعمد مقصود من الشاعر المحضار في وشارة سفينته الخاصة به وفي إبحارها فليس ما يمنع ذلك ، لأننا إذا تأملنا في القصيدة بشكل عام نجدها مغايرة تماماً للواقع ، فالوشارة في القصيدة من الشتري إلى الشلمان ، وجحوبها على يد النوخذة الخبير بن سيفان ، وعدم أمانة النواخيذ وصاحب الديرة ، وفي البيت الثاني البحرية الغشمان وقص الدقل قبل الطوفان ، ورسوها بالغصب رغم وجود الماء فيها ، أضف إلى ذلك ما تبعه من تهليب وصيانة وكل ذلك والسفينة في عرض البحر. فأي إبحار ستهتدي إليه السفينة وهي بهذا الوصف؟ وأية نجاة تحفظها من الطوفان وهي بهذه الحالة من المغايرة؟ والتغاير من ألوان الجمال الفني في اللغة العربية يراد به تحسين القبيح وتقبيح الحسن ، ولكننا هنا لا ننجر وراء التحليل الأدبي كي لا يبعدنا عن مضمون البحث ولهذا مجاله الخاص به.

ومن الأجزاء المهمة في صناعة السفن الشراعية التي ذكر المحضار مفرداتها في أشعاره قوله في القصيدة السابقة:

قصـــــر به الجوش من بحريته غشمان
يقصـون الدقـل من قبـل شي طوفـان
بغوها غصـــب تمخر في غبب سيـلان

وهي قدهـــا من الطرشـــة ملانـــــه
عسى بحر الهوى بعد الزعـــل يهدأ
ويرجـــع كل غايـــــب لا وطانـــه

ونحن نتحدث عن الوشارة فالشاهد هنا كلمة الدقل ، وهو قطعة من الخشب الصلب ويختار من نوع خاص من الأخشاب التي يسمونها (فن) أو (براهيمي) يستورد من الهند. والدقل هو العود الذي يشمر عليه شراع السفينة ، ويؤخذ على أساس مقاييس معروفة بواسطة معالمة السفن أو بنائي السفن ، فهم الذين يختارون الدقل في طوله وحجمه ونوعه.[٢٠٩] كما يذكر المحضار كلمة الخن في الكثير من أشعاره ففي أغنية ونا سالم قال:

عدّى زمان القادري والصـرك عدّى زمـان الليـف والكمبـار
وتنبهـــوا يا قابضيـــن الدرك شي ذا مراكـــب طارحات كبار
والموج يا ستار ..... بين الخن والقارب يلاطم
ونا سالم بعون الله والجـــزوة ومال النـــاس سالم

وقال في أغنية ربع قرن:

منذ ربـــع قرن يـــا ربـــان السفينـــة
والريـــح لك ينقلـــب عا كمـين عينة
حـــافظ على الخـــن يا حافظ عالمكينة
والخن وسطه ذهب وجواهر ومرجان
آن الأوان الآن تقبض دفة السكان إلى حيت الأمان

والخن هو المكان الذي يوضع فيه حمل السفينة.[٢١٠] ومن الأجزاء المهمة في بناء

السفن الشراعية الهيراب ، وهو اسم قطعة من خشب الساج أو الفيني ويستورد من الهند ، وهو نوع خاص من الأخشاب القوية التي تتحمل الصدمات أكثر من غيرها ولا تتأثر بالماء ومكوثها فيه. والهيراب هو القاعدة الأساسية لبناء السفينة ، وهي القطعة الأولى التي تبنى عليها السفينة.[٢١١] ومما يجدر قوله ، أن هذه الأخشاب تطلى بمادة الصيفة وهي مادة دهنية من زيت الأسماك تطلي بها السفينة من الداخل والخارج لتكسب أخشاب السفينة القوة وتمنع تسرب الماء.

وهكذا وصف لنا المحضار وشارة السفن ودلنا على أجزائها حتى اكتملت. ومما قاله في جديد الوشارة هذه الأبيات:

جديد الوشـــــارة قالوا توصّل في الميناء
وجـــات البشارة والله حقـــق أمانينا
عسى في خنونه للناس شي زين يومـه زين
عسى الله يعين الربـــان في غبـــة البحريـن[٢١٢]

٢ـ٤ـ طاقم السفن الشراعية:

قال المحضار:

نا نوخذة فيهـــــــا ونا قبطن وسكوني
ساعة على الديره وساعة نقبض السكان
بحر الهوى ما عسره له زعبه وله تهديد
دايم زعل ما هو كما النهر الذي عند النبي هود[٢١٣]

وقال أيضاً:

مول الدرك منتبه قط ما تنام عينه ينظـــر إلى البر هو وجبالـــه وطينـــه
لا بـان با تبـــان له أعلام المدينـه هذا المنى والطلب هذا القصد والشأن
آن الأوان الآن تقبض دفة السكان إلى حيت الأمان[٢١٤]

ولكننا حتى لا نكرر نسخ الأبيات السابقة للحديث عن طاقم السفينة نأخذ فقط المفردات التي تتطلب التعليق عليها وهي المجموعة في لفظة الجزوة بقوله:

(ونا سالم بعون الله والجزوة ومال الناس سالم)

الجزوة: ومعناها عمال السفينة أو بحارة السفينة والمسؤولين عليها وكل هؤلاء لهم ألقابهم المتعارف عليها ، تلك الألقاب التي بموجبها تحدد المسؤولية على كل واحد منهم ، الناخوذة ـ الصرنج ـ الوكيل ـ السكوني ـ الكراني ـ مقدم قدام ـ البحارين ـ صغايرة درك ـ الطحان ـ المعلم ـ الربان ـ وصغير قرص.

والناخوذة أو النوخذة هو لقب لقائد السفينة ومسؤولها الأول ، وأكثرهم خبرة بشؤون البحر وقوانينه ، ومعرفة في إدارة تسيير السفينة ، ولا يعطى إلا لشخص من ذوي الخبرة بشؤون البحر وممن مارس أسفار البحر في السفن ، والعمال الذين معه يسمونهم جزوة السفينة وبحارتها ، وكلهم بألقابهم ومسؤولياتهم كما ذكرنا ، حيث ينتهي النوخذة من استئجار الجزوة أي العمال في شهر يوليو ليبدأ العمل في شهر أغسطس من كل سنة بحرية.

الصرنج: ويعتبر في الدرجة الثانية بعد الناخوذة وهو المسؤول بتسيير السفينة في عرض البحار ويكون ذا خبرة في البحر وفي مزاولة أعمال السفن في البحر وله خبرة في الموانئ وأجزاء السفينة الثابتة والمنقولة.

الوكيل: وهو الشخص المسؤول عن ميرة وتموينات السفينة الغذائية ، أي مسؤول

عن كل ما يتعلق بالماء والغذاء وحطب الوقيد وأدوات الطبخ ، وعليه تقدير ووضع المقاييس والمصاريف اليومية وجميع مفاتيح الراشن[٢١٥] تكون بيده.

السكوني: وهو الشخص الذي يتولى دفة السفينة في سيرها ويكون ذا خبرة ومعرفة بالديرة أي البوصلة البحرية ويستحق هذا اللقب عن جدارة. وللسفن الكبيرة سكونيان اثنان يتبادلان تسيير دفة السفينة ليلاً ونهاراً.

الكراني: وهو كاتب السفينة ومسؤول عن سجلاتها في الشحن والتفريغ وحاصلاتها وصرفياتها من قروض وديون لهم وعليهم وأجور وإصلاحات للسفينة وأدواتها وتسجيل تحركات السفينة في السفر تحت إرشاد وتوجيه وإشراف الناخوذة.

مقدّم قدّام: وهذا اللقب يطلق على أحد البحارة في السفينة ويعطى لمن تتوفر فيه الخبرة بأجزاء السفينة وقد مرت عليه فترة في أعمال البحر ولديه قوة شخصية وكلمته مسموعة لدى البحارة ويتصف بالأمانة والتعقل ، وتتحدد مسؤوليته على جميع أدوات السفينة الخاصة بالجزء الأمامي أي مقدمة السفينة من أدوات تتعلق بالطرح ـ رسو السفينة ـ من حبال وبراوصة وغيرها كما يكون مسؤولاً عن كل الأوامر التي تصدر من الناخوذة والصرنج والسكوني والوكيل لتوصيلها إلى البحارة.

البحارين: وهم بحّارو السفينة وواحدهم بحّار ، ولكل سفينة عدد منهم يتوقف على كبر السفينة وصغرها ، وهم مسؤولون عن العمل داخل السفينة بالشحن والتفريغ وسير السفينة وإقامتها في الموانئ وحراستها في أثناء الإقامة ، ومعاملة الركاب والضيوف معاملة حسنة ، وهم يتلقون أوامرهم ممن ذكرناهم سلفاً.

صغايرة درك: وهو لقب للطباخين في السفينة ، وعملهم الطبخ لجميع من هم

في السفينة من بحارة ومسؤولين وعليهم توزيعه في أوقات محددة ويتلقون أوامرهم من الوكيل.

الطحان: وهو أحد عمال السفينة وعمله داخل السفينة هو طحن حبوب الذرة وتسليمها للصغايرة المسؤولين عن الطبخ ويكون الطحن بالطريقة التقليدية من خلال المرها والعالي، ولا يجوز تشغيله في عمل آخر، وله مكان خاص به يجلس فيه ويطحن في مقدمة السفينة يسمى (القراعة).

فكل ما ذكرناه سلفاً من ألقاب هي لعمال ثابتين في السفينة يسمونهم جزوة. ولكن هناك عمال آخرون لهم ألقاب وأسماء أخرى غير ثابتة ويعملون لفترة محددة وهم:

المعلم: وهو الشخص الذي له خبرة ومعرفة تامة في شؤون الفلك والخرائط البحرية والقياس ومعرفة بقياس خط السير في الطول والعرض والزاوية وخبرة في البحر في المد والجزر والرياح ومعرفة البوصلة البحرية وعارفاً بأجزاء السفينة وأدواتها ومعرفة إدارية وفنية بالسفينة بحيث قد عمل كناخوذة ثابت.

الربان: هو الشخص الذي له خبرة ومعرفة بالموانى وأعماقها والدخول بالسفن إليها والخروج منها وله معرفة بالجبال والجزر وله معرفة بالبرور وأماكن ماء الشرب وحطب الوقيد فيها وله خبرة بالخلجان ومداخلها ومعرفة بالبوصلة البحرية ويكون قد عمل كناخوذة لفترة من حياته وله معرفة بالسفينة وأجزائها وأدواتها.

صغير قرص: وجمعه صغايرة قرص وهم من عمال السفينة ويعملون بدون أجرة ما عدا قوتهم اليومي، وأعمارهؤلاء لا تتجاوز الثامنة والعاشرة وهم عادة يسافرون في السفن مع ذويهم وأقاربهم وتتحدد مسؤوليتهم في تقديم ماء الشرب للبحارة والمسؤولين وغيرهم من المسافرين في السفينة.[٢١٦]

٣-٤-حركة السفن الشراعية:

١-٣-٤-بعض المصطلحات في الحركة والرسو:

قال المحضار:

وشرناها من الشـــــتري إلى الشلمان
وصبحت جاحبـــة عا يـد بن سيفان
نواخيــذ السفـاين ما عليـــــهم مـان
ولا في صـــــاحب الديـــــرة أمانـــة
عسى بحر الهوى بعد الزعـــــل يهدأ
ويرجـــــع كل غايـــب لا وطانـــه

من خلال ما ورد في البيت السابق نبين حركة السفن الشراعية وجحبها لغرض الصيانة، وهذه الألفاظ لن تأتي إلا من شاعر متمكن ومطلع على السفن وحركتها الملاحية.

الجاحبة ومعناها خروجها من البحر إلى البر لصيانتها وإزالة الأعشاب العالقة بقاعها من الخارج ، وتفقد الأخشاب ، وسد ما يحصل من ثقوب صغيرة بين الأخشاب بواسطة القلفاط أو القلفطة.(٢١٧)

وقال المحضار في القصيدة نفسها:

أنا عارف شروط الجوش والديمـان
وعـارف إن كل موجـــة لهـــا دفـان
ولا هلـــب إذا مـا شفـت بر لي بان
نـــــدوّر عـا مكاييـــن الصيانـــه
عسى بحر الهوى بعد الزعل يهدأ

ويرجـــع كل غايـــب لا وطانـــه

درست العشق بحري قبل قع ربان

وبحر العشق مثل البحر لـه وديان

وحد يدخل يجيب اللول والمرجـان

وحـــد ما جـــاب حبـــة في ثبانـــه

عسى بحر الهوى بعد الزعل يهدأ

ويرجـــع كل غايـــب لا وطانـــه

الديمان: اسم حبل من الحبال القوية قطره لا يقل عن ثلاثة إنش ويتكون من قطعتين تربطان في الطرف الأخير من حبل الداسية بأسفل الشراع وهاتان القطعتان من حبل الديمان يسمونهما (الديامين). لقول المحضار: (كلما رخيت شديت الديامين .. ذلا ذا الحين)

الجوش: اسم حبل قوي لا يختلف عن حبل الديمان في الحجم والقوة ذو ردفين

الطرشة: ماء البحر الذي يدخل إلى السفينة من جوانبها عندما تكون سائرة وهناك ارتفاع في موج البحر ، فتصدم الأمواج جنب السفينة أو مقدمتها ، ومن قوة اصطدام الأمواج بجسم السفينة يرتفع الماء ثم يدخل داخل السفينة ويقال له طرشة.[٢١٨] وقصيدة المحضار البحرية الجميلة لم تكن قصيدة عادية ولكن بها قواعد أساسية للتعامل مع السفن الشراعية ، ولهذا كانت خصوصيتها في ألفاظها البحرية.

وحتى نلم بحركة السفينة في البحر ، نرى المحضار وقد استخدم ألفاظ أخرى تؤكد حركتها حيث قال:

عدى زمان القادري والصرك عدى زمان الليف والكمبار

القادري والصرك هما أسما سفينتين ونحن هنا نؤكد أننا لسنا بصدد شرح القصيدة ولكننا فقط نتعرف على الألفاظ البحرية المستخدمة فيها. ولنأخذ لفظة عدّى ، وهذه الكلمة تقال للسفينة التي تمر في طريقها وبعض السفن سائرة في الجهة نفسها فالسفينة التي تمر عليهم يقولون عدّت أو عدّى ويقال على السفينة التي تمر على إحدى الموانئ وكان يحظر دخولها إليه ولكنها مرت: عدّت أي مرت.[٢١٩] أما لفظتا الليف والكمبار فتمثلان نوعاً ضعيفاً من الحبال. وإن كان البعض يفسر لفظة (عدّى) في جملة عدّى زمان القادري والصرك في القصيدة بمعنى انتهى ولا وجود له يذكر كتفسير مبتور عما بعده ، ولكننا إذا تأملنا القصيدة نرى غير ذلك لما يفسره الكلام اللاحق فيها من تنبيه الدرك من الموج المتلاطم خوفاً على البشر والمال ، وهذا فعلاً ما يؤكد مزاولة إبحار السفينة وقد عدت من الميناء مع وجود مراكب كبار. وقد أكد المحضار في آخر القصيدة على الإبحار إلى أن انتهى المشوار والخروج من البحر الظالم سالمين رغم العواصف والأمطار.

وقال المحضار في قصيدة الطوفان:

(من دخل في بحر ما بلّد وقايس قياسه شله الطوفان) وهي شلة القصيدة التي تمثل الحكمة من دخول البحر بدون قياس وخبرة.

وهنا نتعرف على لفظة (بلّد) حيث تصدر هذه الكلمة بصوت مرتفع من الصرنج في مؤخرة السفينة (والصرنج يعتبر في الدرجة الثانية بعد الناخوذة) وعند سماعها يقوم أحد البحارة برمي البُلْد إلى قاع البحر ثم يرفعها فيعرف منها عمق البحر الذي تسير فيه السفينة ، ويستمر يرمي البلد ويرفعه ويحسب المقاسات عدة مرات، وفي كل مرة يعطي النتائج للصرنج والسفينة لا تزال سائرة إلى جهة الميناء حتى

يقتنع الصرنج ويعرف العمق المطلوب ويعرف العمق الذي تسير فيه السفينة فيأمر الصرنج بإيقاف عملية البلد فترة ثم يعود وهكذا.[٢٢٠]

وبالعودة إلى قصيدة (بحر الهوى) وما احتوته من مفردات بحرية تدل على حركة السفينة الشراعية ، لنأتي على لفظة (هلّب) ومعناها أنزل الشراع من رأس الدقل ويقال السفينة هلبت شراعها أي أنزلت شراعها.

قال المحضار:

ما نا على حـد منّهم عالــة نعرف نكـوّرها إذا قد نسنس العولي

عالريح نمشـي ما نبا الآلة والبحر بحر الله ما با قــول لـه أولي

لكن بسلم من وقف سكروب وقبع وال

باب الزعل مقفول ما بيني وبينك لا تخلي شي يقع بالبال[٢٢١]

والسفن الشراعية تحتاج إلى الرياح لتسييرها ، وللرياح في البحر مسميات منها ما تم ذكره في البيت السابق: العَوْلي وهي ريح تهب في فصل الخريف ، وتهب ليلاً من الشمال إلى الجنوب ، وقوتها تأتي من الشمال الشرقي ، وتبدأ من الساعة الثامنة ليلاً وتستمر حتى الصباح خاصة في فصل الصيف وهي تساعد السفن على السفر ليلاً لقطع المسافات القصيرة .

وقال المحضار من قصيدة الحب أسرار:

بحرك زعل ما شفت شي منّه شــــوار

ما طقت لا حاولت أقطع فيه مشواري

فلكي تعب عقلي كما المجنون صــــار

مرت علي مدة ونا بين الغبــب صاري

شوار وتعني زيادة هدوء البحر والرياح .والصاري تطلق على السفينة السائرة في البحر وعلى السفن السائرة (صوار). أما الصابية فتعني التائهة وهذا يحصل عندما تكون السفينة راسية في الميناء ثم ينقطع حبل البروصي فتصبح سائرة بواسطة تيار البحر على غير هدى.

٤.٣.٢.التجاهيز:

وتعني تجهيز السفينة وطاقمها وما يحتاجونه من المعدات والمؤن الغذائية وغيرها تمهيداً للعمل بداية الموسم ، وتأتي القرضة في هذا الوقت بالذات كعامل من عوامل انتقال البحارة وبقية أفراد الطاقم من سفينة إلى أخرى.[٢٢٢] ومن يرغب في الانتقال عليه دفع ما عليه من قرضة في مدة لا تتجاوز نصف شهر من بداية التجاهيز ، ومن لم يستطع الدفع يتعهد له مالك السفينة المنقول إليها للمالك السابق ويقسط عليه (ساير) يعني خصم نصف أو ربع سهم من أسهمه بحسب الاتفاق.

٤.٣.٣.التكوير:

ومعناها سحب السفينة من المجحب على الشاطئ إلى البحر ، في بداية موسم العمل ، وخلال ذلك تنشد بعض الأغاني والأهازيج الحماسية التي تنشط هممهم. وبعدها تتجه السفينة حسب مقصدها. وللمحضار قول على التكوير:

ما نا على حـــــــــــــد منهم عالة
نعرف نكـــــورها إذا قد نسنس العولي
عالريح نمشـــــــــــــي ما نبا الآلة
والبحر بحـــــــــر الله ما با قول له أولي
لكن بسلم من وقف سكروب وقبع وال

٤.٣.٤. عودة السفن الشراعية:

سفر السفن وعودتها يكون في أوقات معروفة، ولكن قد تتأخر السفن عن ميعادها لأسباب خاصة بالسفينة وحمولتها وتموينها أو بسبب رياح وعواصف، وهذه من معوقات عودتها وتأخر وصولها إلى بلدها. ولذلك تمارس بعض الطقوس من قبل نساء البحارة وجيرانهم أو من قبل البحارة أنفسهم أحياناً بما يسمى بالتجلوب.

والتجلوب: هو نوع من الابتهال والدعاء بالعودة للمسافر من أهل السفن في البحار حيث يتجمعن نساء الحارة من أقارب وعائلات بحارة السفن أو السفينة الغائبة ليلاً قرابة الساعة التاسعة ويحضرن معهن الطبول ويجلسن على الأرض يغنين بأصوات شجية ويضربن الطبول ويستمر الغناء بأصوات محزنة ويأتين بأبيات من الشعر ابتهالاً إلى الله بعودة الغائب وأن يجلب لهن السفن أو السفينة ومن فيها بسرعة، ويستمر هذا التجلوب عدة ليالي من الساعة التاسعة حتى الساعة الثانية عشر منتصف الليل حتى تصل السفينة المتأخرة.[٢٢٣]

وحتى بحارة السفن المتأخرة أحياناً يقومون بالتجلوب داخل سفينتهم وهي سائرة في البحر ويحضرون الطبول والدفوف ويغنون ويدعون الله أن يسهّل عليهم سفرهم. ومن أشهر تجلوبهم:

يا الله مع الصـــاري قربوا له المراسي يا جليبوه
سلوا مع الصاري يا الله مع الصاري يا جليبوه

٤.٤. بعض أسماء الأسماك:

قال المحضار ذاكراً سمك الثمد والزينوب:

رميت قطبي ولا قصدي سوى صرعة
وقضـــــــــيت ليلي عناء وصراع
لا جات شلوا العسل كله مع شمعه
تدروا بطبعـــي
ما نا طمع في الثمد لا تحصّل الزينوب[٢٢٤]

تنقسم الأسماك والأحياء البحرية إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: **الأسماك** ومنها العظمية كالتونا (الثمد) والديرك والهامور وغيرها، والغضروفية كسمك القرش (اللخم) وأبو سفن.

ثانياً: **الرخويات** منها الحبار كالعزيز والحبار الرفيع (ياريكا) والأخطبوط والأصداف والقواقع والمحار وغيرها.

ثالثاً: **القشريات** ومنها الشروخ الصخري وشروخ الأعماق والربيان وأبو مقص وغيرها.

ويعتبر سمك التونا (الثمد) من أجود أنواع الأسماك شحرياً على الإطلاق، وأكثر الأسماك الحمراء إقبالاً من قبل المواطنين مع سمك الزينوب والشروي، ويليه الأسماك البيضاء كالديرك والهامور وغيرها. وأهالي الشحر يتفننون في حفظ الثمد والزينوب، منهم من يجعله حنيذاً وذلك بعرضه لحرارة الشمس للتجفيف بعد طبخه مقطعاً أو دهره في التنور، ومنهم من يجعله مالحاً وهي العملية التي يتم فيها شقه وتصفية أحشائه ثم يملح داخل وعاء (علبة صفيح كبيرة أو كما يطلق عليها في الشحر تنكة) إن كان قليلاً ويحفظ لمدة أربعين يوماً تقريباً ثم يؤكل مع الغذاء، وإن كثر فيملح في الفنطاس[٢٢٥] بالطريقة نفسها. أما الديرك (الطرناك) فيعملون منه المالح والبغزيز وذلك بعد شقه وتصفيته حيث يملح ويعرض المملوح للشمس

ثم يرص فوق بعض ، ويقال للبغزيز عند بعضهم (مطبوق). كما يهتم الشحارية بسمك القرش ويسمونه (لخم) ، ويستحسن أكله مجففاً ويؤكل طازجاً أيضاً. كما ذكر المحضار في أول البيت سمكة الصرعة وهي من الأسماك المشهورة في الشحر ويسمونها هي وأخواتها صيد القشار. ونشير هنا إلى أن بحر الشحر غني بأجود أنواع الأسماك المتنوعة ، الصغيرة منها والكبيرة.

أما أحشاء هذه الأسماك فتطهى ، ثم تقلب بالفلفل الأحمر (البسباس) أو بالشطة، وتؤكل هكذا ويسمونها (كراش) ولها روادها ومحبوها وآكلوها. والمحضار قد ذكر الكثير من هذه الأسماك في أشعاره والمعمول منها كالحنيذ والمالح مثلاً ، وقد خصص عمل كامل ومستقل لها. وهذا قوله في المالح:

الرز ما يسـأل عليـه أزمان جم
البار عالقهوة تصم الرأس صم
والمالح أول ما نجيبــه واللخـم
والجبن ما نعرفه هو والساردين[٢٢٦]

ويقصد المحضار بالساردين العيد المعلبة وليست الطازجة، والعيد هي نفسها الساردين.

وهناك ما يطلق عليه موسم (الجريف) وأغلب ما يجرفه أو يصطاده من الأسماك السردين وهو ما يطلق عليه محلياً (العيد) ، وهو يجفف على الشاطئ الرملي من ساحل البحر في الشمس، وبعد تجفيفه تجمع في شوالات (جواني)، ويطلق عليه اسم (وزيف)، ويستهلك أغلبه محلياً كسماد للزراعة أو بعض أعلاف الجمال والبقر والأغنام.[٢٢٧]

الباب الثاني

التراث الشعبي الريفي والبدوي والمشترك



الفصل الأول

التراث الشعبي الريفي

١ـ١ـ التراث الزراعي:

قال المحضار:

ما شي معك في الزراعة مثل ذاك الوقت عشقة
با تلقي إلا ثمـــــــــر لا انته مـــحب عاشق
ساكت تشوف البهايم في العمل بعدك تدحّق
نا جيت داحق
شفت الدباديب والدود[٢٢٨]

أخذ التراث الزراعي من الشاعر حسين المحضار نصيباً وافراً من المساحة الشعرية له ، فقاموس المحضار الزراعي كبير جداً إذا ما قورن بقاموس أي شاعر آخر عاصره، ربما بحكم احتكاكه بالمزارعين كون مصيفه قرية الواسط ، وأكثر من ذلك اختلاطه بالمشترحين في رقصة الهبيش الريفية ، فهو على دراية واسعة بالزراعة ومصطلحاتها وأدواتها وقوانينها ومواسم الإنبات. ولعل قاموس المحضار الزراعي قد أستخدم في محله بل وتوسع في استخدام ألفاظه ليسقطها على المجالات الأخرى. ويعد المحضار الشاعر الحضرمي الأول في جلسات دان الهبيش (الساحلي) بما اكتسبه من خصوصية لغوية في المجال الزراعي ولا جدال في ذلك.

وحتى البيت السابق بما احتواه من أسلوب وصفي قد لا يمت للزراعة الحقيقية

بصلة ، ففيه من المجاز ما فيه لما ساقه إليه الشاعر ثابت السعدي في بيته السابق عليه ، مما جعل الشاعر المحضار يرد عليه زراعياً بمثل ما كان يهدف الشاعر السعدي بسبب عجزه الزراعي وسناوته على البئر أسبوعين في ظلام الليل. فالمحضار هنا لا يقصد الزراعة قصد الزراعة ولكن البيت السابق ألزمه بالجواب الزراعي ، وحتى الألفاظ في هذا البيت بلهجة المزارعين مثلاً (با تلقي ثمر يعني ستنتج بالمحاصيل) و(البهائم تدحّق ويقصد بها مشي الحيوانات من الضأن والماعز والجمال في الأرض المزروعة وهي التي تنفش في الزرع وتأكل من غير هدى وتفسد ثماره) و(لفظة العمل ويعني بها نبات الذرة خاصة قبل خروجه بالسبول ـ السنابل ـ إضافة إلى نبتات الحبوب الأخرى كالدخن والمسيبلي وغيرها) و(جيت داحق بمعنى جئت بنفسي مشياً على الأقدام). فليعذرني القارئ لخروجي في هذه الجزئية لشرح بعض الألفاظ ليس لشيء وإنما لإظهار ثقافة المحضار الزراعية كوني أتحدث عنه وارتباطه بالتراث الزراعي.

١ـ١ـ١ـ تقسيمات الأرض المزروعة وبعض المصطلحات:

قال المحضار:

طالبت بارقعـــــــــان مالي
قال لي ما بيننا عاد ما حد قسم
ساعة وضيـــــــــــعنا
وشل المطيرة علي والعتم والسوم[٢٢٩]

تميز المحضار عن غيره من الشعراء الشعبيين بمعرفة تقسيمات الأرض الزراعية وكأنه مزارع يحرث الأرض ويقسمها إلى مستطيلات ومربعات صغيرة تسمى زراعياً

بالمطيرة وتجمع على (مُطُر) ، والمطيرة تعتبر أصغر الوحدات المزروعة عند المزارعين في المزارع الواقعة في أرياف الشحر ، ويكون متوسط أبعادها بين ٢×٣ متر بين زيادة ونقصان ، ويفصل بين كل مطيرة والأخرى حاجز صغير يسمى (سوم المطيرة) وفي أحد جوانبها فتحة صغير للسقي تسمى (سقيع) تتفرع من أحدى السواقي الفرعية التي هي بدورها تتفرع من ساقية رئيسية تسمى (ساقية البو). وهنا ننقل هذا البيت من شعر المسجلات لدان الهبيش قوله:

السوم عاده معك والمطـــــيرة
والمعايين تجري ساهرة كل ليلة
لا انته عاشـــــــــــق سرح
وإن ما معك عشق في الأرض معنا البديل[٢٣٠]

أما الأرض المزروعة بالأشجار المعمرة والمثمرة وهي مسورة تسمى (حيط) ويكون الحيط مميز داخل الأرض ليس للحفاظ على الثمر فحسب ولكن إضافة إلى ذلك يكون للراحة ولتناول الغذاء فيه والنزهة أيضاً لكثرة الظل فيه نتيجة تشابك أغصان الأشجار الكبيرة. وقد تتساوى أسوام المُطر فيه بمستوى الأرض بسبب المرور فوقها باستمرار لجني الثمار والدخول فيه للراحة. أما بالنسبة للسور فغالباً ما يكون من جذوع النخيل وبعض الأشجار وتسمى (ركائز) وتفرد على (ركيزة)، وبين كل ركيزة وأخرى مجموعة من سعف النخيل المترابط ببعضه ويسمى زراعياً بـ (السِرِّة). ومن المفيد أن تعلم أن سَعفة النخلة بعد يباسها تسمى (قصم) وجمعها قصام وعودها يسمى (جزم) وطرفها الكبير الحجم يسمى (كربة) ، ولم يغفل كل ذلك الشاعر المحضار في أشعاره. فقال عن الحيط:

الأغصان في الحيـــــــــط تتشابك

بخت يا من دق في غصـــــن ضيرة

قل لهم الحيـــط لا يلعب به صبي

من قفى كل مؤذي يلقوا له دروب

وبالحديث عن المعايين (الأفلاج) التي تكثر في الأرياف المجاورة للشحر وعددها بالعشرات هي عيون تنبت بغزارة وتسقي الزرع ، يبلغ عمق الحفر في المعيان (قناة الري) من ١٠ إلى ١٥متر تقريباً بعرض ٥٠ سم ، وقد حفرت جميعها يدوياً وهي على نوعين منها المكشوف ومنها على أنفاق وتعمل لها من أعلى فتحات مستطيلة للضوء والتهوية تختلف في المسافة بين ٣ـ٨ متر تقريباً تسمى (عنابر) ومفردها عنبرة. والجدير بالذكر أن الماء الذي يروي الزرع بالمعايين مقسم على سقاوع (والسقيع هي فترة زمنية من الغروب إلى الغروب وهو فردتان واحدة بالنهار والأخرى بالليل). كما أن هذه المعايين تتقاطع فيما بينها دون أي اختلاط عند حفرها. وقد حفرت بدلاً عنها في السنوات الأخيرة آبار ارتوازية نظراً لجفافها ، ولكن بقيت هذه المعايين المحفورة شاهد عيان على عبقرية الأجداد.

وقد خلد ذات يوم هذه المعايين كل من الأديب عبد الله عبد الكريم الملاحي والشاعر حسين أبو بكر المحضار بحضور السيد عبد القادر بن أحمد بافقيه في مزرعة الأخير التي تسمى (الطائف) بمنطقة معيان المساجدة في هذين االبيتين الشعريين:

قال الملاحي من الطويل:

سقى الغيث معيان المساجدة الذي يلوذ به من كان من علة يشكو

فأجابه المحضار من بحر البسيط بقوله:

بادوا ولكنهم أبقوا لنا أثراً يوحي إلينا بأن القوم ما بادوا

كما أن هناك أراضٍ تسقى بماء المَطر على قدر لا بأس به من المساحة يسمونها (جربة) وجمعها (جرب) ، ومنهم من يسميها (شرج) وجمعها (شروج) وكلها تنتج الحبوب وبعض أنواع الفواكه الموسمية ، وهناك مصطلح آخر ولكنه للأشجار الكبيرة ولزراعة المحاصيل الأخرى يسمى (غيضة). وللتأكيد على زراعة الحبوب في الجربة ما جاء في ذكرها من شعره بقوله:

معاد شي بركـــــــة في المداري
بعد التعب في الجربة صربنا غشر
أربع مصـــــــــــــاري
ما يسرت في زنبيلي عطيتها لسايل عوين[٢٣١]

كما أنه استخدم مصطلح آخر (غشر) ويقصد به ما يقصده المزارع من المحصول الغير صالح ، بحيث تكون السبولة خالية من الحبوب رغم العناء والتعب في الحفاظ على النبات لحين حصاده.

كما يسمي المزارعون تراب الأرض الصالحة للزراعة بـ (الدبر) ويجمعونه على (دبور) كما يسمون غرس الأشجار الكبيرة وتحويل صغارها (الشتلات) من مكان إلى آخر وبالذات النخيل (خلع) ، ولا ينطبق ذلك على النباتات الصغيرة وأنواع الحبوب بل يستخدمون لفظة (ذري) ، ولبعض أنواع الخضار لفظة (سبي). ولننظر في استخدامه للفظة خلع وبعض المصطلحات الأخرى كما في قوله:

كل من خلع في الدبور الزبيـــــرة
شفت خلعه قوي عوده ودنّا بخيله

والعمد عالشرَح

إن كان هملوه ما با يلحقون خيل[٢٣٢]

ومن المصطلحات الأخرى لفظة (الشَرَح) في البيت السابق وواحدها شارح وتعني الأفراد الذين يقومون بحراسة المزروعات ، وقد جعلوا في بعض الأرياف المجاورة للشحر مكامن خاصة بهم مبنية على المرتفعات المحيطة بالمزارع يسمونها (مراتب) ومفردها (مرتبة) وهي عبارة عن غرف صغيرة مبنية من الحجر الصغير فقط المترابط بعضه ببعض ، ويبنى جافاً بدون ماء أو خلط بطين أو جص ويسمى هذا النوع من البناء محلياً بـ (الترييش) وهي تستخدم لغرض شراحة الأرض المزروعة من الحيوانات والناس أيضاً. وهنا يؤكد المحضار الدور الذي يؤديه الشارح لحماية المزروعات بقوله:

لقّيت الســــــــور فوقه والشرح

وتخبّر الشارح ولي هــــــــو ينكره

يحلف يمين الكذب والإنكار[٢٣٣]

ومن المصطلحات الزراعية التي استخدمها الشاعر المحضار لفظة (النشاري) وهو القائم بعمل الزراعة وخاصة في الأرض المملوكة لغيره ممن يسمونهم (طبانة). والنشاري يكون أميناً وحريصاً على زراعة الأرض والعناية بها والحفاظ عليها من العبث كما يقوم بعمل ما يلزم تجاه النخيل من ري ودمان وفخطة وتوضيع وقطع التمر بعد نضجه وتبريحه ورزمه وغير ذلك مما يختص بالنخيل. ولفظة النشاري تجمع على (نشرة) وليس نشر بمعنى الغنم.

قال المحضار:

معاد حد في الغيضـــــــــــة نشاري
كل من دخل في الغيضة قطع في الخضر
نا كنت ضاري
شل من ثمرها في كل خرفة على عينتين[٢٣٤]

وقال أيضاً عن النشاري:

يوم نيتي باميـــدع زرعت الكزابه
مـــــن زرع شي نبـــــــت
والنشاري نصح نيّته لي واعتنى به
للنصيحه نصت
والأيادي حنت
والمضرات زالت
لي تضر المساكين[٢٣٥]

ومن المصطلحات التي ذكرها المحضار في شعره وهو يتحدث عن القضب (البرسيم) لفظة (ضيرة) وقد كررها في عدة مواضع في قصائده، نذكر منها: (وخليت الحضيري يحش القضب من شانه وهو ضير) ولا فرق بين اللفظتين (ضيرة وضير) وكلتاهما تحمل معنى عدم النضوج. وعادة ما تستخدم لفظة حشيش مع القضب (البرسيم) ولا تستخدم لفظة قطع كما استخدمها المحضار في البيت السابق، ويكون حش القضب دائماً بالشريم فقط. والقضب يمر بعدة مراحل: الأولى وهو حشه بعد أربعين يوماً من ذريه وفي هذه الحالة لا يستخدم الشريم الكثير التسنين، والحشة الأولى يتصدق بها المزارع لأهله وجيرانه ومن يقوم بعملية الحش أو الحشيش،

والثانية لا تباع وإنما يذهب أكثرها لأغنامه ، ولكن بعدها يصبح القضب أفضل حالة من ذي قبل ويمكن له بيعه في السوق.

أما اللفظة الثانية التي استخدمها المحضار هي (عكظة) والعكظة ما يظهر أسفل الأغصان من براعم صغيرة تؤكد نضوجه وهي التي تدل على النضوج ، فإن لم تظهر يعني أن غصن القضب لا زال ضيرة. وعادة ما تظهر العكظة بعد ١٥ ـ ٢٠ يوماً. كما يقال لنباتات حبوب الذرة التي تنمو من جديد بعد قطعها أيضاً عكظة وما ينبت بعد قطع العكظة يسمى (نكظة) وهي المرحلة الثالثة ، وهذه المصطلحات تنطبق أيضاً على شجرة التنباك (التبغ). ومن المفيد للعلم أن ذري القضب مستحسن في أيام الأربعينية ، كما أن تركه لنضوج الثمر في الوقت نفسه. ولنا أن نقرأ قول المحضار في ذكر ما تحدثنا عنه وبالتحديد ذكر اللفظتين (عكظة وضيرة):

أنت الذي جبت الضرر

وقطعت في القضب لي هو في الجرب عكظة وضيره

والقلب منك ما صبر

وعلى المدى باعود والصفو معيود[٢٣٦]

٢ـ١ـ١ـ بعض أسماء الأدوات الزراعية :

قال المحضار:

وعبر على الحـــــداد شـــل منّه شريم

وشـــل لـــه مزحـــــاه للسيـــل الهميم

وفأس لي هو يحطم الشجـــرة حطيـــم

من أجل يحطب في السُمر هن والضبين

وشـــل له ملقـــاط ومسلـــة زيان
وشـل له مشراج مسنـــون اللســان
عند باحويرث تلحـق المخـــزن ملان
لا ينسي الملعب ولا ينسي السكـــين
ويشل له معرص وللمعرص عبـــار
وأربع محـامل لا بدت حاجـة صغار
وكنـاب والكنبـة لقوهـــا للسبـار
لأجـل الهدية للمحب هو والضنـين
ويشـــل لـــه مرقـــد معه رقبـة بعير
ويشـــل له مخـرط إذا هو فيـه خير
ولعـــاد يستامن على حق بانصـــير
حق العرب ما يدوم لك في كل حـين
عـــاد الشوايـــة لا تخليـــهن دهن
قبـــل المبـت خـل حد يداويهن تعن
وش با يعز الخيـــل لا دنـــوع ودن
شايتـه با تحفظـه من زاخي وطـين[٢٣٧]

من الأدوات الزراعية نذكر منها ما قاله المحضار في أوبريت الخريف فقط ، وهي بعض من بعض ، ويكفينا كنماذج للأدوات الزراعية التراثية ، ومع حصر المحضار لبعضها في هذا العمل المسرحي فهي بلا شك تغنينا عن البحث في أشعاره الكثيرة. ومن هذه الأدوات:

(أ) **الشرِيم:** وهو آلة مسننة كالمنجل أو السكين بشكل القوس ، تستخدم لقطع النباتات الصغيرة والأشجار المتوسطة ، وتعتبر المرافق المهم للمزارع ، فلا يمكن أن يتخذ هذه المهنة بدون الشريم نظراً لاستخدامه اليومي.

(ب) **المزحاة:** ثم تأتي آلة المزحاة في المرتبة الثانية بعد الشريم ، وهي آلة حديدية تشبه الشكل المثلث ممسوكة بعصا غليظة من أعلاها يسمى (هراوة). والمزحاة يستخدمها المزارع في عزق الأرض وتقليبها ثم تسويتها ، كما يستخدمها في الري لتحديد مجري الماء وتوجيهه إلى أماكن الري. كما تستخدم في حفر الأرض ونكشها واستخراج بعض المحاصيل الموجودة تحت سطح التربة ، ولا يمكن للمزارع الاستغناء عنها في كل الظروف.

(ج) **الفأس:** وهو آلة يستخدمها المزارع لقطع الأشجار الكبيرة وتقطيع الحطب المستخدم للطهي ، إضافة إلى ذلك تنظيف أشجار النخيل وتهذيبها سنوياً بما يسمى عند المزارعين (توضيع).

(د) **الملقاط:** وهي آلة صغيرة تستخدم لاستخراج الشوك من الأرجل ، كون المزارع يعمل في الأرض بدون أحذية لذا يتعرض لوخز الأشواك وبالذات في أثناء قطع الأشجار الشوكية ، وعلى هذا الأساس يكون مستعداً بالملقاط في أي لحظة. والجدير بالذكر أن المزارع يحفظ الملقاط في حزامه المسمى (الكمر).

(هـ) **المسلّة:** هي إبرة طويلة من حديد يقدر طولها بين ١٠ ـ ١٥ سم ، مذببة من أحد طرفيها ومثقوبة من الطرف الآخر ، وهي أكبر بكثير من المخوط العادية المعروفة لدى الجميع ، وتستخدم لصناعة المشغولات الخوصية وخياطها ، ويستبدل الخيط بالعَزَف ، وكل مزارع يحتاجها في خياطة الزنابيل المملوءة بالمحاصيل الزراعية

كي يتأكد من سلامة وصولها إلى السوق طازجة.

(**و**) **المشراج:** وهو أكبر حجماً من المسلّة وأطولها ، ويستخدم خاصة لشراجة المشغولات الخوصية كعبايا التمر (ومفردها عبية باللهجة الشحرية) والسلق (المفروشات الخوصية) وخياطة الجواني بعد تعبئتها بالمحاصيل الزراعية.

(**ز**) **الملعب:** وهو شبيه بالشريم بيد أنه حاد وغير مسنن ولذلك له من خصوصية الشريم والسكين ، ويستعمله المزارع لاستخراج الشوك من سعف النخيل.

(**ح**) **السكين:** وهي آلة حادة معروفة للجميع ولها استخداماتها المتعددة ولا يخلو مزارع من اقتنائها.

(**ط**) **المعرص:** وهو عود عريض يحمل على الظهر من الكتفين ويثبت في طرفيه المحمول بواسطة الحبال ، ومن ميزته أن يثبت في أحد طرفيه مسمار والطرف الآخر يكون محفوراً وذلك لمنع المحمول من السقوط على الأرض.

(**ي**) **العبار:** وهي أوعية خوصية (زنابيل) لها مسكتين من الأعلى تسمى آذان العِبِر ، وتوضع فيها المحاصيل الزراعية وبالذات التمر لحمله إلى (السَرَف) ومفردها سرفة وهي عبارة عن فرش في درع (حوش) الدار من سعف النخيل فقط لغرض تجفيف التمور فوقها ـ أي فوق السرفة ـ وبالمقابل تحفظه من التراب.

(**ك**) **المحملة:** جمعها محامل ، وهي أكبر حجماً من العبر والزنبيل ، مصنوعة من خوص النخيل ولكل منها أذنان صغيران ، وتستخدم لحمل التمور إلى مكانها ، أو الحشائش المتطفلة على المزروعات بعد استخراجها لنقلها إلى الماعز والأغنام في الزريبة.

(**ل**) **الكنبة:** وتجمع على كناب ، وهي اسطوانية الشكل ، مصنوعة من الخوص ، ولا يتعدى حجمها ثلاجة الشاي الصغيرة ولكنها تتميز عن سابقاتها من المشغولات الخوصية بأن لها غطاء يناسب حجمها ولها أذن يزيد عن طول غطائها بحيث يكون الغطاء مثبت بهذا الأذن الخوصي ولا يسقط عنه ، وتستخدم من قبل الأطفال للقاطة التمر الساقط من النخيل ، وعند المزارع لإرسال التمر إلى الطبين في الشحر أو غيره.

(**م**) **المرقد:** أداة لطلوع النخيل الطويل حتى رأسها ، وممسك للمزارع في جذع النخلة حتى يتسنى له العمل بكلتا يديه ، وهو مصنوع من ليف النخيل على شكل حزام عريض ، ومثبت في طرفيه جلد معطور وقوي ويجبذ أن يكون هذا الجلد من رقبة الجمال ليتناسب مع طوله.

(**ن**) **المخرط:** عبارة عن حبل من الليف أو السُلُب طويل وقوي يأخذه معه المزارع إلى رأس النخلة ويربط فيه العِبر بعد النفاضة أو خِيْل التمر بعد قطعه ليدليه لمن تحت النخلة ، ثم يسحبه للأعلى وتستمر العملية حتى الانتهاء من العمل.

(**س**) **الشوَاية:** جمع (شاية) وهي مصنوعة من خيوط القطن أو النايلون على شكل شبك مربع لا يتجاوز ضلعه عن المتر ، ويلف حول أخيال التمر (منهم من ينطقها خِيَال) في النخلة لتفادي سقوط التمر على الأرض وحفظه ، وبالمقابل يقوم المزارع لاستخراج المسقوط فيها من التمر يومياً ، وتسمى هذه العملية بالتخبير، ويقال للخيل الواحد (خُبْرَة). وقد استخدم المحضار لإصلاح الشواية المزقة لفظة يداويهن وهي من استعمالات الصيادين ، ولكن الفرق في ذلك أن المداواة عند الصياد بالخيط وعند المزارع بالخوص.

وهناك بعض الأدوات الزراعية التي لم يذكرها الشاعر المحضار منها على سبيل

المثال: المهرم لتنظيف الأرض من الحشائش المتطفلة ، والموصك وهو مكون من قطعتين ويستخدمه اثنان لتعديل وتسوية الأرض الواسعة والكبيرة في أثناء استصلاحها وتشكيلها إلى مُطر ومفردها مطيرة كما ذكرنا سلفاً ، وكل ذلك يتم قبل البدء بعملية الزرع ، والمنشرة وهي لتعديل الأرض الصغيرة ، والمدهان وهو جسم ثمرة الميدع (النارجيل) أو ما يعرف محلياً بالكزابة بعد استخراج ما بداخلها ويكون له ثلاثة ثقوب ، اثنان منها يربط فيه خيط ليعلقه المزارع على حلقه والثقب الثالث لإدخال المسواك فيه ، ويحفظ فيه الزيت المستخدم مع فخطة النخيل[٢٣٨] ويستخدم هذا المسواك الصغير وهو من غصن شجرة الراك وليس من جذرها كفرشاة. وهناك أدوات أخرى لم نذكرها.

٣-١-١- أسماء بعض المزروعات:

(أ) الأشجار المعمرة:

قال المحضار:

خرج ذا فصل والثاني في المله سقاطر
يا اللي تحبون السقطرة
وإن بكّـــرت تثمـــــر
ولا جاء وقتها تملي المثامر
عسى لنا في الخرف مثمار[٢٣٩]

شعر المحضار لا يخلو من ذكر الأشجار المعمرة فقد تناول الكثير منها ، وعندما نتحدث عنها بوصفها من التراث الزراعي فلا نقصد الشجرة المعمرة نفسها وإنما تسميتها الريفية والشحرية المتداولة منذ القدم وإلى اليوم مع اختلاف التسميات

من منقطة إلى أخرى ، ولنأخذ على سبيل المثال شجرة النخيل المتعددة التسميات واختلاف ذوق أنواع التمر فيها. فقد ذكر أحد الأنواع المهمة والمعروفة عند الجميع، وربما هي التسمية الأكثر تداولا بين الناس في الشحر وما حولها (السقاطر) ، ويسمى تمرها (سقطراي) ، حيث استخدم المحضار بعض المفردات الزراعية بهذا الخصوص، فلفظة (مثامر) وتفرد على (مثمار) هي شماريخ الخِيل ، كما تطلق عليها التسمية نفسها بعد نزع التمر منه ، والشماريخ أيضاً جمع (شمروخ).

وفي بيت آخر قال:

قطعوه لا شي نجح شمروخ في الخلعة الربيبة
وألا أنا يا عباد الله ما لي رب
ذا حق لا تحسبونه جمركة وألا ضريبة
الخِيل ضرب
با يحرقوه المسابيب[٢٤٠]

والنخيل من الأشجار المعمرة والتي تزرع بكثرة في أرياف الشحر لما لها من فضائل جمة ، وهناك أنواع أخرى ونكتفي بما جاء في بعض شعره التالي منها: الجهمي والحمراء والبقلة كما في الآتي:

ما كان في ظني يروّح خِيـل في البقلة
ولعـــاد با يبقل وقع له قطع بالمسنون
حسفه على من كان
من ثمره يعيشون المساكين[٢٤١]

كما أن المحضار ذكر نوع آخر من الأشحار المعمرة التي يطلق عليها محلياً (البيدان)

وواحدتها (بيدانة) و(الحومر) وواحدتها (حومرة). وكلها من الأشجار المعمرة ذات التسميات المحلية والثمر المفيد.

عطيتنا البيدان قسمي والحوامر

وانته معك جهمـي وحمراء

اللوّلة تعبر

عليها يا حمد ما با نعابر

لك عندنا حشمة ومقدار[٢٤٢]

وهنا أيضاً نسوق في البيت التالي له اسم من هذه الأسماء المتداولة من أشعاره وهي شجرة (العلب) وثمرها يسمى (دوم):

العلب لي في هابطـــي الواد

حت الدوم منه وزقّل ورق

لكـــن علوته حيـــة

عادنا منّه مساهن مساهين[٢٤٣]

ومن المفيد للعلم أن شجرة العلب تستخدم أوراقها الخضراء بعد سحقها كمطهر وغسيل للشعر وتسمى هذه المادة (غسّة) ، أما الأوراق اليابسة منها تسمى بعد سحقها (حتيكة) وهي تستخدم كمطهر وغسيل للجسم. ويقال لأعلى الشجرة ـ ونقصد أغصانها العليا ـ (الغُلْب) وهي التي تحتفظ أكثر بالثمر لعلوها. فالمحضار لم يكتفِ بذكر هذه الأشجار دون غيرها وهي كثيرة في أشعاره ولكننا سقنا ما سقناه كمثال لا غير ، ولو أننا ذكرنا فقط الأشجار المعمرة المثمرة ولكن هناك الكثير من الأشجار المعمرة الغير مثمرة التي ذكرها المحضار في أشعاره كالسمر والقتاد في

أغنيته المشهورة (با نلتقي في سعاد) والضبين والمشط واللبان وغيرها كثير نكتفي فقط بالبيت التالي:

وفأس المشرّق كردح المشط واللبان

وخلّى عشار النوق يبس ألبانها[٢٤٤]

(ب) الأعشاب وبعض الطفيليات:

قال المحضار:

وإن شفت شي زرع نابت

تقولون ضاني

مصيره يلقي سبوله ويثمر بحب

شف كل شي والنظافة

وحرث الونش من ترابه والعدين[٢٤٥]

هناك الكثير من الأعشاب والحشائش الطفيلية التي تتغذى على غذاء الزرع ومن هنا لابد من استخراجها والتخلص منها وتنظيف الأرض باستخدام آلة (المَهْرَم) وتسمى هذه العملية بالهريم. والمزارع النشيط والذي يحافظ على زرعه يقوم بعملية الهريم باستمرار إلى أن يتم المحصول. وناتج عملية الهريم يسمى زراعياً بالوَنَش الذي يعطى للأغنام. ويتم تجميع هذه الأعشاب والحشائش في وعاء خوصي يسمى مربشة وأحياناً يستخدم المدلاح وهو أصغر حجماً من المحملة.

وقال المحضار عن الونش أيضاً:

خِدموا العــيانة والعتم جاري والموسم المقبل با يلقي ثمر

وإن شي ونش متبقي في الجربة من بواقي دمان العدين[٢٤٦]

وتنبت هذه الحشائش الطفيلية من بواقي العدين ، أي مما يستخدم كسماد من العدين بعد حرقها لتصبح رماداَ وهو ما يسمى عند المزارعين بالرِسّة. والرِسّة عادة ما تخلط بروث الحيوانات (البعر) قبل استخدامها كسماد للزرع بواسطة رشه تحت الزرع. وقد تنبت هذه الحشائش من بقايا بذور في البعر أو الرماد.

(ج) ما يحتاجه الزرع للإنبات:

قال المحضار:

هت حسو وإلا هت مخمم أو وزيف

والقوش والتسعيل به لا تستهين[٢٤٧]

تحتاج الزراعة إلى بعض الأسمدة إضافة إلى ما ذكرناه سابقاً من رِسّة وبعر ، فهناك أسمدة سمكية نذكر منها ما ذكره المحضار:

الحسو: وهو بقايا ما يتم جمعه بعد أخذ الوزيف من قطع صغيرة ، حيث تجمع وتستخدم مباشرة للنباتات الصغيرة كونه سريع الذوبان أكثر من الأسمدة السمكية الأخرى. والحسو لا يدفن تحت الأرض وإنما يرش به على النبتة وقد يخلط مع الرسة.

المخمم: وهو عبارة عن أحشاء وأطراف الأسماك الكبيرة حيث تؤخذ وتدفن مباشرة تحت الأرض بجانب الأشجار الكبيرة ، وقد تدفن في حفرة بعيدة نوعاً ما عن الزرع مخلوطة بالبعر لفترة طويلة ثم يؤخذ منها للأشجار وهو ما يسمى باليار. ولليار رائحة قوية جداً لهذا يحفظ في حفرة عميقة.

الوزيف: وهي سمك الساردين المجفف بالشمس بعد فرشها في أماكن خاصة فترة من الزمن ، ثم تعبأ في جواني وتباع للمزارعين كأسمدة للزرع ، وللبدو كغذاء للغنم. وأما استخدامها للزراعة فيتم بواسطة حفر صغيرة جداً بجانب النبتة بحيث

تغطى فقط بالتراب حتى لا تأكلها الحيوانات ، وتسقى مباشرة بعد دفنها ، وبدورها تتحلل ويستفيد الزرع منها.

أما القوش والتسعيل فليس بأسمدة وإنما لفظة القوش يقصد بها التنظيف ويقصد منها أيضاً القمامة ، ولفظة التسعيل ويقصد بها التخلص من الشوك العالق بسعف النخيل ، ويتم ذلك بآلة الملعب وقد سبق ذكرها. وبالمقابل يتم حرقها والاستفادة من رمادها كسماد للزرع.

٤.١.١. ذكر بعض الغلات الزراعية :

قال المحضار:

عادنا ألا بالعجل والسره جبت شـــــــدّة وعِدّة

ولا شـــي طاع يتوالف

لا دخـلت الوصـــــر

با تشوفه بعينك معي بر والاّ شعير[٢٤٨]

قال أيضاً:

البر يعرفه كيـــــــــــــاله إذا قد حضر وسط الوصر با يكيله

با يقـــــع تـســـــــــــديد

في الحال ما نعتكي في قيمة النول[٢٤٩]

ذكر المحضار الكثير من الغلات الزراعية الغذائية في أشعاره وبالذات أنواع الحبوب وبعض الخضار والفواكه ، والنباتات النقدية ، إضافة إلى ما ذكرناه سلفاً من ثمار وتمور وقضب وغيرها ، ولكننا لا نسهب في الكثير منها خوف الإطالة ، فنأخذ فقط ما جاء في البيتين السابقين (البر والشعير) اللذين لم يزرعا في أرياف الشحر ،

ليس لعدم ذكره لما يزرع فيها ولكنها من الغلات التي يهتم بها المزارعون في الداخل الحضرمي ، وما يهمنا هنا ذكر الغلات وما توافق بين الساحل والداخل في بعض اللفظات كالوصر وبيان استخدامه.

والبر والشعير من أنواع الحبوب المنتجة حضرمياً ويقابلها في الساحل وفي أرياف الشحر خاصة؛ الذرة والمسيبلي والحنطة (الدخن) ومع اختلاف مواسم زرعها إلا أنها كلها تفرش في الوصر للدقاقة (فصل الحبوب من السنابل) ، وهناك طرق وأساليب لها تختلف عن بعضها من حيث القيام بهذه العملية ، وحتى عود المسباط المستخدم فيه اختلاف في نوع الشجرة واختلاف في الكيفية ، ولكن ما يجمعها هو المكان المسمى بالوصر ومنهم من يستخدم الآلة في الفرز ولكننا نتحدث عن التراث فلا بد من إلقاء نظرة ولو سريعة عن هذه العملية.

وفي أرياف الشحر يتم فرز الحبوب من السنابل في الوصر حيث تفرش السنابل لفترة لا بأس بها تحت أشعة الشمس ثم يأتي المزارعون بمسابيطهم ـ وهي أعواد غليظة من سعف النخيل أي العود مع الكربة ، أو كما ذكره المحضار في موضع آخر وبمعنى آخر (شبوا عليها بالكرب هن والجزوم) ـ ويدقون على السنابل وتسمى دقاقة ، ثم يقومون بدلحها للتخلص من الغشر وتسمى دلاحة ، والأخيرة تتم قبل وقت العصر لهبوب الرياح. وتصاحب هذه العملية ترديدهم لبعض الأهازيج من الفلكلور الشعبي ، والدقاقة تتم بواسطة صفين من الرجال وتضبط دقة المسباط على إيقاع الأهزوجة.

وهناك اختلاف في نوع المسباط في الشحر وأريافها عن المناطق الحضرمية في الداخل من حيث العود والاستخدام ، فهنا جزم النخلة يستخدم لدقاقة الحبوب وعود السمر لدقاقة النورة ، كما يستخدم حضرمياً عود المشط وغيره.

٢-١-بناء وتوصيف المباني الريفية:

قال المحضار يصف داره:

يا جارنا ارعي لنا حـــــــق الجوار وخل عتم الـود في ما بيننـــــا جاري
لولاك ما حليت في هـــــذي الديار
أنت وكل الناس تعرف أين هي داري
داري تقـــع في خـــــــير ديـــرة بين المجـــاني والخضـــــــــــيرة
ترّكتهـــــا لأجـــلك ونا مخـــــتار
الحـــــــــب أســـــــرار[٢٥٠]

للمحضار بيت ريفي في قرية الواسط يتصيف فيه مع أسرته ويعتاده باستمرار للنزهة والسمر ، وقد أحبه كثيراً لبعده عن ضوضاء المدينة كما جاء في قوله:

ذا خرج فصل في الواسط بغينا سمر رايق
خير من سمـــرة المعيان والحبس والبرقة
وين لي هم يجـــــيبون الحقـــايق
ما عبولان دايم ما يجيب التحاقيق[٢٥١]

وفي هذه السطور سنجعل من أحد الديار الريفية الطينية القديمة ـ وهي تتشابه في البناء ـ معرضاً لحديثنا كنموذج عن البناء في الريف ، لكن حديثنا لا يتعدى التوصيف الداخلي للدار المتعلق بالتراث ، مع الأخذ في الحسبان تطور البناء في الريف في هذا الزمان.

فالعمارة الريفية القديمة في ضواحي الشحر كتبالة والواسط وزغفة ومعيان المساجدة وغيرها من القرى لا تختلف عن بعضها البعض من حيث البناء المعماري ،

وربما أنها تختلف نوعاً ما عن مباني المدينة من حيث البناء وهندسته ومساحته والمواد المستخدمة فيه إلا في مواد بعضها ، وذلك لما يترتب عليه الاستخدام الثانوي للمبنى غير المأوى وبالذات في الريف ، بيد أن أكثر المباني الريفية هي أصلاً من أملاك أهالي الشحر لامتلاكهم الكثير من الأراضي الزراعية في هذه القرى الريفية.

وتبالة والواسط والجرادف والحبس وشكلنزة والحوة ومعيان المساجدة ـ كلها قرى تقع شمال الشحر ـ أما زغفة فغربها ، وهذه الأرياف من أعمال الشحر ومرتبطة بها إدارياً واجتماعياً وتجارياً من الأزمان البائدة إلى الأزمان السائدة ، أي منذ تأسيس هذه البلدات وإلى اليوم والشحر هي سوقهم التجاري ومزودهم بما يريدون من ضروريات الحياة وكمالياتها ، بيد أن هذه الأرياف ملاذ أهالي الشحر في نزهاتهم ومحل رحلاتهم الترفيهية ومكامن استرخائهم ، فقد أسسوا وبنوا فيها بيوتهم ومنتجعاتهم، وبنوا فيها المساجد بأسمائهم ولهم فيها مزارع كثيرة ومنهم من مات ودفن فيها ومنهم من عمل لموتاهم أضرحة لازالت تشهد على ذلك الارتباط الوثيق.

ولو قمنا بإحصاء شامل ودقيق لمآثر الشحريين في الأرياف لوجدنا نصيبهم من الموجود من المباني نصيب الأسد وأكثر ، ومن المزارع ما زاد على ذلك بكثير وكثير ، وبأسماء متعددة من القبائل التي لها قدم وباع ولها السيادة والريادة والمكانة المرموقة في الشحر. فلا تنظر في مبنى إلا ويقال لك لفلان الشحري ولا تنظر في شجرة إلا ويقال لك نبتة من أشجار أرض علان الشحري وهذا ما جعل الترابط أوثق بين الجميع.

والإنسان الريفي في هذه البلدات متأصل الجذور إلى تربة بلاده ، إليها ينتمي وفيها يعيش ، ومن خيراتها يأكل ، ومن أعشابها يتعالج ، وإليها يعود. أحب الريفي تربة الأرض وأحبته ، وأعطاها جهده فأعطته ثماره ومنحته ، فعاش فيها أب عن

جد، ونبت عوده وامتد ، لا يؤثر فيه التطور المزعوم بأنه تطور ، ولا يشتهى لذة مجلوبة باسم التحضر ، فلذّاته موهوبة فيما تنبت الأرض وتخضر.

عاش الريفي كريم الخلق والمنبت ، بسيط ، متواضع ، فيه العشرة والدماثة تجلت، همه النشاط والعمل ، ولا يعرف طريقاً للملل أو الكلل ، جُبل على التعاون وحب الخير منذ صباه ، ويحب لغيره ما يحبه لنفسه ويرضاه. وبهذا تخال الريفيين أسرة واحدة ، فإن لم يروا ناراً في بيت أحدهم أيقنوا أنه بلا أكل فأعطوه ، وإن سمعوا أنيناً فذهبوا ليعودوه ويمرّضوه ، وهكذا عاشوا متحابين في الله في أحسن حال.

١ـ٢ـ١ـ المباني السكنية :

(أ) الجدران:

ويكون سمك الجدار الخارجي لا يقل عن أربعة وعشرين بوصة بينما الجدران الداخلية تقل عن ذلك السمك ، وينقسم المبني الريفي من حيث المواد المستخدمة في بناء الجدران إلى ثلاثة أنواع:

* منها ما هو مبني من الطين المعمول على شكل مدر وتخلط الطين ببعض الحشائش وأشهرها (الرشدة) المعروفة عندهم بهذا الاسم أو تخلط ببعض الأوراق اليابسة المتساقطة من بعض الأشجار الكبيرة كالحومر (التمر هندي) أو العلب (شجرة الدوم) وغيرها بعد تقطيعها إلى أجزاء صغيرة جداً بدلاً من التبل ومخلفات النباتات كالقمح الذي لا يزرع في هذه المناطق لحرارة المناخ ويسمى هذا المخلوط بـ(البُغُل) ، وأحيانا يخلط الطين بترسبات الجوابي الكبيرة المستخدمة لحفظ الماء وهذه الترسبات تعرف ريفياً بـ (الحَمِهْ) ليعطيها الصلابة والقوة ويربط المدر عند البناء بالطين أيضاً.
* ومنها ما يبنى بالأحجار التي تستخدم لصناعة الجص التي تسمى عندهم بـ

(الخرشع) نسبة إلى مكان تواجده الذي يسمى (خرشعة) وتجمع على (خراشع) وتوضع على الجدران حسب حجمها حين استخراجها ، وتستخدم مع هذه الأحجار الطين العادية المخلوطة بالطين الحمراء المعروفة ريفياً بـ(القاصة الحمراء) أو تستخدم الطين العادية الصالحة للزراعة لوحدها نظراً لكثرتها كون هذه المناطق تغطيها هذه الطين ويسمى مكان الخلط (المقْلب أو المخْمر) وتنقل في وعاء خاص بها يسمى (الرِعَى).

* ومنها ما يبنى بأحجار الخرشع فقط بما يسمى عندهم بـ (الترييش) وتجمع على (تراييش) من دون الماء والطين أو أية مواد أخرى وتستحوذ هذه العملية فقط على المباني الصغيرة جداً أو أحواش مباني النوعين السابقين.

وتكون صيانة الجدران عن طريق (المحضة) بالطين ، وعادة ما تقوم به النساء لا الرجال. والمحضة هي عملية طلاء الجدران بالطين المبلل بالماء في داخل البيت وليس خارجه ، والمقتدر من الناس من يطلي جدرانه الداخلية بالجص أو بالنورة. وعادة ما تكون هذه الصيانة سنوية في شهر شعبان لاستقبال شهر رمضان المبارك.

(ب) السقوف:

تستخدم جذوع أشجار النخيل وأشجار النارجيل (الميدع) وأحياناً أعواد شجرة الصر والسرح للسقوف في جميع أنواع المباني الريفية القديمة المذكورة؛ فالجذوع الكبيرة الحجم من النخيل والميادع تقطع إلى أربع أجزاء طولية والمتوسطة إلى جزأين والصعيرة والخفيفة تبقى كما هي عليه لخفة وزنها ثم تُعقِّد بالطين وتغطى بأغصان أشجار الراك أو بجريد النخيل ثم يغطى بخوص الحصير أو كما يسمى عندهم النبخ (وهي أشجار غالباً ما تنبت في مجاري السيول وبالتحديد عند أماكن احتجاز المياه لفترة طويلة). وقد تكون فائدة الراك والحصير أو النبخ هو منع

وصول حشرة الأرضة إلى الخشب ، ثم تغطى هذه الأشجار بمشغولات الخوص اليدوية المستخدمة للفرش وتسمى (مكل أو سلقات) ـ وتفرد المكل بـ (المكيل) ـ بعدما تنتهي صلاحيتها ولا داعي من فرشها وذلك لحفظ الطين من التساقط على الأرض ، ثم تفرش على مشغولات الخوص القاصة الحمراء المنقعة بالماء وتضاف عليها اليابسة بعدها وذلك لمنع تسرب ماء المطر عبر السقوف وتسمى هذه العملية بـ (الودف) ويكون مستوى السطح انسيابياً نحو الخارج. وتوضع قطع صغيرة من جذع الميدع لتصريف مياه الأمطار وتسمى (مراعيض) ومفردها مرعاض ، وأحيانا يستخدم الصفيح. ثم تلي ذلك عملية (الجبو) وهي ارتفاع الجدران قيلاً بعد السقف لاحتجاز ماء المطر إلا من الخروج من المراعيض فقط ، كما تغطى رؤوس الجدران بالجص أحياناً لحفظ الجدران من التآكل. والجص عبارة عن حرق أحجار الخرشع الصغيرة غير السميكة بعد أن تبنى على شكل دائرة وتسقف به أيضاً على شكل قبة صغيرة ويكون مجوف من الداخل وله باب لإدخال الحطب ثم اشعاله لتحترق جميع الحجارة وهذا ما يسمى بـ (المحراق).

(ج) الأبواب:

عادة ما تكون أبواب المباني الريفية القديمة من خشب العلب وبالذات الباب الخارجي المسمى بـ (السدة) مثلها مثل أبواب المباني المدنية في صناعتها. وهي عبارة عن عدد من القطع المسطحة طويلياً وتتماسك بقطع عرضية صغيرة وتتزين بمسامير الرصعة وتعمل لها زائدتان صغيرتان من الطرفين الأعلى والأسفل ، وتثبت بلوحين من الأعلى والأسفل يسمى واحدها (زوفر) ولكل منهما حفرة من الجانبين لتقابل

هاتين الزائدتين ويوضع في كل حفرة قطعة من الجلد لمنع الاحتكاك ، كما تكون هناك فتحتان علوية وسفلية في الفردة اليسرى على أغلب الأحيان إذا كان الباب من فردتين وذلك لتثبيت هذه الفردة باستمرار بالقالودتين الكبيرتين؛ السفلى والعليا في هذه الفردة ، ولا تفتح إلا عند الضرورة. ويقال لهاتين القالودتين الكبيرتين (سناكر) وفي حالة ضياع القليد يقوم أحدهم بالقفز إلى داخل البيت لسنكرة الباب ، لأن السنكرة لا تتم إلا من الداخل. ويكون قفل السدة من الداخل من الخشب أيضاً ويسمى (قالودة أو قولدة) وتحته غلق صغير له اتجاهين داخلي وخارجي يسمى (لولب).

أما من الخارج يكون القفل مصنوع بعناية فائقة من نجار محترف على شكل مستطيل مجوف مثبت بالباب وبداخله قطعة صغيرة بها ثقوب يسقط بها أعواد صغيرة عند الإعلاق وآخر يقاطعه ليشكل علامة الجمع (+) وله مفتاحه ومغلاقه الخاص به المسمى (قليد) وهو عبارة عن قطعة خشبية صغيرة يتراوح طولها بين ست إلى ثمان بوصات تقريباً ومثبتة بأحد طرفيها أعواد صغيرة وقوية بحجم عود الكبريت من أحد الأطراف تسمى (حناديد) ومفردها (حندودة) وظيفتها سحب أو دفع القطعة داخل المستطيل المجوف السالف ذكره عند الفتح أو الإغلاق.

ويكون لبعض المباني باب آخر صغير من الجهة الخلفية يسمى (مسلف) وهو أقل صناعة وجودة من (السدة) وعادة ما يغلق على الحوش ، وله قالودة من الداخل ولولب فقط.

والمباني الريفية تتكون أغلبها من دور واحد إلا ما نذر أو انفرد في البناء وتبنى لها من الخارج بجانب السدة دكة للراحة والسمر. وتكون المباني مترابطة ببعضها البعض بجدران يسمى واحدها (سترة الوداع) وفيه تكون فتحة (العكرة) للاتصال والتواصل الاجتماعي بين الجيران ، ويبلغ متوسط عدد المباني المترابطة أحياناً ستة مبانٍ لأسر مختلفة.

٢-٢-١- توصيف المبنى الريفي السكني من الداخل

دائماً ما تكون المباني الريفية حسب حاجة الريفي لها وهي واسعة المساحة إذا ما قورنت بمباني المدينة ، بحيث يكون المبنى للسكن الأسري وللحيوانات المملوكة لهم وللتخزين أيضاً وللاستعمالات الأخرى ، وتبنى مباشرة على الأرض بدون كرسي وميدة ويسمونه (ساس) بحكم صلابة الأرض إلا المباني الطينية فيبنى لها الساس من الحجر والطين.

(أ) السقيفة:

وهي المدخل الرئيسي للمبنى السكني داخل السدة مباشرة وبمثابة ممر مسقوف للمبنى ـ وهو مبين من اسمها ـ ويختلف حجمها ومساحتها من مبنى إلى آخر بحيث تكون مساحتها على شكل مربع أو مستطيل بمسافة طول خشب النخيل المستخدم كسقف لها بالنسبة للعرض ، أما بالنسبة للطول فيكون بطول نصف الضيقة أو أقل بقليل حسب المساحة العامة للمبنى ويستخدم سقفها للسنح (سنأتي على ذكره عند الحديث عن الضيقة). ولكل مبنى سقيفة واحدة ، وأحيانا يكون المبنى بدون سقيفة.

(ب) الحيوة:

وهي فناء واسع يأتي بعد السقيفة مباشرة أو بعد مدخل الباب (السدة) ، ومن ميزاتها أنها تكون بدون سقف وتستخدم للجلسات الليلية أو النوم أيام الصيف والخريف وفيها تكون المسامر واللقاءات والاجتماعات الأسرية في الليل نظراً لانشغالهم بالنهار ويكثر استخدامها الليلي في شهر رمضان المبارك منذ تناول وجبة الإفطار إلى ما بعد السحور. وعن الحيوة قال المحضار:

ما لك عذر من جعفر بلبطك قده وبلبطي

قده عارف الحيوة وعارف كم ضيق في الدار

ولكونها غير مسقوفة فإنها تتعرض للأمطار لا محالة ولهذا تكون ارضيتها بشكل انسيابي إلى أحد الجدران الخارجية حيث يقوم البنّاء بعمل مجرى لمياه الأمطار مساوٍ لسطح أرضية الحيوة المنساب يسمى بـ (السِّر) ، وهو عبارة عن ثقب في الجدار الخارجي لا يتجاوز قطره عن ثلاث إلى أربع بوصات ويغطى عادة بقطعة من القماش طيلة أيام السنة ولا ينزع إلا في اثناء المطر. وفي حالة أن المبنى مشارك الجدران مع الآخرين فيكون مرور الماء في السقيفة ويكون السر تحت الباب الرئيس (السدة).

(ج) المردم:

وهو عبارة عن ارتفاع بسيط للأرضية الفاصلة بين الحيوة وباب مدخل الضيقة لمنع دخول ماء المطر إلى الضيقة، وقد سمي المردم بهذا الاسم نتيجة لردمه بالحجارة الصغيرة والطين ويكون بمقدار عرض الباب وارتفاعه لا يزيد عن اثني عشر بوصة ليسهل العبور عليه.

(د) الضّيَق:

ومفردها (ضَيْقَة) ـ بياء لينة ـ وهي عبارة عن الجزء الأساسي للمبنى الذي يكن الأسر وتكون على شكل مستطيل تختلف أطواله من مبنى إلى آخر حسب الاقتدار، ويتراوح طولها بين ستة إلى عشرة أمتار على أقصى تقدير ، وغالباً ما يكون اتجاهها بحري نجدي لاستجلاب الهواء. ولكل ضيقة فتحتان كبيرتان ويقال لكل منهما (فِقْر الضيقة) والمقتدر من يعمل لكل فقر باب وقد يكتفي بالباب الأمامي لفقر الضيقة. وعادة ما توضع قربة الماء على رفقة (سنأتي للحديث عنها) في جانب الفِقر لتبريد ما فيها من ماء.

ويكون في الضيقة بعض الأجزاء الثانوية للمبنى نذكر منها:

ـ **الرقاد:** وهو الجزء المقتطع من الضيقة الذي يؤدي إلى سطح المبنى (الريم) وعادة ما يكون في طرفها الخلفي ، ويسقف أحياناً ارتفاعه الأول ـ أو بتعبير البنائين (الزرقة الأولى) ـ ويسمى الجزء المسقوف منه (الرويّعة) أو (الدهروس) أو (الدس) ومنهم من يطلق عليها (تيحة). وتطلق هذه المسميات على هذا المكان إن كان خالياً ولن يستغل للخزن ، ولكن إن استخدم لوضع أدوات الزراعة أو غيرها فيقال له مكان الوضيع.

ـ **المناور:** وهي عبارة عن فتحات علوية في الجدار من جهة الخارج للضيق في المباني المتطرفة وغير المتوسطة ، وتكاد تكون مربعة في الغالب بضلع اثنني عشرة بوصة تقريباً أو تزيد قليلاً وقد اختصت مهامها للضوء والتهوية فقط ولا مهام لها أخرى ، ولا يزيد عددها عن ثلاثة مناور للضيقة الواحدة.

ـ **الخلفة:** وجمعها (خَلاف وخَلَف) وهي على شكل حفريات مستطيلة في جدران الضيقة ويتفنن الباني في تشكيلها منهم من يجعل ضلعها الأفقي مقوس ومنهم من يجعله مثلث ومنهم من يبرز أضلاعها قليلاً نحو الخارج ، وفي العموم لا تتجاوز أطوالها عن عشرين بوصة تقريباً وأعراضها عن خمسة عشر بوصة. وهي تستخدم لوضع الأشياء بداخلها ومنها السراج.

ـ **الرفقة أو الوتد:** وهي عبارة عن عود من سعف النخيل يتراوح طوله الخمس بوصات ويتميز بالقوة والصلابة ويدق على الجدران لوضع الثياب عليه أو أي شيء آخر يقوم الفرد بتعليقه.

ـ **السنح:** وهو عبارة عن حبال من العطير تمدد في السقوف بعد ربطها في بعض

الأخشاب بحيث تربط بعد كل ست أو سبع خشبات في خشبة واحدة على طول الضيقة أو السقيفة وتكون بين الحبل والحبل مسافة عشرة بوصات تقريباً أو أقل من ذلك حسب ما تقتضيه الضرورة وذلك لتعليق التبغ المجفف بعد استخراجة من (العَرَش) الخاصة به ، ويظل في السنح فترة لا بأس بها ثم يوضع في المخازن ريثما يأتي المشتري. أو ينقل إلى البائكة للتصنيع (سنأتي على التفصيل عند الحديث عن البائكة)

ـ **الكلاّب:** وهو حبل مربوط بإحدى الأخشاب من طرف الضيقة العلوي مدلل إلى أسفل وفي طرفه مربوط الكلاّب ويكون على ارتفاع قامة الإنسان وفيه يعلق المدلاح (وهو وعاء من مشغولات الخوص اليدوية) الذي يوضع بداخله ما تبقى من خبز الفطور مثلاً أو البطاطا الحلوة المغمية (المدهورة). وفي الأعياد لحفظ اللحم المخلل والمملوح بعدما يعصب في عود من نخلة الشوغلي أو الفحل التي تتميز بحجم أشواكها الكبيرة.

ـ **العطفة :** وهي مقتطع من الضيقة من مدخلها الأمامي وفيها يجلس كبير السن والمريض لدفئها وفيها يكون المخزن.

ـ **المخزن:** ويكون داخل عطفة الضيقة ويستخدم كمستودع لخزن المواد ووضع الثياب وله باب سميك نوعا ما ويقفل بقالودة من الخارج وفيه:

ـ **المودي:** وهو عبارة عن حوض مبنى داخل المخزن ومطلي بالجص يستخدم لحفظ التمور بعد تنقيتها ، وله ثقب صغير من الأسفل موازٍ للأرض (سر) وذلك لخروج (رُب) التمر إلى الخارج.

ـ **المغسي:** وهو عبارة عن اثنين أعواد من الممترير أو الساج أو خشب النخيل ممتدة من الجدار إلى الجدار وتوضع فيه الفرش والمكل وغيرها.

هذا وتفرش الضيق بالمكل أو السلق وهي مشغولات يدوية من الخوص ، والميسور الحال يفرشها بالحصير المصنوع في الخارج.

(هـ) المطبخ:

ويكون مطبخ المبنى الريفي كبيراً إذا ما قورن بالمطبخ المدني وفي جميع الأحوال يكون مسقوفاً مثل السقف نفسه للمبنى ويوجد بداخله:

ـ دكة المرهاه: وهي لا غنى عنها في الريف حيث توضع عليها المرهاة لطحن الحبوب يومياً للوجبات الغذائية. والمرهاة عبارة عن حجرة كبيرة مقوسة تطحن عليها المرأة الحبوب وبالذات حبوب الذرة والمسيبلي بحجرة طويلة اسطوانية الشكل تصغر عند طرفيها تسمى (العالي) ، وعملية الطحين على المرهاة تقوم بها النساء وتمر بعدة مراحل قبل نقلها إلى التنار منها: الجريش والرهي والرفاخة ثم فرشه باليد ودهره.

ـ الموقد: وهو عبارة عن ثلاث حجرات متساوية الحجم ، توضع على الأرض بشكل مثلث ويمحض غلافها بالطين من الخارج وتستخدم لطهي الأكل. ويكون لبعض المباني ذات الأسر الكبيرة أكثر من موقد في المطبخ.

ـ المصناع: ويبنى داخل المطبخ على شكل المخزن ولكنه بحجم صغير جداً لا يتعدى حجم الميز المكتبي وهو يسقف بألواح صغيرة وتكون له فتحة واحدة فقط وعادة ما يبنى المصناع في إحدى الزوايا وتسمى الزاوية عندهم بـ (الضُبْرة) ويستخدم لتخزين الحواجات والزيوت والحاجات الأخرى.

ـ الرفقة (الوتد): سبق وقد تحدثنا عنها في مكونات الضيقة ولكنها في المطبخ يختلف استخدامها فقط من حيث أنها لا يعلق عليها إلا أدوات الأكل من (تفلة

ومسارف وقفف ووو) وهذه من المشغولات اليدوية الخوصية للنساء ، وسنعرف عنها الكثير إذا ما تحدثنا عن أعمال النسوة.

ـ أدوات الشرب: وأهمها ترتيباً حسب سعتها: الكالية والزير والجحلة والكوز وكلها من الأعمال الخزفية، والمقتدر من يملك هذه الأدوات جميعها بيد أن الزير والجحلة للجميع.

(و) الحَمّام التقليدي:

ويسمى (زولي) وهو لا يختلف من حيث الهيكل والاستخدام عن الحمام الحديث، بيد أن الاختلاف في المراحيض واستخدام الماء وما أضيف من أدوات متطورة. فالحمام التقليدي يبنى من دورين مسقوفين بخشب النخيل ، ولمكان الاستعمال فتحة مستطيلة لا تتعدى أطوالها عن اثني عشر بوصة في ست بوصات تسمى (خمبارة) باقلاب ، ويجلس المرء على دكتين صغيرتين على امتداد هذه الفتحة المستطيلة التي لا يتجاوز ارتفاعها عن ست بوصات. ويكون الدور السفلي للبراز الذي يستخدم كسماد (دمان) للزراعة بعد التجفيف والتصفية وفصل الأحجار الصغيرة منه التي يسمونها (نجو) ويطلق على هذا السماد زراعياً في الريف مصطلح (العِذرة) ثم إضافة الرماد أو روث الأغنام عليه قبل استخدامه كسماد للزرع.

ومن المفيد أن تعلم أن سطح المكان المستخدم في الحمام التقليدي عادة ما يكون مجهزاً بالجص لمنعه من الحفريات عند استخدام الماء لطرد البول إلى الخارج من فتحة المرعاض.

(ز) الدرع:

ويعني الحوش ، ويقع في الجهة الخلفية للمبنى وفيه:

ـ التنار: أو التنور المستخدم لطهي الأكل وبالذات الخبز والسمك ، وتختلف أحجامه باختلاف عدد أفراد الأسر ، وهو من الأعمال الخزفية. ولإشعال النار فيه

لا بد من وجود الحطب الخفيف كحطب الراك والخنور وغيرها ، إضافة إلى سعف النخيل اليابسة ، وهي عندهم لها ثلاثة أقسام: الطرف الغليظ يسمى (الكَرَب) والأصغر منه ـ أي العود ـ ويسمى (الجِزِم) والباقي يسمى (خوص) والسعفة بكاملها إذا كانت يابسة تسمى (قصم) وتجمع على (قصام) ، وتسمى عملية الطهي في التنار (دهير) أو (دهرة) وهي من الأعمال الخاصة بالنساء.

ـ **الرحى:** وهي عبارة عن حجرتين دائريتي الشكل بقطر اثني عشرة بوصة تقريباً ، توضعان فوق بعض ، ومثبت في الحجرة السفلى مسمار غليظ متجه نحو الأعلى وفي الأخرى فتحة دائرية صغيرة تركب على المسمار وأحياناً يكون لها قطعة حديد مثقوبة لمنع تآكل الحجرة العليا وفيها تطرح المرأة الحبوب للطحن. كما تثبت في الحجرة العليا قطعة من الخشب تسمى (الكلع) لتمسك به المرأة ويساعدها على دوران الرحى. وعادة ما تستخدم الرحى في طحن حبوب الحنطة (الدخن).

ـ **العريش:** أو الزريبة وفيها توضع الأغنام وتكون في إحدى زوايا الدرع وهو معمول من جذوع النخيل كركائز وسعفها للسقف.

وعلى الجانب الآخر يرصن الحمار في ثقب في الأرض يسمى (خِيَّة) إذا كانت الأرض جبلية أو يثبت في الأرض قطعة من حديد وتوضع بجانبه أدواته من بردعة وشوار ولجام وغيرها ، ووسط الدرع يستخدم لعرض التمور لآشعة الشمس لتجفيفها على سعف النخيل وتسمى (السرفة).

ـ **الفاضلة:** وهي المكان المسقوف بجذوع النخيل في جزء من الدرع لغرض تنقية التمور وتصفيتها من الشوائب بعد تجفيفها في السرفة ليتم نقلها إلى المودي في المخزن، وأحيانا يكون في الفاضلة مخزن صغير لحفظ الأغراض أو الخل بعد تعبئته في أوعية

مصنوعة من خزف تسمى (مرطبانات) وواحدها (مرطبان).

- **البئر:** ويكون لأكثر المباني بئر خاصة به للغسل والوضوء وتحفر على الحافة الخارجية لأحد الجدران وتسور من الخارج بنفس مواد البناء للجدران ، ويركب عليها الدلو (الغرب) والرافعة (العجلة) المصنوعة من الخشب ، إضافة إلى الحبل المصنوع من شجرة السلب أو ليف النخيل ويسمى (السِّرِه) وتجمع على (سرين).

(ح) المسلف:

وهو الباب الخارجي من جهة الدرع ويكون حجمه ضغيراً أقل بكثير من السدة ، ويكون على فردة واحدة ، وله مغلقان أحدهما من الداخل ويسمى القولدة أو القالودة ، والثاني مشترك بين الداخل والخارج عبر فتحة صغيرة ويسمى لولب.

٣-٢-١- المباني غير السكنية:

وتستخدم هذه المباني لأغراض أخرى غير السكن فلم تخصص للسكنى كما هو معمول به في المباني السكنية ، فهي على نوعين: أما أن تكون للحراسات العامة والخاصة أو للمنافع الأخرى كالخزن وغيرها ، والأرياف غنية بهذه المباني. فالنوع الأول يكون مشتركاً بين المدينة والريف من حيث الأستخدام ، والنوع الثاني خاص بالريف ولا يوجد له مثيل في المدينة.

(أ) توصيف الحصون والقلاع:

الحصون والقلاع تكون مبنية بنفس المواد الخام التي بنيت بها المساكن والمساجد ، إلا أن الحصن والقلعة يتكونان من أكثر من دور وعادة ما يبنيان على هضبة مرتفعة وهما مخصصان للتحصين وتسيير الأمور والدفاع عن القرية ، وقد كان للريف نصيبه من الحصون والقلاع. ففي قرية تبالة يوجد الحصن الذي ما زال قائماً إلى هذه اللحظة

ويسمى (حصن القعيطي) ـ كما هو مخطوط على بابه الرئيسي ـ وتوجد بها القلعة التي بقيت آثارها إلى اليوم وتسمى (قلعة ابن الشيخ علي) ، بينما في قرية معيان المساجدة تهدم حصنها المسمى (القفل) وبقي بها بقايا من حصنين اثنين يعتقد أنهما لآل بريك بسبب التسمية المتداولة ، أما في قرية الحبس لازالت بقايا الحصن موجودة فيها.

(ب) توصيف الأكوات:

واحدها (كوت) وكلها مبنية من الطين الحمراء (القاصة) على شكل مدر فوق التلال المحيطة بالقرى وبعضها الآخر مبني على سطح الأرض المستوية ويقال لها (نُوَب) ، وتكون الأكوات على دورين ورقادها عبارة عن أعواد فوق بعضها في إحدى الزوايا لتنتهي بفتحة لمرور الإنسان منها إلى الدور العلوي. ويقال أن فيها فتحات صغيرة ترى منها الكوت الآخر. وتستخدم الأكوات كنقاط مراقبة للحراسة وللسكن أيضاً وهي كثيرة العدد. كما تستخدم للتواصل بين المناطق وتوصيل الأخبار كهلال شهر رمضان وهلال العيد ووصول السيل وغير ذلك ، باستخدام شفرة التواصل بينهم بعدد الطلقات. ففي قرية معيان المساجدة ومحيطها يوجد فيها ما يقارب من عشرة أكوات ، ناهيك عن أكوات تبالة والضارب باتجاه الشحر التي تقارب هي الأخرى العشرة أكوات وكلها لا زالت موجودة الأثر. وكلها تتشابه في شكلها وفي موادها المستخدمة في البناء وبالذات الطين الحمراء (القاصة) ، وللفائدة أن تعرف أن الكوت أصغر من الحصن والقلعة مساحة.

(ج) توصيف المراتب:

ومفردها (مرتبة) هي عبارة عن غرف صغيرة مبنية على المرتفعات من الحجر الصغير فقط والمترابط بعضه ببعض ، ويبنى جافاً بدون ماء أو خلط بطين أو جص

ويسمى هذا النوع من البناء محلياً بـ(الترييش) وهي تستخدم لغرض شراحة الأرض المزروعة من الحيوانات والناس أيضاً.

(د) توصيف السقايات:

وتبنى من الحجر والجص على سطح الأرض المستوية وتسقف بعكف ويكون مكان الماء مهوى بفتحات من الاتجاهات الأربعة ، وتشبه في بنائها الجزء العلوي لمنذنة المسجد (المنارة) ، وارتفاعها في الغالب لا يزيد عن المترين وهي كثيرة الانتشار في الأرياف وعلى الطرقات السالكة.

(هـ) توصيف العكوف الأرضية:

والبعض يسميها (المعَشّة) وهي مبنية من الأحجار والجص على سطح الأرض وفي مجرى السيول الصغيرة ، يكون بأسفلها فتحات كبيرة لمرور السيل ومن فوقها ساقية بحسب عرض العكف لري الزرع من المياه الطبيعية المتدفقة من العيون وهي ما تشتهر بها الأرياف. وفوقها ينتقل المشاة من جهة إلى الأخرى المقابلة قاطعاً مجرى السيل.

(و) توصيف البوائك:

ومفردها (بائكة) وهي مبنية من الطين (المدر) وأحيانا تبنى بالطين مع الحجر وتكون من دور واحد فقط ولكنها تتميز عن المباني الأخرى بارتفاعها العالي ، وهي متسعة المساحة ولها باب واحد كبير يسمى (السدة) وتقوم السقوف على قوائم طويلة تسمى (السواري) ومفردها (سارية) وليس بها عكوف وإنما تسقف بأخشاب الميدع ، وتُمدد على رأس السارية إلى الأخرى ثلاث من أقوى الأخشاب حيث تُعصب بحبل لوضع أحد أطراف أخشاب السقف عليها وتسمى (قواسم) ومفردها (قاسم) ، وتتهوى البائكة بالمناور القليلة ذات الحجم الصغير.

وتستخدم البائكة كمستودع خزن وورشة لأعمال التبغ (التنباك) من فرز وتنسيق وتحديد جودته ودرجاته ويسمونه (تصنيع) ولا يوجد مبنى البائكة إلا في القرى أو المدن التي تشتهر بزراعة وانتاج التبغ في حضرموت مثل مدينة غيل باوزير ومعيان المساجدة من أرياف الشحر.

(ز) توصيف الجوابي:

ومفردها (جابية) وهي عبارة عن حفر كبيرة تحفر في الأرض وتبنى جوانبها من الحجارة والجص وترتفع قليلاً عن سطح الأرض كما يجصص قاعها بدقة واتقان لمنع تسرب المياه. ووظيفتها حفظ مياه الري كون الماء المتدفق إليها عن طريق الأفلاج (المعايين) ينبع من العيون باستمرار ليل نهار. وهي كثيرة ومنتشرة في كل الأرياف الشحرية.

وكل واحدة منها تقريباً على مساحة مربعة إجمالية ١٤٤ متر مربع أو تزيد وربما تنقص عن ذلك ولكن هذا الرقم يكاد يكون متوسط مساحة الواحدة ، والكثير من الجوابي لا زالت قائمة ومنها ما اندثرت ولا زالت آثارها باقية إلى اليوم.

(ح) توصيف القباب والأضرحة:

والقباب التي نقصدها ما بني كأضرحة للموتى وهي مبنية من غرفة واحدة من المدر المجصص أو من الحجارة والجص وكلها تجصص من الداخل والخارج، ويكون لها أشكال في أركانها العلوية كالأشكال التي تبنى على المساجد ولها باب صغير وأحياناً مناور من الأعلى ، وبداخلها يرتفع بناء القبر نوعاً ما عن الأرض بالحجارة والجص وهي خاصة وليست لجميع قبور الأموات ، ولبعض هذه الأضرحة زيارات موسمية.

٣ـ١ـ أعمال الخوص:

قال المحضار:

وكل من دخلت تجي معهـا تفـــال وإلا مســـارف مفردة وإلا شكـــال

ومقيش شغل النخل تحسبهن حبال

من بعد ما تكنس يصلحن للرشـين [٢٥٢]

وقال أيضاً:

كلما اتزرزرت عالناس جاء ريح نسّم

ربنا لي عطى من خـــير واسع وقسّم

ما قسّم بالزنابيل[٢٥٣]

من المشغولات الخوصية اليدوية التراثية التي تكثر في الأرياف نذكر منها ما تعلق بشعر المحضار في البيت السابق، وهي خاصية جبلت عليها النساء الريفيات، وهذه المشغولات تُعمل في داخل البيوت نظراً لتوفر المادة الخام لها والتي تعتمد أساساً على خوص النخيل (القلبة). ومن هذه المشغولات:

التفال: وهو مائدة مستديرة مصنوعة من خوص النخيل، ويستخدم التفال لتقديم الأكل يقدر قطره بحوالي ٧٠ ـ ٨٠ سم كأكبر حجم وإطاره مقوس أي مرتفع عن سطحه بقليل. كما يلون مركز دائرة التفال بالألوان الأحمر والأخضر والبنفسجي.

المسارف: مفردها (مسرفة) وهي أصغر حجماً من التفال، بينما لا يكون إطارها الخارجي مقوس، وتستخدم لتسوية العجين وتقريصه قبل إدخاله في التنور. والمارف لا يستخدم اللون فيها غير اللون الطبيعي.

الغطاء: وهو أصغر حجماً من المسرفة، وتقدم فيه الوجبات السريعة كالتمر وبسط ضحوة (أكلة الضحى)، ولا يختلف شكله عن التفال إلا في الحجم فقط.

وهذه المشغولات تمر بمراحل أولها السفيف (السيفة)، وثانيها الشراجة حيث تمسك المرأة مشغولاتها أثناء العمل بعود خاص يسمى (المقصع) وهو عود خيل النخيل المسمى (المطي). ولكل واحد منها معلاق من الخوص تعلق به.

المقيش: وهي مكانس تصنع من سعف النخيل لتواكب تنظيف الديار الطينية.

الزنابيل: وهي أوعية خوصية صغيرة لحفظ التمر والخضار والفواكه في البيت، كما يستخدمها المزارع في المزرعة، ومنهم من يطلق على الزنابيل مداليح ومفردها مدلاح.

وهناك أوعية خوصية أخرى كالقفف ومفردها (قفّة) تستخدم لحفظ الخبز في البيت. والكنف وهو عبارة عن وعاء يشبه المحفظة مكون من قطعتين واحدة يوضع فيها الخبز والسمك والأخرى غطاء لها، ويربطان بحبل طويل من الخوص أو من خيط البرو القطني.

ومن المشغولات الخوصية الأخرى صناعة المكل (تفرد على مكيل) والمراوح اليدوية والمقيش (المكانس). وصناعة العطير ويستخدم في الأخيرة خوص سعف نخيل العَزَف ولها استعمالاتها الكثيرة خاصة كحبال. ولنسمع قول المحضار في ذلك:

حد يقســـم الريح المعطر وحد يفحـــس في عطيره
كلين في ما يصنعـــه حر با اتروح آلاف الحـــراير
با برّد الفاير إذا حر
وانته صبر لا توكله حار[٢٥٤]

الفصل الثاني

التراث الشعبي البدوي

١ـ٢ـ العرف البدوي:

١ـ١ـ٢ـ ذكر بعض القبائل:

يختلف التراث الشعبي البدوي عن التراث الشحري والريفي في الكثير من العادات والتقاليد وحتى في المأكل والملبس والمأوى ، فلهم خصوصياتهم القبلية المتبعة ولهم قوانينهم وأعرافهم الموضوعة والمتعارف عليها بينهم منذ القدم ، وإن تمدنوا في هذا الزمان إلا أن بعضها لا يزال معمولاً به ، بيد أن البعض الآخر منها قد عفا عليه الزمن ولم يعد متداولاً بينهم.

ونحن هنا نهتم أكثر ما نهتم بالتراث والموروث الشعبي ، فلهذا سنبحث عن بعض العادات والتقاليد المنقرضة وندلل بشيء من شعر المحضار ، ولكننا نبدأ أولاً بذكر بعض من كان يعايش هذه العادات والتقاليد بذكر بعض أسماء القبائل الحضرمية وهي تقطن مناطق مختلفة في الساحل والوادي والصحراء.

قال المحضار:

نـــوّح وسيبـــان تشهد والحمـــــومي والزيـــه
كنـــده وهمـــدان والنهـــــدي وكل البـــــاديه
لي كـــيرهم يرشن وعاده لم يزل لاصي ورشـــــان
كل من يحـــب الزيـــن ما يســأل عن الأثمـــــان[٢٥٥]

وطالما أنا خصصنا البحث عن الشحر وما جاورها فلنا أن نركز على بعض القبائل المجاورة للشحر كالحموم وسيبان مثلاً ، فمن قوله:

كنا حمـــــومي وسيباني
إذا حملينا نحمـــل عرابه
والقطيره ما تنسع قطيره
نحط سيب ونشد القطار[٢٥٦]

نلاحظ هنا أن المحضار قد تقمص شخصية الحمومي والسيباني وذهب إلى أبعد من ذلك حين تكلم بلهجتهم (حملينا ، عرابة ، سيب ، نشد) وهي مفاخرة بحمولة البعير العرابة ، وهي خاصية في بعض الجمال التي يطلق عليهن بالعرابة (أي الذكية) ، ولتوسع المحضار في اللهجات حديث آخر ولا يعنينا هنا غير الحديث عن التراث البدوي. ومن عادة البادية عند الرحال أن يجعلوا حادي القطيرة جمل عرابة وتتبعه جميع الجمال.

والبادية يقطنون في مساكن من أكواخ وتسمى المجموعة منها بالصروم أو الصرم وهي عبارة عن تجمعات لنسائب منهم وتكون بعيدة عن ضوضاء المدينة ، وقد حدد المحضار موقع الصرم في البيت التالي:

الصرم ما هـــــو في القبـــــالي
لا عبرت العيص تلقاها منك وثم
مردودها حنا
وما ذي السنة يا رفيقي صرعهم دوم[٢٥٧]

والقبالي الذي ذكره المحضار في البيت السابق هو مركز تجمع لبعض القبائل من الحموم ، أما العيص هي بلدة زراعية ولها عادات وتقاليد البادية.

ولكل أسرة بدوية صرم خاص بها ، وهو عبارة عن خيم أو عروش (أكواخ) تسكنه باقتناع ولا تنفك تهجره إلا لغرض الترحال خلف الخصب والمطر قصد الرعي لتعمل عريشاً آخر بدلاً عنه. وهذا ما يؤكد تسميتهم بالبدو الرحل. ومما يؤكد ترحالهم قال المحضار:

نا لي طلقت الحلـــــــــق والعرا
بعد ما كان يمشي عمـــر عا الركب
جبت له شغـــــــــــل باداس
ودّاه صاحبي إلى أرض الحموم[٢٥٨]

٢.١.٢ـ ذكر بعض الأعراف البدوية :

والمحضار لم تغفله قوانين البادية وأعرافهم وبعض عاداتهم وتقاليدهم وهنا نذكر ظاهرتين اجتماعيتين استمرتا فترة من الزمن ثم انقرضتا وهما:

(أ) العنو:

قال المحضال في حوار بين القروي وبنت البادية:

البدوية: عنيت منك
القروي: وعنوش أيش يعني؟
البدوية: العنو ناقة وعربي في قداها
وعادني با طلع با صيح في الزي
با جيب لك بوي وأمي من خباها
واعوه واعوه يا هوشي دركني
وا باه وا باه بنتك ويش بلاها[٢٥٩]

العنو وهو ما يلزم الرجل ويعلق به بسبب الإساءات التي سببها بالمرأة الأجنبية (التي من غير محارمه) فعلاً أو قولاً. وأصل العنو الذل والخضوع كما جاء في تفسير الرازي ، وقال كذلك ابن فارس ، وجاء في القرآن الكريم ﴿وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلحَيِّ القَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾[٢٦٠] والعنوة بمعنى القهر كما يقال: أخذناها عنوة أي قهراً بالسيف.[٢٦١] ويشترط لذلك في العرف البدوي أن تظاهر المرأة بالعنو بصوت مسموع بقولها: (عنيت منك) وتشهد على المعني منه بما لا يحدد من الشهود وإن كان واحداً فقط ، ويعقد لذات الغرض مجلس خاص يسمى مجلس القبيلة وغالباً ما يكون في فترة العصر ، ويدفع المعني ما يقرره المجلس تعويضاً لتلك الإساءة حسب رضا المعنية بالإساءة كتأديب له على سلوكه المخل بالعرض ، وغالباً ما يكون من الجمال والنوق المشهورة. أما الإساءة فهي لا تتعدى اللفظ بالزواج أو ما يدل عليه بحضور أحد أقارب المرأة ، ونادراً ما تكون لمساً خفيفاً باليد. والعنو لا يكون إلا من المرأة فقط بسبب إساءة الرجل الأجنبي لها ، ولا بسبب إساءة المرأة للمرأة ، ولا بسبب إساءة المرأة للرجل ولا من إساءة الرجل للرجل.[٢٦٢]

(ب) الرفقة :

هي أن يأتي ابن عم العروس يوم الوليمة إلى مكان الطبخ قبل تناول الغذاء ويقول: (الطست مرفوق) يعني لا يمكن التصرف بالغذاء إلا بإذني وأن هذا الزواج الذي يتم برجل غيري ومن خارج الأسرة ليس بصحيح ، ويبطل بذلك الزواج ويتحمل تكاليف الزواج كلها ، أما العريس فلا حول له ولا قوة وعليه الامتثال للعرف القبلي المتوارث والمتفق عليه ، وهذه العادة قد عفا عليها الزمن منذ وقت. ولا تكون رفقة العروس إلا من قبل ابن العم فقط ولا يسمح بها لغيره ، وابن العم

لا يقدم على هذه الخطوة إلا إن كان مقتدراً على دفع التكاليف التي تحدد من قبل القائمين على الزواج بعد التفاوض حينها ، ويصبح ابن العم هو العريس الحالي ، أما قبول أو رفض العروس له لا يؤخذ عليه في هذه اللحظة. ولهذا تؤجل عملية عقد القران في زواج البادية قديماً إلى ما بعد إتمام مراسيم الزواج بأيام تحسباً للرفقة. ومن جانب آخر فإن الإعلان عن أي زواج بدوي يكون مسبقاً بعدد من العرسان ويحدد تاريخه ، ثم يتزايد العدد بل ويتضاعف إلى اليوم المحدد له ، وربما يلحق بهم البعض ليلة الحراوة. وجميع العرسان يشاركون في التكاليف بالسواء بقدمة أولية تقديرية تدفع للمقادمة المتعهدين أو للجنة الخاصة بالمراسيم ثم يدفع الباقي إذا تطلب الأمر أو ترد إذا كثر العدد ، وكلما زاد العدد قلت التكاليف.

٢ـ٢ـ تربية الغنم ورعيها :

قال المحضار على لسان بنت البادية:

أني من البادية رسلوني أهلي وعطوني البهم يبغوني رعاها

١ـ٢ـ٢ـ الرعوة:

من أهم أعمال البادية رعي الغنم حيث تقوم كل أسرة بدوية بتربية عشرات الأغنام إن لم نقل المئات ، وأكثر من يقوم بهذه المهنة من الأسرة هن النساء ، وتعتمد الأسر البدوية في دخلها على بيع بعض منها ، كما تستفيد من لبنها يومياً. وقد يطلقون على صغارها بالبهم ولها تربية خاصة في الغيران حتى تكبر. ومن مزاياهم أنهم يربون مع الأغنام كلباً يدربونه للحراسة.

وعن الرعي قال المحضار:

يوم الكرع في القلت ردوا عا سؤالي
جواب شافي بعد طول السؤال
بعض النشر ترعي الزبد والبعض يرعين السلالي
والراعية ما تعرف النافع من الضار[٢٦٣]

وقال أيضاً:

كلين من صوبه يصالي
يتعب الراعي وتعبان مولى الغنم
ما باك تحسدنا
في السوق عا بيعة البسباس والثوم[٢٦٤]

وتربية الغنم بأعداد كبيرة ورعيها يحتاج إلى مساحات كبيرة ، ولهذا يعمد البادية في الصرومات البعيدة والتي تتسع لهم ولأغنامهم ويسكنون الوديان وتحت الجبال لكنان أغنامهم من برد ومطر ورياح وغيرها من الظروف الطبيعية بإدخالها الكهوف والغيران.

٢.٢.٢.المنيحة:

تكررت لفظة المنيحة في أشعار المحضار ، وكل منيحة الهدف منها الحليب ، ومن شيمة البادية أن يربوا لكل طفل شاه خاصة به لتربيته على لبنها تسمى منيحة، ويحيطون بها بعناية فائقة ويخصون لها من الأكل ما شاء الله وعلى لبنها يعتمدون. وعادة ما تؤخذ الشاة المنيحة بعد ولادتها بفترة قصيرة لوجود اللبن فيها. والمنيحة ليست حكراً على أبناء البادية فحسب بل يستخدم لبنها لأبناء الريف والمدينة على حد سواء ، ومنهم من يغذيها بالتخ (البقايا الصلبة بعد عصر السمسم) ويغدق عليها بالحلبة والرضيح (نوى التمر المطحون) والشعير كتغذية خاصة حتى تدر باللبن.

قال المحضار:

يوم رضحوا لها درّت ولقت حلابه

والضروع امتلت

من لبنها يشربون السقل والشيابه

كل من جاع فت

كن ماشي ربت

يصبح الكيس فالت

ما اعتنوا بالمراصين[٢٦٥]

أما ما ذكره المحضار عن كيس قماشي خاص يثبت على ضرعي الشاة خوفاً من رضاعة صغارها لها ، فهذه الخاصية تكثر في المدينة والريف ، أما البادية فيضعون بعض الروث على حلمتي ضرعيها بعد إرضاع صغارها في الباكر وقبل خروجها إلى الرعوة. ومن ميزة أهل البادية أنهم يصنعون من اللبن الروبة والسمن البلدي. وكما يربون الأغنام يربون أيضاً الجمال والأبقار ويستفيدون من لبنها للصغير والكبير كما جاء في قول المحضار:

منيحتك كانت تسوي حلابه

وتفت منها للسقل والشيابه

واليوم قد ضعفت وقد ظهرها تشييب

عافت مراعي الراك

كل من استامن عا زمانه يصلح له يا صاحبي قل له خرب مبناك[٢٦٦]

وفي البيت التالي يظهر المحضار الرفق بالنوق عند حملها بقوله:

بشيش عا أم اللبن ومنيحة الأطفـــــال
تحمّلت شي فوق طاقتها من الأحمـــــال
بركت وعزوهـــا الرجـــــــــال
ومكانها تضلع تداركها بكيّه من مكاويك

٣ـ٢ـ السَّلَب والقناصة:

قال المحضار:

لي رتبوا في رسب والسفـــــــيله
بأسلاب بلجيك ما حد معه بو فتيـله
بعض السلب زين ما شي مثيـــــله
تسمع قروحه ولا تنكر الدخان(٢٦٧)

يقول البادية للسلاح سلب ، ولابد لكل بدوي اقتناء السلب كمكمل لشهامته، وكونه يعيش في القفار وفي غيران الجبال ، ويعتبره حماية خاصة له من الحيوانات المفترسة ، ولهذا يعتبره البدوي خاصية له ولكل قبيلي بوجه عام. وأعتقد أن أول بندقية عرفها البدوي تسمى أبو فتيلة ثم عرف الأسلحة الأخرى (البنادق).

وما يتميز به البدوي منذ القدم عملية القناصة ، وهي تهتم بقناصة الظباء والوعول وما يندرج تحت مسمى (التيوس الجبلية) بمختلف مسمياتها المحلية نتيجة لقرب البدوي منها في الجبال. وفي البيت التالي للمحضار يؤكد على قناصة الظباء والوعول ولا شيء غيرها من الحيوانات الأخرى مثل الثعالب وما جانسها كما في قوله:

لي سرح جاب القناصة سويدان ما هو ثعل وعويش ذيله

والقناصة جابها من عشية خلا العرب مرة يشهدون[٢٦٨]

وأهم ما يميز القناص دقة الرماية وإصابة الهدف ولو من مسافة بعيدة ويسمونه (مناصع) ويسمون الهدف (نصع). ولتوضيح القناصة ودقة إصابة الهدف من أول رصاصة قال المحضار:

يهناك يا قانص حكمت القناصة وعزمت ورميت الوعل من رصاصة

يا ريت من عينتك جم في بلادي

لك با يغني الطـير

شوقتنا يا ظبي لونك رمادي عامد شعاب الخير[٢٦٩]

٢.٤ـ اللباس والزينة:

يختلف لباس البدوي وزينته عن أبناء المدينة والريف حيث يكون لباس الذكر منهم الفوطة المصبوغة بالنيل الأزرق الغامق ويسمونها (صبيغة) وإذا وصل طولها سبعة أذرع سموها (سباعية) ، وللصبيغة صناعة خاصة بها تحدثنا عنها في التراث الحرفي والمشغولات اليدوية تحت عنوان (الصباغة) ، حيث يلتف حولها ويلف طرفها على خصره ويسميه بالعصرة ، أضف إلى ذلك لبس الرادي المصبوغ بالنيل كما يلبس الحذاء الجلدي. ويطلق لحاه وشعر رأسه ويعمل خداً على امتداد وسط الرأس ، ويسدل شعره للخلف ويعصبه ويسمى بالعكفة. وحتى لا نعيد الحديث عن اللباس نؤكد فقط على أن هذا من اللباس التقليدي للبدوي. أما صغارهم فيلبسونهم قطع صغيرة من الفوط ، وللنساء أثوابهن المصبوغة والمطرزة.

ومما يتميز به الرجل الشاب لبس العضاد على مرفقه وهو حلقة مصنوعة من الفضة الخالصة ، ويتباهى البدوي بلبسه كونه قد قوي عظمه واشتد ساعده وبالإمكان الاعتماد عليه في المخاطر والخطوب والذود عن حمى القبيلة. كقول المحضار: (وقدني اليوم ذا لابس عضادي)

ومن ميزة المرأة البدوية أن يوشم وجهها وبالذات تحت الشفاه السفلية ويثقب أنفها لتلبس فيه اللازم الفضي وهو حلقة مستديرة من الفضة ، كما تثقب أذنيها عدة ثقوب وتتزين فيها بالأقراط الفضية ، كما تربط خصرها بالحزام الفضي.

الفصل الثالث

التراث العلاجي التقليدي

٣.١ـ التداوي بالأعشاب:

قال المحضار:

من حب حد دفاه ما بيّته في الهـــــــمله ولا في الطل
في المحضـــــــــــــــرة أم السهم ما هو في المطوال
نعمة من المولى وماء صافي شرب في الحوض وتغسّل
وحذر توسّخ حوضنا وتجيب غسة علب وغسول[٢٧٠]

يمكن تعريف الدواء بأنه أي مادة تستعمل في تشخيص الأمراض التي تصيب الإنسان أو الحيوان ، أو التي تفيد في تخفيف وطأتها أو الوقاية منها. حيث نشأت المداواة مع الألم ، والألم قدر الإنسان من مهده...[٢٧١] وقد حاول الإنسان منذ فجر التاريخ أن يعالج نفسه بنفسه. ومما جاء في القرآن العظيم قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.[٢٧٢] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.[٢٧٣]

وقد أكد النبي الكريم عليه الصلاة والسلام على المداواة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء).[٢٧٤] وعن عبد الله بن مسعود يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم: (ما أنزل الله داءً إلا قد أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله).[٢٧٥] وفي الزوائد إسناد حديث عبد

الله بن مسعود صحيح ورجاله ثقاة) وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عزوجل)).[٢٧٦] وعن أبي الدرداء رفعه: (إن الله جعل لكل داء دواء فتداووا ، ولا تداووا بحرام).[٢٧٧] وأن الله تعالى قدر الأسباب والمسببات ، ربط المسببات بالأسباب ، فحصول المسببات عند حصول الأسباب من جملة القدر.[٢٧٨]

وقد اكتشف الإنسان القيمة العلاجية للأعشاب منذ القدم وربما ارتبطت تسمية بعضها بعلاقة وصفية بالحيوان أو لاقترابها من الشبه به ، نظراً للعلاقة الأزلية بين العشبة والحيوان ، فأطلق الإنسان على بعضها تسمية: لسان الحمل ، ولسان البقرة ، وشوكة الجمل ، وغير ذلك من التسميات.

والشحر وأريافها وباديتها اتخذت من العلاج بالأعشاب تقليدا طبياً يتجه إليه أنظار الناس للتداوي وطلب الشفاء على مر الأزمان ، من خلال تجربة إنسانية طويلة المدى امتدت قرون وقرون عند نشأة المدينة وإلى يومنا هذا. والأعشاب متوفرة على هذه الأرض وتكونت من مكونات هذه الأرض التي تكوّن منها الإنسان ، واستطاع عبر التاريخ والخبرة المكتسبة من التداوي والاستعمال أن ينمي علاقته بالأعشاب واستخلاص الدواء منها. وقد انتشر الكثير من المداوين بالأعشاب وفتحوا لهم عيادات خاصة احتضنتها بيوتهم ، وأشفعوا ذلك بالصيدليات الخاصة بهم ، وحظيت هذه العيادات بالاهتمام الكبير من قبل المرضى نظراً لعدم وجود التطبيب الحديث في المدينة إلا بعد منتصف القرن العشرين. وحتى هذه العيادات الخاصة بالتداوي بالأعشاب لم تعرف الصيدليات الخاصة إلا قريباً بينما كانت تباع الأعشاب قديماً في دكاكين المعطارة ولا زال بعضها يقوم بهذا العمل إلى اليوم. بيد أن العطار تاجر

وليس طبيباً ، ويصرف الدواء العشبي حسب الوصفة الطبية. وفي ما يخص الإنسان الريفي والبدوي يجد بغيته من الأعشاب في البيئة المحيطة به سواء كان في المزارع أو في الجبال والوديان المنتشره حوله ، وما عليه إلا أن يعمل بموجب تعليمات المداوي بها. وأكثر التعليمات تكون أما بدقها أو طحنها ثم خلطها مع بعض أو مع مواد أخرى موجودة في البيئة كالعسل مثلاً ، وتختلف استعمالاتها داخلياً عن طريق الفم أو خارجياً كمسوحات ودهان أو غسول أو استنشاق بخارها بعد حرقها أو غليها.

وأرياف الشحر غنية بمنبت هذه الأعشاب مع كثرتها ويتم استخراجها وبيعها لأصحاب المعطارة أو محلات بيع الأعشاب في المدينة ، ولا يخلو بيت في الأرياف من بعض هذه الأعشاب التي تتخذ كمسكنات للألم أو مضاد للإسهال أو الإمساك وغير ذلك ، وربما تجد في أكثر البيوت الريفية صيدليات عشبية متكاملة.

٢-٣-العلاج بالعمليات التقليدية :

قال المحضار

لا شفت غلطة في تعاينك

يا المشتري رجّع العينة

ولا تطرح اسمك عا الصك

ومن طرح كيّه

عا البخص نجحت وداوت صاحبك هذاك لي صوبه غليل[٢٧٩]

١-٢-٣-الكي:

يقولون: (آخر العلاج الكي) وذلك لمن لم يجد علاجه في الأعشاب وغيرها.

والكي متعامل به ليس إلا في الشحر وما جاورها ولكن هذا العلاج الظاهرة منتشر في عموم حضرموت ، ساحلها ووواديها ولكننا ونحن نتحدث عن الشحر وأريافها وبداوتها نؤكد تداول هذا العلاج بين الناس وعلاج لمن فشل في علاجه ، بحيث يلجأ إليه المريض عند الضرورة القصوى ، والكي يتعامل به شخص خاص به يعرف مواضع الكي عند المريض باستخدام آلة خاصة بالكي تسمى المكوى على شكل علامة الجمع أو علامة الطرح (+ ، -) ، وبإمكانه استخدام السكين عند الضرورة.

والكي لا يكون إلا على البخص (موضع الألم) فإن ابتعد عنه فلا يجدي نفعاً ، لذلك لابد من التحسس أولاً قبل الكي. ومن ميزة الكي النافع إن لم يصبح جروحاً متعمقة فلا نفع منه ، أما علاج هذه الجروح فلا يكون إلا بزيت النارجيل فقط ولا تستخدم أية أدوية أحرى.

قال المحضار:

بشيش عا أم اللبن ومنيحة الأطفال
تحمّلت شي فوق طاقتها من الأحمال
بركت وعزوها الرجال
ومكانها تضلع تداركها بكيّه من مكاويك
لي ما كوى فوق البخص بلاش كيه ما يؤثر فيك[٢٨٠]

والكي آخر العلاج للإنسان والحيوان على حد سواء ، وتعطى بعض التعليمات للمريض من أهمها الترفق والمكوث في البيت بضعة أيام إلى أن تلتئم الجروح ويتعافى منها المريض ، فلا يفكر إلا فيها بعد الكي وينسى مرضه الأساسي. وأكثر الأمراض التي تعالج مباشرة بالكي مرض (الحالب) وأعتقد أنه التسمم الغذائي نفسه ، ومن

العجائب أن المرض في البطن (المعدة) والكي يكون في أسفل الرجل (العرقوب) ولا ندري ما العلاقة بين هذا وذاك؟ غير أن المريض يتعافى من الإسهال والقي مباشرة ، وليس هذا المرض المعروف بالحالب الذي يكوى بعيداً عن الألم فقط ، ولكن يكوى ألم العين المعروف محلياً بالخشع وراء الأذن ، والصدمة الشديدة من البرد والتي تؤدي إلى الغيبوبة فتكوى في الرأس وقد رأيت بنفسي كل هذه الحالات والغريب في الأمر أنها جميعها تعالجت من المرض. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

قال المحضار:

ليش تحكم وتلقي حكم مقلوبي
وليت وتخطيت حدك
كل من قفز يفتكر
يكويك لا انته بك الحالب
بغى له جبس شف كسرك ومعجون[٢٨١]

٢.٢.٣. التفحيس والتدليك والتجبير:

قال المحضار:

نيرانـــكم عادهـــا تلـــقي شـــرر
ودواكم الكي يا بيـــــــت القـــور
ما با يناسب مع أهـــــل الضـــبر
لي ولفوا الفحوسـة بالنـــارجيل
الصدق والكذب من صنع البشر
لكن لي يصنعون الصدق منهم قليل[٢٨٢]

(أ) التفحيس:

من العلاجات التي تستخدم لبعض الأمراض وبالذات آلام الظهر والسفْر عند الكبار وتفحيس الرقبة عند الصغار (الترقيب) ، ويقوم بها المتخصص فيه ويستمر التفحيس ثلاثة أيام كحد أقصى ويعتبر جزءاً من العلاج الطبيعي. والتفحيس يكون بواسطة زيت النارجيل أو زيت الجلجل (المعصرة) والأخير هو المفضل عند الجميع. أما أن المحضار ذكر النارجيل ربما لمؤالفة القافية والالتزام بها لا غير.

(ب) التدليك:

هو نوع من التفحيس ولكن يكون أكثر ما يكون للأطراف وبالذات الرجلين وأحياناً الظهر ، بيد أن مدته تكاد تكون أطول بكثير من مدة التفحيس ، بسبب التعامل مع العظام وكيفية تليينها وعودتها إلى طبيعتها التي كانت عليها من ذى قبل.

(ج) التجبير:

وهو أيضاً من العلاج الطبيعي لكسور العظام وله متخصصوه ، ويكون بمقابلة جزئي العظم المكسور ، ثم يكون تجبيرها باستخدام الأعواد أو باستخدام شعر الضأن والصُبُر حيث يطلى مكان الكسر بعد التجبير بهذه المواد ، ثم يربط بالقماش (الشاش) إن وجد أو أي نوع من أنواع القماش. ويبقى الربط لفترة إلى أن يجبر الكسر

٣.٢.٣.الحجامة:

وردت الكثير من الأحاديث في ذكر الحجامة والتداوي بها من بعض الأمراض كالشقيقة والصداع وغيرهما ، وتفضل أن تكون الحجامة يوم الخميس ، ويومي الاثنين والثلاثاء وهي على الريق أمثل ، وهي تزيد في العقل وتزيد في الحفظ. وقد جاء في صحيح البخاري قوله صلى الله عليه وسلم: (وقال إن أمثل ما تداويتم به الحجامة .....)[٢٨٣]

وقد عرفت الشحر الحجامة منذ القدم وكانت بطرق بدائية وبأدوات محلية ، على مدار السنة ، ولكن يكثر المريدون على الحجام في أوقات معينة كنجم الصرفة ثم يعودون بعد ثمانة أيام ويقال للحجامة للمرة الثانية (ثني) ، ثم اتسعت مهنة الحجامة وتعددت وفُتِحت محلات خاصة بها داخل المدينة. وهناك مهنة طبية تقليدية تشابه الحجامة ولكنها لا تستخدم الأدوات غير المشرط أو الموس تسمى (فشط). والفشط هو وخز خفيف على سطح الجلد بالمشرط أو بالموس لخروج الدم الفاسد كما يقولون.

٣-٣- بعض المعتقدات العلاجية :

١-٣-٣- التمسوح:

قال المحضار:

ليس لي في الحب أغراض قد قضى الله كل أغراضي
والطمع في الحب أمراض منه نا قد صحت أمراضي
مسحوني منه بالبيضة

والتمسوح ما يدرج على رأس المريض للمداواة وهو من الطقوس القديمة المتداولة ، حيث يؤتى بملء الكفين من حبوب الذرة ويضاف إليها بيضة دجاج ، وأحيانا قطع من المسامير ، ويدرج بها على رأس المريض ثلاث أيام وقت الأصيل وبالتحديد قبل غروب الشمس بقليل ، وتقال في أثناء ذلك بعض التمتمات الموجهة إلى الجان ومطالبتهم بالحضور ، ثم يطلب من أحد الأقارب أن يوزع الحبوب وما فيها حيث المكان الذي يعتاده المريض وبالذات في آخر يوم قبل مرضه ، فإن سقط المريض في مكان ما مثلاً تكسر فيه البيضة وهكذا.

وأحياناً يقوم الشيخ المعالج للمريض بكتابة غير مفهومة على القشرة الخارجية لبيضة أو بيضتين أو ثلاث بالقلم الرصاص ويطلب من ذوي المريض أن يكسروا البيض في صحن حتى يتسنى لهم رؤية النواة الموجودة في صفار كل بيضة بوصفها العين التي سحرت المريض وبالمقابل يحتفظون بالقشر لتبخير المريض به. ويشترط أن يكون البيض من الدجاج المحلي البلدي المعروف ، ربما أن بيضها يكون ملقحاً من الديوك الموجودة مع الدجاج.

٢.٣.٣.ضرب الرمل:

عادة ضرب الرمل ومثلها قراءة الكف والفنجان وغيرها مما شابهها في الهدف كانت تستخدم قديماً ليست للمداواة فحسب ولكن كان دورها التطلع إلى العلم الخفي بالتوقعات والتخمينات ، والحظ يلعب دوره فيها ، وهي لا يؤخذ عليها وإنما اتخذت كتسلية أكثر منها اعتقاد. والرمل عبارة عن قطع من خامات البيئة المحلية من بقايا فناجين مكسورة وبعض من نواة التمر وبعض أحجار الكلس الملساء وقطع صغيرة من الصفيح وبعض حبات الكهرمان وما إلى ذلك من قطع ، تأخذها المرأة الضاربة بالرمل بين كفيها وترمي بها في وعاء واسع وأحياناً على الرمل نسبة للتسمية ، وطبعاً من يريد أن يعرف حظه يقترب من هذه العجوز في شكل دائري ، ومن الطبيعي أن تكون بعض القطع فوق بعض ، ثم تقوم بتفسير تجاور كل قطعة بأختها وهي تقول لهذا: سيصل لك قريب من السفر ، وتقول للآخر: سوف تأتيك كسوة جميلة ، وتقول للثالث غير ذلك ، وهكذا دواليك. وربما أن ضرب الرمل يأخذ منحى التسلية أكثر منه للعلاج.

وهناك بعض العادات العلاجية التي كانت سائدة ثم بادت وانقرضت بعدما

تفتحت عقول البشر وتعلمت ، متها على سبيل المثال: تقييد المجنون بالجدلة وحبسه في مخزن مظلم لفترات طويلة ، ولا تقل عن ذلك معاملة الممسوس بالجن ثم جاء العلم الحديث الذي اعتبر الجنون من الأمراض العقلية والنفسية ولها علاجها ، وأهم من ذلك التعامل مع المجنون كإنسان له قيمته الإنسانية. وتعامل الشيوخ مع الممسوس بالرقية الشرعية ، وهي الرقى بقراءة آيات من القرآن العظيم على المريض بنية الشفاء من الله سبحانه وتعالى ، أو بأحاديث رسوله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد أجمع العلماء على جواز الرقي عند اجتماع ثلاثة شروط:

١ ـ أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

٢ ـ أن تكون باللسان العربيِّ أو بما يُعرف معناه من غيره.

٣ـ أن يُعتقد أنَّ الرقية لا تُؤثِّر بذاتها بل بقدرة الله تعالى والرُّقية إنما هي سببٌ من الأسباب.

والله الشافي لا شفاء إلا شفاءه ، وما علينا إلا بالدعاء للمرضى أن يشفيهم الله من كل العلل وهو المستجيب سبحانه ، وهكذا قال المحضار:

بعض العلل ما يجيب الكي شي فيها ولا المرهم
بغت دعاء لكن لي يدعي لنا يا صاحبي أبكم
با دعي إلى الله صاحب العطوه الجزيله
أن يبتعد هذا المرض ويروح ويزول[٢٨٤]

الفصل الرابع

التراث السياحي التقليدي

١.٤. السياحة التاريخية:

تعتبر الشحر وأريافها وباديتها ذات جذب سياحي إذا ما استغل الاستغلال الأمثل وروّج له الرواج الصحيح ، كونها تمتلك المقومات السياحية التاريخية وهي كثيرة ولكنها للأسف لم تستغل ، وظلت مجهولة على مدى الزمن ، وهذا الشأن يستوجب على السلطة أو المؤسسة التعريف به ، ولا يقتصر نشاطهم فقط على تشجيع أعمال الفندقة فحسب ، ولكن يجب جدولة الأماكن السياحية للجذب السياحي للاستفادة منها. ونحن هنا نتحدث عن السياحة التاريخية كتراث سياحي لابد من إظهاره في هذا العمل الذي اهتممنا فيه بالتراث ، وليس للترويج السياحي الذي هو من صميم عمل المؤسسة. ومن السياحة التاريخية ما يلي:

١.١.٤. المعالم التاريخية والآثار:

وعندما قلنا أن السياحة التاريخية في الشحر وما جاورها كثيرة ، نعم هي كثيرة ، فمنها سياحة المعالم التاريخية والآثار الموجودة داخل المدينة وخارجها وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر منها: الآثار المندرسة والظاهرة ومواقعها الأثرية كدار البياني وبقايا السور والسدتين والباغ والحصون والقلاع والأكوات ومبنى الجمارك والآبار القديمة في وادي سمعون داخل المدينة ، وخارجها مغارة جبل ضبضب والسقايات والمراتب والعكوف والحوابي وغيرها كثير ، إضافة إلى ذلك التراث المشترك داخل وخارج المدينة

من أكوات وسقايات وعكوف بنوعيها. وقد وردت أشعار كثيرة للسيد المحضار عنها ودللنا بها عندما أعطينا لمحة تاريخية عنها في حديثنا عن الآثار والمواقع الأثرية.

٢-١-٤-المباني القديمة:

المباني الطينية القديمة في المدينة والريف هي في حد ذاتها سياحة تاريخية وتراثية سواء كانت لمساكن أو خدمات أصبحت مهجورة اليوم ، لكنها لا زالت تصارع الزمن وتعد جزءاً مهماً من التراث التاريخي بشكل عام. وما أكثرها في المدينة والريف! وذكر المحضار لدار بصعر مثلاً خير شاهد.

٢-٤-السياحة المائية:

مقومات السياحة المائية تكاد تكون موجودة منذ القدم وإلى اليوم وهي كثيرة في الشحر وأريافها. وقد أحاط بها المحضار كلها ودونها في أشعاره وتداولها الناس في محافلهم ولم يعد البحث عنها أمراً بالغ الصعوبة إطلاقاً. ولعدم ورودها من قبلنا لا يعني أبداً شحتها عندنا أو أن الذاكرة لا تسعفنا بذكرها ولكن رأينا أن ورودها في سياق الحديث قد يجتز من قدره كوننا سنتحدث في التراث السياحي من خلال عناوين فرعية. فقد تحدث المحضار عن مياه المعايين (الأفلاج) وما تحمله من فائدة نفعية في أشعاره وبالذات في جلسات الدان الساحلي (الهبيش) ، وتحدث عن البحر وشواطئه ومياهه المالحة والغوص فيه في الكثير من الأغاني ، وتحدث عن مياه السيول في الأودية وما تسقيه من زرع وجرب وما ينتفع بها وعن ماء القلوت. وهنا نعطي بعض الأمثلة من السياحة المائية الشعبية التقليدية ذاكرين منها:

١-٢-٤-المياه الكبريتية الحارة:

وتشتهر بها قرية تبالة المجاورة للشحر إضافة إلى مدينة الحامي الساحلية (بلاد الينابيع

الحارة) التي تزيد درجة حرارة الماء عند المنبع عن ٨٠ درجة مئوية، وهذه المياه تنبع من العيون في باطن الأرض وجارية على مدار الساعة في قنوات تسمى (سواقي) وتصب في أحواض كبيرة تسمى (جوابي)، وهي ذات جذب سياحي محلي لأبناء الشحر منذ القدم مع أنها لم تستغل سياحياً من قبل المؤسسة (الخاصة أو العامة)، بيد أن جذبها لا يتعدى العفوية أو قل الذائقة الشخصية من قبل الزائر نفسه، ولم يقم على تخطيط مبرمج من المؤسسة كسياحة مائية. وقد أستغلت هذه المياه منذ القدم للغسل في فصل الشتاء من قبل أهالي الشحر كونها تتميز بدرجة حرارة عالية إذا ما قورنت بالمياه العادية.

ولوجود مادة الكبريت في هذه المياه فقد أصبحت مقوماتها علاجية للأمراض الجلدية أكثر منها سياحية مثلها مثل مياه ثوبان وصويبر في الديس الشرقية.

٢.٢.٤. مياه البحر:

تدخل مياه البحر في السياحة المحلية للأهالي حيث تبرد هذه المياه في نجم البلدة ويكون له جذب سياحي كبير في مثل هذه الأيام وذلك للغسل والاستجمام والراحة والشفاء من بعض الأمراض حسب اعتقادهم، ويكون لذلك زخماً كبيراً، حيث يأتي إليه الناس من كل حدب وصوب لغرض الغسل بدون ترويج سياحي. وتعتبر السياحة البحرية تقليداً شعبياً منذ القدم وإلى اليوم. كما أن للغوص والصيد التقليدي هواة يأتون لهذا الغرض في الأوقات التي يكون البحر فيها هادئاً.

٣.٢.٤. مياه السيول:

وللسيول هي الأخرى جذب سياحي وإن كان غير مزمن إلا أنه عندما تتدفق السيول يخرج الناس طواعية إلى الأودية لرؤيتها والاغتسال فيها. وهناك معتقد ريفي يقول: أن من يشرب بفمه من غشبة الماء عند أول اندفاع للسيل يكون شاعراً

بشرط أن لا يشرب بكفيه أو بإناء ، وإن صح هذا القول أو أخطأ إنما سقناه كقول تراثي لا لشيء آخر. ويسمى ماء السيل عندهم (كرع). ويقال كرع في الماء أو الإناء كرعا وكروعا تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء.[٢٨٥]

٤.٢.٤.مياه الكرفان:

الكريف هو حوض كبير على سطح الأرض يحاط بأسوام كبيرة من الطين (حواجز ترابية) ومهمته احتجاز ماء المطر وما يتدفق منها من المرتفعات القريبة من الكريف ، ويستفاد من هذه المياه قديماً للشرب عند البادية وأحيانا قليلة لري الزرع. أما منظورها السياحي فهي لا تعد أكثر من رؤية طبيعية تعريفية عن حياة البادية.

٤.٢.٥.مياه القلوت:

مفرد القلوت قلت وهو الغدير الصغير الذي يتكون على أرضية صلبة مملوءة بالماء في أحد جوانب سائلة الوادي ويتميز بصفاء مائه وعذوبته ، ويستخدم فقط للشرب وقد ذكر المحضار القلت بقوله: (والكرع في القلت ميرادي)

٤.٢.٦.مياه الحسي:

الحسي عبارة عن بئر محفورة في سائلة الوادي ، وهي غير عميقة لوجود الماء السطحي في السائلة ، وتتم عملية طلوع الماء منها بواسطة الدلو ، وتستخدم فقط للشرب.

٤.٣.السياحة الرملية:

تعد السياحة الرملية على ساحل البحر واحدة من السياحة التراثية العامة ولا تقل أهمية عما ذكرناه ، وهي تختص بالمكوث فترة من الزمن على شواطئ البحر وسط الرمال ، وقد زاول الناس هذه السياحة منذ القدم ولم تعد جديدة عليهم ولكنها لا زالت مستمرة إلى يومنا هذا ، وقد وصف شاعرنا المحضار الجلوس على الساحل

والتمتع بالنظر في شاطئ البحر في كثير من أغانيه العشقية ، ووصف بدقة متناهية تلك المناظر الخلابة التي تأخذ باللب في أثناء جلوسه ومحبوبه على الشاطئ ، ولعلنا هنا لسنا بصدد التوصيف العشقي فلنبقى مع السياحة الرملية سواء كانت قصدية نفعية أو روحية نفسية ونذكر منها:

١.٣.٤.البحث عن العنبر:

وهي سياحة قصدية الهدف منها البحث عن العنبر الشحري لما تقذفه الحيتان (الشوحطة) من داخل البحر وتجرفه الأمواج إلى الساحل من عنبر ، حيث يمشي السائح مسافة طويلة على رمال الساحل قبيل الفجر إلى شروق الشمس لعل وعسى أن يحالفه الحظ بفتات من العنبر ، وأحياناً يقذف البحر لأحد هذه الحيتان بعد موته وما على الشخص الماشي على الساحل إلا أن يشق بطن الحوت ويستخرج منه العنبر. ويدخل العنبر في الكثير من الصناعات العطرية والدوائية. والجدير بالذكر أن عنبر الشحر قد ذكره بعض المؤرخين الثقاة ، ولو كان حديثنا عن العنبر لوردنا ما يختص بذلك.

٢.٣.٤.اللعب على الرمال:

وهي سياحة تكاد تكون للأطفال أكثر منها للشباب وما جاوزهم سناً ، وعادة تكون مثل هذه السياحة للتمتع بالنظر في الطبيعة الخلابة على الساحل. وهي للراحة مع شروق الشمس ومع غروبها ، حيث يتمرغ الأطفال بالرمال في لحظة تكتنفها الغبطة والفرح والسرور ، كما يقومون بعمل بعض المجسمات والرسم على الرمل ومطاردة بعض الحشرات والديدان الصغيرة والبحث عن القواقع والأصداف والمحار. أما الشباب فتكون سياحتهم على الشواطئ رياضية أكثر منها ترفيهية.

٤.٤. السياحة الجبلية:

تحيط بالشحر عدد من الجبال مع كونها ساحلية إلا أن الجبال تزيدها جمالاً ورونقاً، وقد خلد المحضار ذكر أهم جبالها كجبلي ضبضب وضبة المشهورين بشعر المحضار. والسياحة الجبلية تكمن في التالي:

١.٤.٤. تسلق الجبال:

وقد زاولها القدماء من البادية والريفيين بحكم تعاملهم مع الجبال، ولكنها ليست مزاولة كما نراها اليوم في بعض البلدان من اصطحاب أدوات التسلق من حبال وغيرها، ولكن التسلق يتم قديماً بالأرجل للصعود إلى قمم الجبال وبدون أدوات السلامة، وهي مغامرة لا يجيدها إلا المتمرس. وتسلق الجبال هي سياحة معتادة لدى البعض للتعرف على القمم، وربما يتسلق البعض وبالذات الشباب من البدو والريف كهواية للاطلاع والترويح عن النفس بعد هطول الأمطار.

٢.٤.٤. مغارة جبل ضبضب:

هي سياحة معرفية لمعالم المدينة التاريخية للاطلاع عن كثب في مغارة الجبل، ولا يزاول هذه السياحة إلا الباحثين والمتخصصين في التاريخ وعلم الآثار، وذلك لإشباع فضولهم من رغبة البحث عن المجهول. أما العامة فلا أحد يهتم منهم برؤية هذا المعلم ربما لصعوبة تسلق جبل ضبضب، أو لصعوبة الهبوط إلى داخل المغارة، وهذا بالفعل ما استصعبه حتى النخبة ممن تسلقوا الجبل لتصبح هذه المغارة لغزاً يحير الباحثين عن الحقيقة.

٣.٤.٤. دباسة العسل:

دباسة العسل في الجبال العالية ليست مهنة للنحّالين بحد ذاتها وإنما هي هواية يقوم

بها الفرد أو الجماعات الهدف منها دباسة العسل والتلذذ بهذه السياحة الجبلية ، وفي الوقت نفسه إظهار الشجاعة والمغامرة للوصول إلى خلايا النحل في موقع صعب المنال. قال تعالى : ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾(٢٨٦) والمحضار أكد طلوعه الجبل لغرض دباسة العسل في قوله:

طلعت الجبل ودبست جبح العسل كله
ولي قال عاد الدبس مبعد قرب حله
صبح ع المقد مزقول يا وحلة الوحلة على هامته منكوس
حسبتوا الدباسة يآل باناعمة سهلة بغيتوا عسل مدبوس

٥ـ٤ـ السياحة البيئية :

وهي سياحة معرفية ونفعية واختبارية ، حيث يقوم بها بعض الأفراد الهواة من المدينة والذهاب إلى الريف والوديان ليلاً وذلك لمطاردة الظباء والوعول واقتناصها، وهوعمل يقوم به البدوي أيضاً وقد تحدثنا عن ذلك سلفاً. وأما ما يخص الأطفال فهي سياحة ترويحية بين الأشجار المعمرة والنباتات الصغيرة والروابي ومصادر المياه وسواقي الري لرؤية الطيور وبعض الحيوانات الأليفة في الريف والاستئناس بها. وفي الريف نفسها يقوم الأطفال بمطارة الطيور موسمياً واقتناصها بأدوات هم يقومون بصناعتها محلياً من خامات البيئة الزراعية كالمصائد التي تعرف عندهم بالمنصيبة (المشنيطة) أو (المنطب). وفي المدينة والريف معاً يقوم الأطفال بتربية الحمام والدواجن في البيوت والحفاظ عليها وتفريخها وبالذات الأنواع الغريبة منها كهواية وليس كمهنة.

وهناك السياحة العلاجية وقد أوردناها في سياق الحديث عن السياحة المائية ولم نخصصها كعنوان رئيس لأنها لم تكن بالمقام نفسه الذي تقوم عليه أنواع السياحة المذكورة في مدينة الشحر وأريافها وباديتها. وهناك أيضاً سياحة التسوّق التي تحتضنها المدينة منذ نشأتها حتى سميت بالسوق وقد أسهبنا في الحديث عنها سلفاً. وهناك السياحة الدينية وما تخلفه من أثر إيجابي في النفوس كتلك العادات التي تصاحب المناسبات الدينية ، وأيضاً سياحة المهرجانات الموسمية المعتادة محلياً والتي أصبحت كتقليد سنوي.

آخر الكلام

أحببت أن أختتم هذا العمل بهذه الشهادة: (حدثني الأستاذ الشاعر عوض بن سالم بن فاتح عن سبيت بن سعيد بن نويصر أنه حضر جلسة في مزرعة السيد الفاضل عبد القادر بن أحمد بن شيخ بافقيه بالطائف ببلدة معيان المساجدة حضرها الأستاذ الشاعر عبد الله بن عبد الكريم الملاحي والشاعر الشعبي حسين بن أبي بكر المحضار وكان ذلك قبل استقلال الجنوب عن بريطانيا في الستينات من القرن الماضي ، فطلب السيد عبد القادر بافقيه من الأستاذ عبد الله الملاحي أن يقول شعراً لما رآه من معايين (أفلاج) حوله وبالذات معيان الطائف ذو الماء العذب ، فقال من بحر الطويل:

سقى الغيث معيان المساجدة الذي يلوذ به من كان من علة يشكو

فأجابه الشاعر حسين المحضار من بحر البسيط:

بادوا ولكنهم أبقوا لنا أثراً يوحي إلينا بأن القوم ما بادوا [٢٨٧]

إذاً فالحديث عن التراث الجم متشعب ومن الصعوبة بمكان بلوغ المرام ، وهذا قليل مختصر من كثير منتشر ، ولكن كل ما تم ذكره مما اخترناه لكم لم يغفله السيد الشاعر حسين أبو بكر المحضار في أشعاره الكثيرة المتداولة بين الناس. وعليه فكان هذا الجهد محاولة مني للربط بين شعره والتراث الشعبي والأثر التاريخي ، وبعض مما يوحي إلينا بأن القوم ما بادوا.

تم بحمد الله..

الهوامش

(١) أحمد عمر مسجدي: من الأدب الشعبي للطفل ـ مقدمة الكتاب.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ابن خرذاذبه: من المؤرخين العرب في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي.

(٤) هو الأديب عبد الصمد بن عبد الله باكثير الكندي: شاعر من الكتّاب ، ينتهي نسبه إلى كندة ، كان كاتب الإنشاء للسلطان عمر بن بدر (ملك الشحر) وشاعره توفي بالشحر سنة ١٠٢٥هـ ـ ١٦١٦م وله ديوان شعر.

(٥) هو عبد الله بن محمد باحسن جمل الليل: ولد بمدينة الشحر سنة ١٢٧٨هـ ونشأ نشأة صالحة بين ظهراني أهله ، أديب وعالم تولى القضاء بالشحر ، برز في علم التاريخ وعلم الأدب بشقيه الشعري والنثري ، له كتابان في التاريخ: نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية ، وتنبيه العقلاء ، وله في الأدب مقامات باحسن وله الكثير من الأشعار ، توفي في الشحر سنة ١٣٤٧هـ.

(٦) حسين أبو بكر المحضار: ابتسامات العشاق ص ١٧٥

(٧) يا قوت الحموي: معجم البلدان.

(٨) الفيروزآبادي: القاموس المحيط.

(٩) الشيخ / سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي ص٢٧.

(١٠) مجلة الرباط ـ العدد ٢١

(١١) مجلة المكلا ـ العدد ٦

(١٢) مجلة الرباط ـ العدد ٢١

(١٣) امتلت: لفظة عامية بمعنى: امتلأت.

(١٤) حسين المحضار: ابتسامات العشاق ص١٥١

(١٥) المصدر نفسه.

(١٦) زيارة الشيخ سالم بن عمر تقام في الشحر في ليلة ١٥ محرم من كل عام، وتسبقها بعض الزيارات الصغيرة ، ثم تليها زيارة الشيخ بافضل في الليلة الثانية ١٦ محرم.

(١٧) منيحة المختون: هي شاة حلوب تكون لها عناية خاصة يستخدم لبنها كغذاء للمولود إلى أن يكبر ، إضافة إلى لبن أمه.

(١٨) عبد الله محمد باحسن: نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية ص ٢٠٥ / ٢٠٧ (بتصرف)

(١٩) أحمد عمر مسجدي: المحضار من خلال شعره ص ١٢٢

(٢٠) حسين المحضار: ابتسامات العشاق ص٢١

(٢١) المصدر نفسه: ص٣٧

(٢٢) عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج / ٢ ص ٤٧

(٢٣) المصدر نفسه

(٢٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج / ١ ص ٣٧

(٢٥) ابن الأثير: أسد الغابة

(٢٦) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج / ٤ ص ٢٢٦

(٢٧) سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي ص ١٨

(٢٨) سورة الأعراف: الآية ٦٥

(٢٩) سورة هود: الآية ٥٠

(٣٠) سورة النجم: الآية ٥٠

(٣١) سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٨

(٣٢) مجلة سعاد: العدد الثاني ص ٨

(٣٣) الهمداني: صفة جزيرة العرب

(٣٤) مجلة شعاع الأمل: العدد ٩٤ ص ٣٨

(٣٥) حسين المحضار: ابتسامات العشاق ص٣٧

(٣٦) خميس حمدان: الشحر عبر التاريخ ص١١

(٣٧) المصدر نفسه: ص ١٧

(٣٨) حسين المحضار: أشجان المحضار ص ٢٢

(٣٩) أحمد عمر مسجدي: المحضار من خلال شعره ص ٥٩

(٤٠) مجلة ضبضب: العدد الرابع ص ٧

(٤١) فنون ، ملحق جريدة الجمهورية: العدد ١٣٢٧٠ ص ٧

(٤٢) حسين المحضار: حنين العشاق ص ١٥

(٤٣) حسين المحضار: دموع العشاق ص ٢٨

(٤٤) هو سعيد عبود عرابي ـ رحمه الله ـ من أشهر مجاذيب الشحر نفعاً ، وأطيبهم معاملة مع الناس ، وأكثرهم حضوراً في الأسواق.

(٤٥) الرمان: عمامة توضع على الرأس استشعاراً برقصة العدة المشهورة في حضرموت بألوانها الثلاثة الأحمر الداكن وهو المستحوذ عليها وبقع من الأسود والأبيض.

(٤٦) المشقاص: هي الجهة الشرقية للشحر ، ولكن منهم من يحددها بشرق الحامي،

ومنهم من يعتبرها شرق الديس الشرقية ، ومنهم من يعتبرها شرق مدينة قصيعر إلى بلدة حضاتهم ومن يمدها إلى بلدة حساي المهرية. أما المعراب: هي البلدات الواقعة في الجهة الغربية للشحر وعادة ما يطلق على مدينة غيل باوزير وشحير إلى الريان.

(٤٧) إلى مّا: لفظة عامية بمعنى إلى وما زائدة في المعنى. ومثله تستخدم لفظة: لمّان العامية.

(٤٨) حسين المحضار: شعر المحضار المسرحي ص٨٣

(٤٩) السرَف: مفردها سرفة، وهي فرشة من سعف النخيل يجفف عليها التمر بالشمس.

(٥٠) حسين المحضار: شعر المحضار المسرحي ص ٩٥

(٥١) اللخم: هو سمك القرش الذي يحفظ بالتجفيف في الشمس.

(٥٢) المالح: هو السمك المحفوظ بالتمليح رطباً.

(٥٣) الحنيذ: هو السمك الذي يحفظ بتجفيفه بالشمس بعد غليه أو طهيه في التنور.

(٥٤) أحمد بن علي الفزاري القلقشندي: نهاية الأرب في ذكر أنساب العرب ج / ١ ص ١٥٣

(٥٥) سعيد عوض باوزير: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ط / ٢ ص ٥٩

(٥٦) محمد عبد القادر بامطرف: الشهداء السبعة ص ٢٠

(٥٧) عبد الله محمد باحسن: النفحات المسكية ص ٢٥

(٥٨) المصدر نفسه

(٥٩) حسين المحضار: أشجان العشاق ص ٦٦

(٦٠) حسين المحضار: دموع العشاق ص ٢٨

(٦١) المصدر نفسه ص ١٣٥

(٦٢) حسين المحضار: أشجان العشاق ص٦٤

(٦٣) يقصد الشاعر عبد الله محمد باحسن.

(٦٤) يقصد نفسه

(٦٥) خميس حمدان: الشحر عبر التاريخ ص ١٦

(٦٦) عبد الله محمد باحسن: النفحات المسكية ص ٢٥

(٦٧) المعجم الوسيط: باب الكاف ص ٤٧٣

(٦٨) الدمح: مادة سوداء تكحل بها العين وهو من أنواع الإثمد الذي تستخدمه النساء قديماً للزينة.

(٦٩) حسين المحضار: شعر المحضار المسرحي ص ٩٢

(٧٠) ثابت السعدي وأحمد مسجدي: المحضار الراثي المرثي ص٦٦

(٧١) عبد الله محمد باحسن: النفحات المسكية ص٢٩

(٧٢) مجلة الخيصة: العدد ٧٣ ص ٣

(٧٣) رقيص عمرو: اسم حارة في مدينة الشحر تنسب إلى الشيخ عمرو حيث كانت ترقص الخيول في ساحتها.

(٧٤) مطراق حنين: المطراق هو الشارع الصغير (زقاق) وبه ممر ضيق على مدخل السوق من جهة الشرق.

(٧٥) مجلة الخيصة: العدد ٧٣ ص ٣

(٧٦) نشرة صدى: العدد ٢٣ يناير لعام ٢٠٠٤م ص ٦

(٧٧) الهدة: هي عراك بين طرفين بدون سلاح ناري.

(٧٨) مدونات الشيخ مبارك صالح لرضي: مخطوطة

(٧٩) أنظر مقالنا في مجلة سعاد: العدد ١١ ص ٣٠

(٨٠) يقصد الزمان الذي عاش فيه الكاتب عبد الله محمد باحسن.

(٨١) بتّيت: فككتها وأحللت عقدها.

(٨٢) حسين المحضار: حنين العشاق ص ٦٦

(٨٣) النوَب: هي حصون صغيرة مبنية على سطح الأرض ويقصد بها النوبتين ، الشرقية والغربية على ساحل البحر.

(٨٤) حسين المحضار: أشجان العشاق ص ٥٩

(٨٥) حسين المحضار: حنين العشاق ص ٥٦

(٨٦) مجلة ضبضب: العدد ٥ / ٦ ص ٤

(٨٧) محمد عبد القادر بامطرف: الشهداء السبعة ص ٣٩ وما بعدها (بتصرف في حديثنا عن الحارات)

(٨٨) حسين المحضار: أشجان العشاق ص ٤٩

(٨٩) المعارص: ومفردها معرص ، وهو عود عريض يحمل على الظهر من الكتفين ويثبت في طرفيه المحمول بواسطة الحبال ، ومن ميزته أن يثبت في أحد طرفيه مسمار والطرف الآخر يكون محفوراً وذلك لمنع المحمول من السقوط على الأرض.

(٩٠) القواري: مفردها قاري وهو عربة من الخشب مثبتة بإطارين (عجلتين) ويدفعها الشخص وتستخدم لنقل المواد في حدود طاقة الشخص نفسه.

(٩١) بئر صديق: وهي وقف الشيخ محمد عبد العليم باصديق وهو من أهل القرن الثاني الهجري وقد جدد عمارة الجامع سنة ٢٠٧هـ.

(٩٢) هو عبد الخالق عبد الله البطاطي نائب لواء الشحر له أعمال جليلة بمدينة الشحر.

(٩٣) مجلة سعاد: العددان الأول والثاني من مقال للمرحوم إبراهيم يسرين بامهيدي.

(٩٤) الدكداك: اسم موضع في جول الضارب من الجهة المحاذية لسائلة وادي عرف يبعد عن الشحر بحوالي ١٢ كم تقريباً شمالاً وبه حقل مائي للشحر حالياً.

(٩٥) نشرة مزن: العدد الرابع

(٩٦) سيم: يعني سلك

(٩٧) حسين المحضار: ابتسامات العشاق ص ٨١

(٩٨) محمد عبد القادر بامطرف: الشهداء السبعة ص ٢٧

(٩٩) فرد ماء: مفردها فردة ماء وهي مقياس زمني لري الزرع بماء المعايين ، وعند بعض المزارعين تكون نهاراً أو ليلاً ، بمعنى لليوم فردتين.

(١٠٠) مجلة سعاد: العدد الثاني

(١٠١) نقلاً عن مدونات الشيخ صالح مبارك لرضي.

(١٠٢) أحمد عمر مسجدي: المحضار من خلال شعره ص ١٨٤ وما بعدها (بتصرف)

(١٠٣) مجلة سعاد: العدد الرابع

(١٠٤) عبد الرحمن البحر: المحضار في مساجلات الدان ص ٤٠٢

(١٠٥) خميس حمدان: الشحر عبر التاريخ ص ١٤٩

(١٠٦) رواية الأستاذ / علي حسين المقدي ، نقلاً عن النشرة الشهرية التي تصدرها مصلحة المعارف بالسلطنة القعيطية.

(١٠٧) من الشعر المخطوط للشاعر المحضار.

(١٠٨) حسين المحضار: شعر المحضار المسرحي ص ١٥١

(١٠٩) الغرش والشياشي: مسمى واحد للإناء الزجاجي المحكم بالغطاء.

(١١٠) من الشعر المخطوط للشاعر المحضار.

(١١١) عبد الرحمن البحر: المحضار في مساجلات الدان ص ٥١

(١١٢) من حديث شخصي مع الإعلامي الرياضي: خالد محمد باعباد.

(١١٣) نشرة التربوي الشحري: العدد العاشر ص ٣

(١١٤) حسين المحضار: ابتسامات العشاق ص ٥ (المقدمة)

(١١٥) مجلة ضبضب العدد الثالث ص ٤

(١١٦) حسين المحضار: حنين العشاق ص ١٠٦

(١١٧) مجلة سعاد: العدد الثاني عشر ص٦ (من مقال للباحث المرحوم عبد الرحمن الملاحي).

(١١٨) حسين المحضار: حنين العشاق ص ٥٦

(١١٩) مجلة ضبضب: العد ٥ / ٦

(١٢٠) مجلة سعاد: العدد ١٢ ص ٦ من مقال للمرحوم عبد الرحمن الملاحي.

(١٢١) حسين المحضار: أشجان العشاق ص ١٠٣

(١٢٢) المصدر نفسه: ٥٩

(١٢٣) مجلة ضبضب: العد ٥ / ٦

(١٢٤) حسين المحضار: ابتسامات العشاق ص ١١٥

(١٢٥) مجلة سعاد: العدد ١٢ ص ٦ من مقال المرحوم عبد الرحمن الملاحي.

(١٢٦) حسين المحضار: ابتسامات العشاق ص ١٥٧

(١٢٧) حسين المحضار: أشجان العشاق ص ٤٠

(١٢٨) مجلة سعاد: العدد ١٢ ص ٦

(١٢٩) عبد الرحمن البحر: المحضار في مساجلات الدان ص٤٧٦

(١٣٠) محمد عبد القادر بامطرف: في سبيل الحكم ص ٣٥

(١٣١) عبد الرحمن البحر: المحضار في مساجلات الدان ص٤٣٦

(١٣٢) مجلة سعاد: العدد الأول ص ٢

(١٣٣) حسين المحضار: ابتسامات العشاق ص ١٠٨

(١٣٤) مجلة سعاد: العدد السابع

(١٣٥) منقول عن الأخ وليد الجابري.

(١٣٦) عبد الرحمن البحر: المحضار في مساجلات الدان ص ٣٥

(١٣٧) المصدر نفسه: ص ٤٦٥

(١٣٨) الشريم: آلة زراعية كالسكين ، محذبة الشكل لها أسنان من جهة واحدة وهو ما يعرف بالمنجل ، والملعب: آلة تشبه الشريم بدون تسنين ، والمزحاة: هي المسحاة.

(١٣٩) المشاكيك: قضبان حديدي يستخدم لطهي السمك في التنور ، والمقانص: حديد تمسك به الجمرات ، والملاقيط: لاستخراج الشوك من الأرجل.

(١٤٠) حسين المحضار: حنين العشاق ص ٥٤

(١٤١) الجفير: هو غمد السكين والجنبية.

(١٤٢) رياض باشراحيل: المحضار مرآة عصره ص ٣٣٤

(١٤٣) حسين المحضار: شعر المحضار المسرحي ص ٨٤

(١٤٤) اعتمدنا في هذا البحث أوبريت عادات الزواج من شعر المحضار المسرحي ص ٤٨ ـ ٦٣

(١٤٥) اعتمدنا في هذا البحث أوبريت عادات الولادة والختان من شعر المحضار المسرحي ص ٦٧ ـ ٧٨

(١٤٦) المصدر نفسه

(١٤٧) حسين المحضار: حنين العشاق ص ٨٦

(١٤٨) أحمد مسجدي: المحضار من خلال شعره ص٢٢٠

(١٤٩) د/ عبد الله حسين البار: شعر المحضار النشيد والفن ص ١٧٣

(١٥٠) سورة النحل: الآية ٩٢

(١٥١) محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن

(١٥٢) عبد الرحمن البحر: المحضار في مساجلات الدان ص ٤٣٠

(١٥٣) المصدر نفسه: ص ٤٧٩

(١٥٤) المصدر نفسه: ص ٥٠

(١٥٥) خميس حمدان: الشحر عبر التاريخ ص ٣٥

(١٥٦) جروان: هو محمد أحمد جمعان جروان (أبو صالح) آخر من اشتغل بمهنة الصباغة في الشحر..أما أم العكافيل هي مجموعة من العكافيل أو العتاكيل تتكون من عتكول كبير من تحت ومن فوقه عتاكيل صغيرة كما في بعض العمائم القديمة ، وتكثر أم العكافيل في البراقع البدوية في أطرافها الأربعة.. والعكافيل تعملها المرأة بعد حياكة السباعية من قبل الرجال في طرفي السباعية للزينة ، كما تتزين بها العمائم في أطرافها الأربعة.

(١٥٧) مجلة ضبضب: العدد الثالث ص٢٤

(١٥٨) الصبان الشخص الذي يصبن الثياب ، والمصابين الثياب المستخدمة التي قد صبنت وليس بمعنى الجرحى.

(١٥٩) المصدر نفسه: ٢٤٤

(١٦٠) حسين المحضار: ابتسامات العشاق ص ١٤٤

(١٦١) أحمد مسجدي: المحضار من خلال شعره ص ٦٢

(١٦٢) حسين المحضار: دموع العشاق ص ٥٠

(١٦٣) عبد الرحمن البحر: المحضار في مساجلات الدان ص ٤٥٠

(١٦٤) بابقي: أحد الأفراد المشهورين بحرفة اللحامة الباردة بالرصاص (القصدرة) في الشحر.

(١٦٥) حسين المحضار: شعر المحضار المسرحي ص ٨٤

(١٦٦) المصدر نفسه: ص ٨٥

(١٦٧) صحيفة شبام: العدد ٣٤٦ ص ٥

(١٦٨) حسين المحضار: شعر المحضار المسرحي ص ٩٧

(١٦٩) عبد الله باحسن: النفحات المسكية ص ٢٠٩

(١٧٠) أحمد مسجدي: المحضار من خلال شعره ص ١٢٢

(١٧١) اعتمدنا في هذا البحث أوبريت الخريف من شعر المحضار المسرحي ص ٧٩ـ٩٨

(١٧٢) النشاري: هو المزارع العامل في أرض غيره حسب الاتفاق بينهم.

(١٧٣) الطبين: هو المالك للأرض الزراعية ويعمل فيها غيره (النشاري).

(١٧٤) منقول عن الأستاذين الفنانين عمر عبد الرحمن العيدروس ومحمد أنور عبد العزيز.

(١٧٥) منقول عن الأستاذ سالم علي بن الشيخ علي (بن هرهرة)

(١٧٦) سعيد عمر فرحان: دراسات في الفنون الشعبية ص ٢٨ ـ ٣٠

(١٧٧) عبد الله صالح حداد: من الألعاب الشعبية.. رقصة العدة ص ٥

(١٧٨) المشعال: يصنع من الصفيح (القصدير) المزين بحلقات تحتية تسمى (حناحين) وبه مسكة اسطوانية الشكل وأحياناً يثبت بها عود . كما يصنع المشعال على شكل مئذنة أو قارب أو قبة أو غير ذلك.

(١٧٩) عمر عبد الرحمن العيدروس: مقدمات في الأغنية الحضرمية ص ٨٨

(١٨٠) سعيد عمر فرحان: دراسات في الفنون الشعبية الحضرمية ص ١٤٨

(١٨١) رواية الشاعر الشعبي: صالح مبارك بن حميد

(١٨٢) أحمد مسجدي: المحضار من خلال شعره ص ٢٢١

(١٨٣) البو: هو البيت الأول الذي بني عليه اللحن ويكون عادة من تأليف الملحن.

(١٨٤) أحمد مسجدي: المحضار من خلال شعره ص ٢٢١

(١٨٥) المصدر نفسه ص ٢٣٠

(١٨٦) المخادر: هي الحفلات التي تعقد بمناسبة الزواج فقط ، وتكون على مسرح من خشب.

(١٨٧) أحمد مسجدي: المحضار من خلال شعره ، ص ٢٢٦

(١٨٨) المصدر نفسه: ص ١٢١

(١٨٩) عبد الله البردوني: فنون الأدب الشعبي في اليمن ، ص ١٣٦

(١٩٠) المصدر نفسه

(١٩١) نشرة الخيصة: العدد ٦٧ ص ١٨

(١٩٢) المصدر نفسه

(١٩٣) سعيد عمر فرحان: دراسات في الفنون الشعبية الحضرمية ، ص ١٢٢

(١٩٤) المصدر نفسه

(١٩٥) حسين المحضار: حنين العشاق ، ص ٧٣

(١٩٦) محمد عبد القادر بامطرف: الميزان ، ص ١٣٨

(١٩٧) الفيروزآبادي: القاموس المحيط

(١٩٨) الربوط: هو ربط العروس بعريسها وإشعارها باسمه ، ويكون ذلك بتغطيتها بفوطة خضراء اللون عندما تذهب للنوم في مكانها.

(١٩٩) حسين المحضار: شعر المحضار المسرحي ، ص ٥٣

(٢٠٠) يسوكن: على وزن يفوعل وهي صيغة في اللهجة العامية قصد المبالغة ، ومعناه أن يعمل حركات تبدو للمشاهدين أن بداخله جناً يسكنونه

(٢٠١) حسين المحضار: دموع العشاق ، ص ٢٩

(٢٠٢) حسين المحضار: ابتسامات العشاق ، ص ٢٣١

(٢٠٣) حسين المحضار: شعر المحضار المسرحي ، ص ٨٧

(٢٠٤) حسين المحضار: ابتسامات العشاق ، ص ١٣٨

(٢٠٥) المصدر نفسه: ص ١٥٩

(٢٠٦) عبد الرحمن البحر: المحضار في مساجلات الدان ص ١٠٨

(٢٠٧) بدر بن أحمد الكسادي: القاموس البحري ، ص ٤٥

(٢٠٨) المصدر نفسه: ص ٣١

(٢٠٩) المصدر نفسه: ص ٦٣

(٢١٠) المصدر نفسه: ٤١

(٢١١) المصدر نفسه: ص ٢٧

(٢١٢) حسين المحضار: أشجان العشاق ، ص ٧٩

(٢١٣) عبد الرحمن البحر: المحضار في مساجلات الدان ، ص ٧٦

(٢١٤) حسين المحضار: أشجان العشاق ، ص ٩٢

(٢١٥) الراشن: هو الزاد من أكل وشرب.

(٢١٦) للمزيد من المعلومات عن الجزوة: ينظر للقاموس البحري للملاح بدر بن أحمد الكسادي وقد اعتمدناه في ذكر الجزوة.

(٢١٧) بدر الكسادي: القاموس البحري ، ص ٢٣٧

(٢١٨) المصدر نفسه: ص ٢٠٢

(٢١٩) المصدر نفسه: ص ٢١٤

(٢٢٠) المصدر نفسه: ص ٢١٨

(٢٢١) حسين المحضار: ابتسامات العشاق ، ص ٢٠١

(٢٢٢) أحمد سعيد باعباد: من التراث المشقاصي ، ص ٩٢

(٢٢٣) بدر الكسادي: القاموس البحري ، ص ٢٨٤

(٢٢٤) عبد الرحمن البحر: المحضار في مساجلات الدان ، ص ٢٠٦

(٢٢٥) الفنطاس: جمعه فناطيس وهي أماكن لعمل المالح بكميات كبيرة.

(٢٢٦) حسين المحضار: شعر المحضار المسرحي ، ص ٨٤

(٢٢٧) أحمد سعيد باعباد: من التراث المشقاصي ، ص ٨٦

(٢٢٨) عبد الرحمن البحر: المحضار في مساجلات الدان ، ص ٤٠٣

(٢٢٩) المصدر تفسه: ص ٤٥٣

(٢٣٠) المصدر تفسه: ص ٣٩٩

(٢٣١) المصدر نفسه: ص ٤١١

(٢٣٢) المصدر نفسه: ص ٣٩٨

(٢٣٣) المصدر نفسه: ص ٥١٤

(٢٣٤) المصدر نفسه: ص ٤١٠

(٢٣٥) المصدر نفسه: ص ٣٢٧

(٢٣٦) المصدر نفسه: ص ٤٢٧

(٢٣٧) حسين المحضار: شعر المحضار المسرحي ، ص ٨٥ وما بعدها.

(٢٣٨)الفخطة: هي عملية تلقيح خاصة بالنخيل، وهي حبات داخلها بودرة تستخرج من ذكر النخيل (الفحل) تترك فترة قليلة في الشمس ثم تنثر على طلع النخلة لتلقيحها.

(٢٣٩) عبد الرحمن البحر: المحضار في مساجلات الدان ، ص ٤١

(٢٤٠) المصدر نفسه: ص ١٠٠

(٢٤١) المصدر نفسه: ص ٤٨

(٢٤٢) المصدر نفسه: ص ٤٢

(٢٤٣) المصدر نفسه: ص ٣٥٣

(٢٤٤) حسين المحضار: بكائيات ، ص ١٩ جمع / عبد الله فرج بازرقان.

(٢٤٥) عبد الرحمن البحر: المحضار في مساجلات الدان ، ص ٤١٦

(٢٤٦) المصدر نفسه: ص ٤٤٢

(٢٤٧) المصدر نفسه: ص ٨٨

(٢٤٨) المصدر نفسه: ص ٤٦٨

(٢٤٩) المصدر نفسه: ص ٤٧٧

(٢٥٠) حسين المحضار: ابتسامات العشاق ، ص ١٥٩

(٢٥١) عبد الرحمن البحر: المحضار في مساجلات الدان ، ص ٢٥٦

(٢٥٢) حسين المحضار: شعر المحضار المسرحي ، ص ٩٢

(٢٥٣) عبد الرحمن البحر: المحضار في مساجلات الدان ، ص ١١٩

(٢٥٤) المصدر نفسه: ص ١٦٦

(٢٥٥) حسين المحضار: حنين العشاق ، ص ٨٦

(٢٥٦) عبد الرحمن البحر: المحضار في مساجلات الدان ، ٣٧٧

(٢٥٧) المصدر نفسه: ص ٤٥٣

(٢٥٨) المصدر نفسه: ص ٣٨١

(٢٥٩) حسين المحضار: شعر المحضار المسرحي ، ص ٢٩

(٢٦٠) سورة طه: الآية ١١١

(٢٦١) ابن فارس: مقاييس اللغة ، ج / ٤ ص ١٢٠

(٢٦٢) أحمد مسجدي: المحضار من خلال شعره ، ص ١٩٤

(٢٦٣) عبد الرحمن البحر: المحضار في مساجلات الدان ، ص ٩٧

(٢٦٤) المصدر نفسه: ص ٤٥٥

(٢٦٥) المصدر نفسه: ص ٣٢٨

(٢٦٦) حسين المحضار: ابتسامات العشاق ، ص ١٥٤

(٢٦٧) حسين المحضار: أشجان العشاق ، ص ٢٣

(٢٦٨) عبد الرحمن البحر: المحضار في مساجلات الدان ، ص ٤٢١

(٢٦٩) حسين المحضار: أشجان العشاق ، ص ٣٠

(٢٧٠) عبد الرحمن البحر: المحضار في مساجلات الدان ، ص ٢١٥

(٢٧١) د/ رياض رمضان العلمي: الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم ، ص ١٥

(٢٧٢) سورة الأسراء: الآية ٨٢

(٢٧٣) سورة يونس: الآية ٥٧

(٢٧٤) البخاري: ٥ / ٥٣٥٤ طباعة دار ابن كثير ودار اليمامة

(٢٧٥) المسند / ١ / ٣٧٧ ـ ابن ماجة / ٢ / ص ١١٣٨

(٢٧٦) مسلم: ٤ / ص ١٧٢٩

(٢٧٧) رواه أبو داود

(٢٧٨) خالد علي السيد: الطب المجرب ص ١١

(٢٧٩) عبد الرحمن البحر: المحضار في مساجلات الدان ، ص ٤٥٧

(٢٨٠) حسين المحضار: ابتسامات العشاق ، ص ١٢٧

(٢٨١) عبد الرحمن البحر: المحضار في مساجلات الدان ، ص ٢٤٧

(٢٨٢) حسين المحضار: ابتسامات العشاق ، ص ١١٣

(٢٨٣) عبد الباسط محمد السيد: وصفات طبية من الكتاب والسنة ، نسخة الكترونية

(٢٨٤) عبد الرحمن البحر: المحضار في مساجلات الدان ، ص ٢٧٩

(٢٨٥) المعجم الوسيط ، تحقيق مجمع اللغة العربية

(٢٨٦) سورة النحل: الآية ٦٨

(٢٨٧) عن رواية الشاعر عوض بن سالم بن فاتح

المصادر والمراجع

الكتب والمعاجم:

ـ ابن الأثير، علي بن محمد أبو الحسن

أ ـ أسد الغابة (نسخة الكترونية)

ب ـ الكامل في التاريخ / ج / ١ (نسخة الكترونية)

ـ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد

تاريخ ابن خلدون ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ط/ ٤

ـ ابن فارس ، أبو الحسن أحمد

مقاييس اللغة ، اتحاد الكتاب العرب ، ط ٢٠٠٢م

ـ باحسن ، عبد الله محمد

نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية ـ دراسة وتحقيق د/ محمد يسلم عبد النور ط / ١ ـ ٢٠١٠م ـ تريم للدراسات والنشر

ـ البار ، د / عبد الله حسين

شعر المحضار النشيد والفن: من إصدارات مكتب وزارة الثقافة م/ حضرموت ـ المكلا ـ مطبعة وحدين بالمكلا

ـ باشراحيل ، رياض عوض

المحضار مرآة عصره: دار حضرموت للدراسات والنشر ـ ٢٠١١م ـ مطبعة وحدين

ـ باعباد ، أحمد سعيد

من التراث المشقاصي ـ إصدار مكتب وزارة الثقافة ـ حضرموت ـ المكلا (٦) الطبعة الأولى ٢٠١٠م مطبعة وحدين ـ المكلا

ـ بامطرف ، محمد عبد القادر

أ ـ الشهداء السبعة: ط/ دار الهمداني للطباعة والتوزيع والنشر عدن ١٩٨٣م الطبعة الثانية

ب ـ في سبيل الحكم: دار الهمداني عدن ـ الطبعة الثانية ١٩٨٣م

ج ـ الميزان: دار الهمداني عدن ـ الطبعة الأولى ١٩٨٥م

ـ باوزير ، سعيد عوض

أ ـ صفحات من التاريخ الحضرمي: دار الوفاق للدراسات والنشر ـ الطبعة الثانية ٢٠١١م

ب ـ الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي: مكتبة الصالحية للنشر والتوزيع ـ الطبعة الثانية ٢٠١١م

ـ البحر: عبد الرحمن

المحضار في مساجلات الدان: / دار جامعة عدن للطباعة والنشر ـ الإصدار الثالث

ـ البردوني ، عبد الله

فنون الأدب الشعبي في اليمن: دار الفكر ـ دمشق ، الطبعة الثالثة ١٩٩٥م

ـ حداد ، عبد الله صالح

من الألعاب الشعبية.. رقصة العدة: منشورات فرع المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف م/ حضرموت (٨) سبتمبر ١٩٨٠م

ـ حمدان ، خميس

الشحر غبر التاريخ: مركز الدراسات والبحوث اليمني ط ابريل ٢٠٠٥م

ـ الحموي ، ياقوت

معجم البلدان: (نسخة الكترونية)

ـ الزركلي ، خير الدين

الأعلام: ج / ٦ دار العلم للملايين

ـ السعدي ، ثابت عبد الله

ـ ومسجدي ، أحمد عمر

المحضار الراثي المرثي: من إصدارات مكتب الثقافة م/ حضرموت ، مطبعة وحدين المكلا

ـ السيد ، عبد الباسط محمد

وصفات طبية من الكتاب والسنة: (نسخة الكترونية)

ـ الطبري ، محمد بن جرير

جامع البيان في تأويل القرآن: تحقيق: أحمد محمد شاكر / مؤسسة الرسالة / الطبعة الأولى ٢٠٠٠م

ـ العلمي ، د/ رياض رمضان

الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم : عالم المعرفة ـ الكويت ١٩٨٨م

ـ علي ، خالد سيد

ـ الطب المجرب: مكتبة دار التراث ـ الكويت ودار اليمامة دمشق ـ بيروت

ـ العيدروس ، عمر عبد الرحمن

مقدمات في الأغنية الحضرمية: من إصدارات مكتب وزارة الثقافة م/ حضرموت ـ مطبعة وحدين بالمكلا ، ٢٠١١م

ـ فرحان ، سعيد عمر (بو عمر)

دراسات في الفنون الشعبية الحضرمية: إصدار مكتب الثقافة م/ حضرموت ـ مطبعة وحدين بالمكلا ، ٢٠١٢م

ـ الفيروزآبادي: مجد الدين

القاموس المحيط

ـ القلقشندي: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري

نهاية الأرب في ذكر أنساب العرب: ج / ١

ـ الكسادي ، بدر بن أحمد

القاموس البحري: مراجعة حسن صالح شهاب ـ منشورات المجمع الثقافي ـ أبوظبي ـ الإمارات العربية المتحدة

ـ المحضار ، حسين أبو بكر

أ ـ روضة العشاق ١٩٥٦م (مخطوط)

ب ـ دموع العشاق ١٩٦٥م ، نسخة دار الطليعة ، الكويت ١٩٧٩م

ج ـ ابتسامات العشاق ١٩٨٧ ، نسخة ٢٠٠٧م

د ـ حنين العشاق ١٩٩٩م

هـ ـ أشجان العشاق١٩٩٩م

و ـ بكائيات: ٢٠٠١م جمع عبد الله فرج بازرقان

ز ـ وداع العشاق ٢٠٠٨م

ح ـ شعر المحضار المسرحي: ٢٠٠٧م إعداد ، د/ عبد العزيز الصيغ وعبد الله حداد

ـ مسجدي ، أحمد عمر

أ ـ من الأدب الشعبي للطفل: إصدار مكتب الثقافة م/ حضرموت ـ المكلا ، ٢٠١٢م مطبعة وحدين بالمكلا

ب ـ المحضار من خلال شعره: الطبعة الأولى ٢٠١٢م ، مطبعة وحدين بالمكلا

ـ مجموعة مؤلفين

المعجم الوسيط / تحقيق مجمع اللغة العربية

ـ الهمداني ، الحسن بن أحمد

صفة جزيرة العرب: نسخة الكترونية

المجلات والصحف والنشرات:

ـ الرباط ، مجلة

صادرة عن رباط المصطفى للدراسات الإسلامية بالشحر. العدد: ٢١

ـ التربوي ، نشرة

صادرة عن مكتب التربية والتعليم بالشحر م/ حضرموت ، العدد: العاشر

ـ الخيصة ، نشرة

صادرة عن منتدى الخيصة الثقافي الاجتماعي بالمكلا م/ حضرموت ، العدد: ٦٧

ـ شبام ، صحيفة

العدد: ٣٤٦ ص٥ بتاريخ ٢١ / ٩ / ٢٠٠٥م

ـ سعاد ، مجلة

صادرة عن جمعية الشحر للثقافة والتراث ، الأعداد: ١ ـ ٢ ـ ٤ ـ ٧ ـ ١٢

ـ شعاع الأمل ، مجلة

صادرة عن جمعية الأمل الخيرية الاجتماعية الثقافية ـ حضرموت. العدد: ٩٤

ـ صدى ، نشرة

صادرة عن فريق الصحراء الرياضي الثقافي الاجتماعي بالصداع / غيل باوزير م/ حضرموت. العدد: ٢٣ لعام ٢٠٠٤م.

ـ ضبضب ، مجلة

صادرة عن نقابة مكتب الهيئة العامة للأراضي والمساحة والتخطيط العمراني بالشحر ، الأعداد: ٤ ـ ٥ ـ ٦

ـ فنون ، ملحق جريدة الجمهورية ،

العدد: ١٣٢٧٩ الصادر بتاريخ ١٣ / ٢ / ٢٠٠٦م.

ـ المزن ، نشرة

صادرة عن المؤسسة المحلية للمياه والصرف الصحي بالشحر العدد الرابع.

ـ المكلا ، مجلة

صادرة عن مكتب وزارة الثقافة ـ المكلا ، العدد: ٦

المخطوطات:

مدونات الشيخ صالح بن مبارك لرضي

المحتوى

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
أول الكلام	٩
مدخل	١٣

الباب الأول

(مقدمات في التراث الشعبي الشحري)

الفصل الأول: مكانة الشحر التاريخية

الأسماء المتداولة للشحر	٢٣
الحارات القديمة للشحر	٥٣
خدمات المدينة	٦٣
مساجد المدينة وتوصيفها	٦٧
الأضرحة والقباب	٧٢
النشاط التعليمي والصحي والرياضي	٧٤

الفصل الثاني: معالم الشحر التاريخية

المواقع الطبيعية والمعالم الأثرية	٨٥
الأسواق الشعبية	٩٧

الموضـــــوع	الصفحة
الفصل الثالث: العادات والحرف والفنون الشعبية	
العادات والتقاليد	١٠٥
الحرف والمشغولات اليدوية	١٢٣
المهرجانات الموسمية	١٤١
التراث الفني الغنائي	١٤٩
الفصل الرابع: التراث البحري	
وشارة السفن الشراعية	١٨١
طاقم السفن الشراعية	١٨٧
حركة السفن الشراعية	١٩١
بعض أسماء الأسماك	١٩٦
الباب الثاني	
(مقدمات في التراث الشعبي الريفي والبدوي والمشترك)	
الفصل الأول: التراث الشعبي الريفي	
التراث الزراعي	٢٠١
بناء وتوصيف المباني الريفية	٢٢٠
أعمال الخوص	٢٣٧
الفصل الثاني: التراث الشعبي البدوي	
العرف البدوي	٢٣٩

الموضـــــوع	الصفحة
تربية الغنم ورعيها	٢٤٣
السلب والقناصة	٢٤٦
اللباس والزينة	٢٤٧
الفصل الثالث: التراث العلاجي التقليدى	
التداوي بالأعشاب	٢٤٩
العلاج بالعمليات التقليدية	٢٥١
بعض المعتقدات العلاجية	٢٥٥
الفصل الرابع: التراث السياحي التقليدي	
السياحة التاريخية	٢٥٨
السياحة المائية	٢٥٩
السياحة الرملية	٢٦١
السياحة الجبلية	٢٦٣
السياحة البيئية	٢٦٤
آخر الكلام	٢٦٦
الهوامش:	٢٦٧
المصادر والمراجع	٢٨٤
المحتوى	٢٩٠

هذا الكتاب

رحلة معرفية في التراث والتاريخ داخل مدينة الشحر وأريافها، بصحبة أشعار السيد حسين أبو بكر المحضار كمرافق لنا، نقف خلالها في بعض المحطات التاريخية والتراثية للتزود ببعض المعارف عنها.

على بركة الله نلج من بوابات أسوار مدينة الشحر، نجول في أحيائها، ونتعرف على أسمائها وأسماء حاراتها، كما نتعرف على حصونها وقلاعها، ونوَبها وأكواتها، وندخل مساجدها القديمة ونتعرف عليها، ونطوف في أسواقها الشعبية ومطاريقها، ونتعرف على أهم الخدمات فيها.

ثم نتجه إلى ساكني الحارات لنتعرف على أسرار موروثهم الشعبي، وعادات الزواج والولادة والختان والخشاف عندهم، كما نتعرف على تراثهم الحرفي ومشغولاتهم اليدوية، وأنشطتهم ومهرجاناتهم الموسمية وتراثهم الفني والغنائي ورقصاتهم الشعبية.

ثم نعرج على معالمها الطبيعية والأثرية، ونتجه إلى بحرها لنتعرف على مينائها عن كثب وأعمال السفن فيها، من خلال أجزائها وأدواتها وحركتها الملاحية، بقيادة نواخيذها وربابينها، ونتذوق معاً أسماكها الطرية، والمملوح منها والمجفف والحنيذ.

كما يصحبنا شعر المحضار في هذه الرحلة المعرفية إلى الريف الشحري، لمعرفة التراث الزراعي والمصطلحات الزراعية وأدوات الزراعة، وبعض أسماء المزروعات فيها، ونستظل تحت أشجارها الوارفة لنأخذ قسطاً من الراحة، ثم ندخل إحدى الديار الريفية الطينية من السدة، ونطوف فيها ثم نخرج من المسلف، كما نتعرف هناك على المشغولات الخوصية، ثم نتجه إلى الصروم لمعرفة العرف البدوي في العادات والتقاليد وغير ذلك.

كما يصحبنا شعر المحضار لمعرفة العلاج التقليدي وأنواعه، ويرحل بنا إلى مطارح السياحة التاريخية والمائية والرملية والجبلية والبيئية.

تمنياتي لكم برحلة معرفية موفقة..

أحمد